جامعة، بسكرة، الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة -بسكرة -الجزائر

العدد: 16

1436هـ/ سبتمبر 2015م

I.S.S.N :2253-0347

رقم الإيداع القانوني: 1695-2012

أنجز بمطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

ص.ب 145 ق.ر بسكرة 07000 الجزائر

مجلة

علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد **16** : 1436 **ذو القعدة هـ/ سبتمبر** 2015**م**

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير أ.د عبد الرحمان برقوق إلى :

ص.ب 145 **ق.ر.بسكرة** 07000 **الجزائر**

الهاتف/ الفاكس: 0021333501260

البريدالالكتروني: revue.fshs@univ-biskra.dz

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قواعد النشر:

- تنشر مجلة "**علوم الإنسان والمجتمع**" الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وفقا للشروط التالية:
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 15 صفحة بصفحات المجلة، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج « Microsoft Word » بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال، اسم الباحث ورتبته العلمية المؤسسة التابع لها(قسم، كلية وجامعة)، الهاتف والفاكس، العنوان الالكتروني وملخصين للموضوع في حدود مأتي كلمة أو ثمانية سطور أحدهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخريين على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simlified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras، العناوين الفرعية Simplified Arabic

12Gras، أما الفرنسية أوالانكليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.

- هوامش الصفحة تكون كما يلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص(x1623,5).
- تضبط الجداول والأشكال مرقمة ومعنونة وفقا لهوامش الصفحة الآنفة الذكر، و يستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية« Note de fin » على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.
- المقالات المرسلة إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق لهيئة تحريرالمجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان الجامعة و البريد الإلكتروني على:

revue.fshs@univ-biskra.dz

المادة التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة تعنى بالدراسات الاجتماعية والنفسية و الاعلامية والتاريخية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د بلقاسم سلاطنية مدير جامعة بسكرة

مدير المجلة

أ.د عبد الرحمان برقوق: عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رئيس التحرير

الدكتورة: عبيدة صبطي

هيئة التحرير

أ.د عبد العالي دبلة

أ.د علـــــي آجقو

أ.د نور الدين زمام

إعداد وإخراج

د. عبيدة صبطي

الهيئة العلمية

أ.د/ سلاطنية بلقاسم، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / علي آجقو، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / زمام نور الدين، جامعة بسكرة، الجزائر	أ.د/ عبد العالي دبلة، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / نصر الدين جابر، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د/ الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / حسان الجيلاني، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / عبد العزيز علي الخزاعي، جامعة الأردن
أ.د /ديديي لوساوت، جامعة باريس 8 ، فرنسا	أ.د / عبد الرزاق الدليمي، جامعة البترا، الأردن، عمان
أ.د / محمد المري محمد اسماعيل خليل، جامعة الزقازيق، مصر	أ.د/ فريد الماسوي، جامعة باريس 8، فرنسا
أ.د / دحو فغرور، جامعة وهران ، الجزائر	أ.د / علي قوادرية، جامعة سكيكدة ، الجزائر
أ.د / ميلود سفاري، جامعة سطيف ، الجزائر	أ.د/ الحايس عبد الوهاب جودة، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان
أ.د / مـــــراد بوطبـــة ، جامعة أم البواقي	أ.د/ أشرف صالح محمد سيد، جامعة ابن رشد، هولندا
أ.د/ عبد الحميد جفال، جامعة عنابة ، الجزائر	أ.د/ رشيد حمدوش، جامعة الجزائر2
أ.د/ الهاشمي مقراني، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر	أ.د / معن خليل العمر، جامعة سيدني، استراليا
أ..د / ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة ، الجزائر	د / صالح محمد حميد، جامعة الصنعاء، اليمن.
أ.د/ نور الدين تاوريرت، جامعة بسكرة ، الجزائر	د/ سعيد العبدولي، جامعة قرطاج، تونس
د/ فكري لطيف متولي، جامعة الشقراء، المملكة العربية السعودية.	د/عفراء ابراهيم خليل إسماعيل العبيدي، جامعة بغداد، العراق.

المحتويات

الافتتاحية		11
الدراسات الاجتماعية		
01	تكنولوجيا الإتصال و العلاقات الإنسانية في التنظيم الإداري (دراسة ميدانية) أ.د/ عبد الرحمان برقوق، الباحث: مصطفى محجوبي جامعة بسكرة، الجزائر	15
02	الشباب بين الحاجات والمشكلات أ.د/ عبد العالي دبلة، أ/ عباسي يزيد جامعة بسكرة، الجزائر	37
03	التمثلات الاجتماعية للاعاقة في تونس دراسة سوسيولوجية ميدانية الباحثة: رانية غويل، جامعة تونس	51
04	الثقافة النقابية و الكفاءة المهنية في ظل العولمة أ/بن حمزة حورية، جامعة قسنطينة2 أ.د/ ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة، الجزائر	79
05	مشكلة التلوث البيئي: رؤية علم اجتماعية أ/ نوار بورزق، جامعة عنابة، الجزائر	97

06	أثر أنماط القيادة الإدارية على تنمية المهارات لدى الموارد البشرية أ/ سامية زيتوني، جامعة عنابة، الجزائر	113
	الدراسات الفلسفية	
07	الحداثة الغربية في ميزان النقد العربي عبد الوهاب المسيري أ.د/ أحمد ملاح ، جامعة وهران، الجزائر أ/ وفاء برتيمة، جامعة بسكرة، الجزائر	129
	الدراسات النفسية و التربوية	
08	تطور بنية العائلة الجزائرية وفق مفهومي العمودية والأفقية أ.د/ نصر الدين جابر، الباحث: خيذر عمارة جامعة بسكرة، الجزائر	149
09	فاعلية برنامج ارشادي قائم على التواصل الكلي لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعيا د/ محمد علي حسن ابراهيم جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية	169
10	اختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية - دراسة ميدانية بـ (جامعة الجزائر -2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة)- د/ حسين غريب، جامعة الجلفة، الجزائر	213
11	التواصل البيداغوجي ومتغيراته: مقاربة تحليلية في ضوء نظريات الإعلام اللسانيات أ/ مختار بروال، جامعة أم البواقي، الجزائر	243

الدراسات الإعلامية		
12	**دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية، دعم ثقافة المواطنة، ترسيخ الثقافة الدستورية** **د/ علي مصباح محمد الوحيشي ، جامعة الزاوية، ليبيا**	**275**
13	**علاقات الصداقة، بين الواقعي والافتراضي** **د/ عزيز لعبان، الباحث: محمد الأمين لعليجي، جامعة الجزائر 3**	**295**
الدراسات التاريخية		
14	**الإدارة البريطانية في جنوب السودان 1899-1955** **أ/ محمد الطاهر بنادي، جامعة بسكرة، الجزائر**	**319**
15	**مكانة الأوراس الحضارية في العصر الحجري القديم المتأخر والنيوليتي** **أ/ لخضر بن بوزيد، جامعة بسكرة، الجزائر**	**339**
الدراسات باللغة الأجنبية		
16	**Approche psychologique de la resistance aux changements chez Les enseignant D'E.P.S** **Dr .Rachid ALOUANE, Université d'Alger 3**	**03**
17	**La mise en texte de la ville d'Alger dans la trilogie policière de Yasmina Khadra : Morituri, Double blanc et L'Automne des chimères** **Aziza Benzid , Université de Batna, Algerie**	**27**

الافتتاحية

ها نحن نعود بحمد الله لنطل عليكم بعدد جديد من مجلة "علوم الإنسان والمجتمع" مع مطلع الدخول الجامعي **2016/2015**. وفي الوقت الذي ترتفع فيه درجة حرارة الجو يشعر الإنسان بأنه في أمس الحاجة إلى النسائم الرطبة التي تجلبها المعرفة المتنامية والتغيرات الثقافية والاقتصادية والتحولات الاجتماعية.

ولهذا جاءت صفحات مجلة "**علوم الإنسان والمجتمع**" هذا الفصل بالعديد من القضايا الاجتماعية والفلسفية والنفسية والتربوية والإعلامية والتاريخية كأنها نسائم من خريف ذهبي يحاول أن ينفض الطبيعة من مواتها القديم، ليفتح الطريق أمام البحث و التجديد.

حيث تناول هذا العدد **ست دراسات اجتماعية** عالجت الأولى تكنولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية في التنظيم الاداري، أما الدراسة الثانية فتناولت الشباب بين الحاجات والمشكلات، وأما المقالة الثالثة فقد عالجت التمثلات الاجتماعية للإعاقة في تونس، وأما الرابعة فتناولت الثقافة النقابية والكفاءة المهنية في ظل العولمة.في حين تناولت المقالة الخامسة مشكلة التلوث البيئي.بينما عالجت الدراسة الأخيرة، أثر أنماط القيادة الإدارية على تنمية المهارات لدى الموارد البشرية.هذا وتناول العدد مقالة فلسفية حول الحداثة الغربية في ميزان النقد العربي لعبد الوهاب المسيري.

كما خصص كذلك في هذا العدد **أربع دراسات نفسية وتربوية**، حيث تناولت المقالة الأولى تطور بنية العائلة الجزائرية وفق مفهومي العمودية والأفقية، بينما تناولت الثانية مدى فاعلية برنامج إرشادي قائم على التواصل الكلي لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعيا، في حين تناولت الثالثة مدى اختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية، بينما تناولت الدراسة الأخيرة التواصل البيداغوجي ومتغيراته.

وتتعرض صفحات مجلة علوم "الإنسان والمجتمع" أيضا في هذا العدد للعديد من القضايا الإعلامية والتاريخية فهي تحاول التعرف على دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية، كدعم ثقافة المواطنة، وترسيخ الثقافة الدستورية، وعلاقات الصداقة بين الواقعي والافتراضي.

كما ترحل المجلة في هذا الفصل إلى السودان ذلك البلد العربي الذي يختزل في تضاريسه ملامح قارة بأكملها، وذلك من خلال التعرف على الإدارة البريطانية في جنوبه، لنستعرض بعد ذلك مكانة الأوراس في العصر الحجري القديم.

وكعادة مجلة علوم "الإنسان والمجتمع"، فهي مثل كل عدد، تقدم لك عزيزي الباحث، دراستين باللغة الأجنبية، في مجالي النشاط البدني والرياضي و الأدب البوليسي الجزائري.

رئيس التحرير

الدكتورة: عبيدة صبطي

الدراسات الاجتماعية

تكنولوجيا الاتصال و العلاقات الإنسانية في التنظيم الإداري

(دراسة ميدانية)

الأستاذ الدكتور: عبد الرحمان برقوق، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحث: مصطفى محجوبي ، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

أصبحت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أحد أهم أبعاد العملية الإدارية وأحد أهم محددات كفاءة وفاعلية التنظيم الإداري، إلا أن إستخدامها في العمل يفرض تغيرات على مستوى الاتصال والعلاقات الإنسانية المتبادلة بين الموظفين وعلى مستوى الحاجات النفسية والإجتماعية لأعضاء التنظيم الإداري، ومن أجل ذلك جائت هذه الدراسة التى تتطرق إلى إستخدام تكنولوجيا الإتصال والمعلومات الحديثة في العمل الإداري والنتائج المترتبة عنها على مستوى العلاقات الإنسانية بين الموظفين وتطرح تساؤلا مفاده: كيف تساهم تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة في تنمية العلاقات الإنسانية بين الموظفين الإداريين؟.

Abstract:

Information and communications technology has become one of the most important aspects of the administrative process and one of the most important determinants of efficiency and effectiveness of administrative management, the use of ICT or labor imposed changes in communication and human relations between staff and or level of psychological and social needs of members of administrative organization, and for this came the study on the use of information and communication technologies in administrative work and its consequences or level of human relations and pose a question to the effect: How to contribute the information and communication technologies in the development of human relations between the administrative staff ?

مقدّمة:

شهد العالم عبر العصور تطورات تكنولوجية هائلة في شتى المجالات، إذ غيرت هذه التطورات نمط حياة الإنسان، ومن ضمن أكبر المجالات التي شهدت تغيرا وتطورا كبيرا عبر الزمن مجال الإتصال حيث عرف هذا المجال عدة مراحل متعاقبة منذ البدايات الأولى للإنسان اصطلح عليها بثورات الاتصال. فمن الثورة الأولى التي عرف فيها الإنسان الكتابة، مرورا بالثورة الثانية التي بدأت مع إختراع الطباعة، في حين كانت الثورة الثالثة في أواخر القرن التاسع عشر عندما استطاع الإنسان إكتشاف الكهرباء والموجات الكهروميغناطيسية والقيام بأول اتصال الكتروني فوري. أما الثورة الرابعة فقد بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين مع إختراع أجهزة الإعلام الآلي والأقمار الصناعية التي أحدثت تغيرا جذريا في النظام العالمي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، حتى وصل الإنسان إلى الثورة الخامسة التي ظهرت في عصرنا هذا حتى سمي بعصر تكنولوجيا الاتصال نظرا لإقتحامها – تكنولوجيا الاتصال- جميع مجالات الحياة كالصحة والتعليم والإدارة. حيث أصبح استخدام تكنولوجيا الاتصال في هذا الأخير – مجال الإدارة- جزئا لا يتجزأ من واقع العمل اليومي للموظف الإداري.

أولا: تعريف وتحديد مشكلة الدراسة:

1-الإشكاليـــة:

جاء استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الإدارة تماشيا مع عصر شهد فيه العالم تقدما كبيرا في نظام الاتصال والمعلومات وباتت فيه المعلومات من أهم أشكال ومصادر القوة وعاملا مؤثرا على جميع الأنشطة التي يقوم بها الأفراد والتنظيمات الإدارية، وأصبحت فعالية الإدارة تقاس بمدى إمتلاكها للمعلومة الصحيحة وكذا بمدى سرعة استرجاع وتخزين هذه المعلومات. وبهذا أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أهم معاير تصنيف المنظمات والإدارات من حيث التقدم والتطور، ومن حيث الاستخدام ومن حيث

الامتلاك كمية الوسائل ونوعيتها، وكذا خبرة الموارد البشرية التي تسير هذه الوسائل التكنولوجية.

إن قيام الموظفين الإداريين بالأنشطة والعمليات والمهام الإدارية اليومية الموكلة إليهم داخل التنظيم الإداري بإستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات يتم في غالب الأحيان عن بعد و دون اللقاء المباشر بينهم مما يقلل من حجم الاتصال المباشر المتبادل بين موظفي الإدارة الواحدة، على الرغم من أهميته البالغة في التنظيم الإداري. إذ يؤدي الإتصال المباشر عدة وظائف أهمها تشكيل العلاقات الإنسانية بين الموظفين بإختلاف مهامهم ومستوياتهم الإدارية.

تنطوي العلاقات الإنسانية على تكوين جو من الثقة والإحترام المتبادل بين المرؤوسين وإدارتهم سعيا وراء تحقيق الأهداف الخاصة بالإدارة وبكفاءة عالية وفاعلية مؤكدة. كذالك فإن الفرد بحاجة إلى الشعور بالإنتماء إلى فريق العمل الذي يعمل معه حيث تركز الإتجاهات الإدارية الحديثة على أن علاقة الفرد بزملائه و رؤسائه في العمل تعتبر من العوامل الأساسية التي تؤثر في سلوكه.

وبإعتبار الاتصال هو عصب العملية الإدارية في شكلها الرسمي وفي نفس الوقت أساس تشكل العلاقات الإنسانية بين العاملين فمن الواضح أن أساليب وطرق ووسائل الاتصال وكفاءة العمليات الاتصالية السائدة في التنظيم الإداري هو أحد أبرز العوامل المحددة لنمط العلاقات الإنسانية، طالما أن تلك العمليات تحقق عدة أهداف أهمها نقل الإدارة للأفراد والجماعات معلومات صحيحة عن سياساتها وبرامجها وأهدافها بدرجة فائقة من الوضوح والدقة، كما أنها تساعد على التعرف على أراء واتجاهات هؤلاء الأفراد والجماعات والإستماع لمقترحاتهم وشكاويهم واحتياجاتهم.

وبذالك فإن أي تغير يطرأ على بنية أو شكل العملية الاتصالية قد يؤثر على الجهاز الإداري ككل بما في ذلك حجم ونوعية العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات العاملين في التنظيم.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة وهي محاولة لكشف عن التغيرات التي قد تحدثتها تكنولوجيا الإتصال والمعلومات على مستوى العلاقات الإنسانية بين أعضاء التنظيمات الإدارية وذلك بطرح التساؤل الأتي:

كيف يساهم إستخدام تكنولوجيا الإتصال والمعلومات في تنمية العلاقات الإنسانية بين العاملين في التنظيم الإداري ؟

2.أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من أهمية موضوعها وهو الإتصال الإداري و تنمية العلاقات الإنسانية في الإدارة وهي محاولة لتوجيه الأنظار نحو ضرورة الإهتمام بالجوانب الإنسانية في العملية الإدارية بحيث تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على موضوع الإتصال الإداري في ظل المتغيرات التكنولوجية بالدراسة والتحليل وعلى العلاقات التي تربط نسق الإتصال بغيره من الأنساق في التنظيم الإداري.خاصة وأن أغلب الدراسات التي تناولت تكنولوجيا الاتصال كانت تركز على الجانب التقني والفني أو على جانب الأداء والعائد الإقتصادي متجاهلة الجانب الإنساني، كما تسلط هذه الدراسة الضوء على موضوع العلاقات الإنسانية بين الموظفين وتحاول الكشف عن بعض أهم العوامل المؤثرة في هذه العلاقات.

3. أهداف الدراسة:

تميز البحث العلمي عن غيره من البحوث بالموضوعية والمنهجية والهادفية، وإن كون هذه الدراسة علمية فإن هدفها هو الإجابة عن التساؤل المطروح في الإشكالية من خلال ما يلي:

- محاولة التعرف على الدور الإنساني للموظف الإداري، وستلزم هذا الأمر إستطلاع جميع العوامل النفسية والإجتماعية للفرد في محيط العمل وعلاقة هذا النسق بالأنساق الأخرى في التنظيم الإداري.

- التعرف على واقع العلاقات الإنسانية في الإدارة، وهذا في ظل ما يطرح من مشاكل في التفاعل وضعف في العلاقات بين الموظفين والمسؤولين.
- التعرف على العوائق التي تحول دون قيام علاقات إنسانية بين الموظفين، أملا في المساهمة في التوصل إلى بعض الحلول التي تساهم في تحسين جو العمل.

ثانيا: الإقتراب النظري للدراسة

1.2 مفهوم تكنولوجيا المعلومات والإتصالات:

لقد شهد هذا العصر تطورا هائلا وغير مسبوق في جميع المجالات لاسيم في مجال الإتصال فظهر مصطلح تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات إلا أنه ليس هناك تعريف محدد لعبارة «تكنولوجيا الاتصال» رغم شيوع استخدامها. فقد عرفت على أنها كل القنوات الجديدة التي يمكن من خلالها نقل وبث الثورة المعلوماتية من مكان لأخر[1].

وقال عنها إبراهيم بختى أنها "جميع الإستعمالات من حواسيب وشبكات سلكية ولا سلكية وتتمثل هذه التكنولوجيا عادة في أجهزة الإتصال من هاتف وفاكس وانترنت وهى تستخدم بغرض أداء المهام في مجال إدارة الأعمال"[2]. حيث يلاحظ تركيز التعرفين على الجوانب المادية من التكنولوجيا دون الاهتمام بالجوانب اللامادية والمهارية والفكرية.

وعرفها المعجم الإعلامى بأنها "مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات و الوسائل المادية والإدارية والتنظيمية، المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخزينها وإسترجاعها ونشرها وتبادلها أي توصيلها إلى الأفراد و المجتمعات[3].

ومما سبق يمكن إعتبار تكنولوجيا الإتصال الإداري: هى مجموعة الأدوات والوسائل والمعارف والتقنيات والأساليب التي تستخدم في معالجة ونقل وتبادل

المعلومات والأفكار بين أعضاء التنظيم الإداري، أفرادا أو جماعات على إختلاف مستوياتهم في الهيكل التنظيمي.

2.2 أشكال التكنولوجيا في الإدارة:

لقد أدى التطور الكبير في وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات إلى التفكير في الاستعانة بها في الأعمال والوظائف الإدارية، من اجل التقليل من الضغط ومواكبة العمل الإداري للتطور الحاصل في المجتمع وقد سمحت تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالاستخدام الفعال للمعلومات في الإدارة من خلال:

- تحويل، تخزين ومعالجة كل أنواع المعلومات، (صورة، صوت كتابة) في شكل معطيات رقمية موحدة.
- نقل هذه المعلومات فى كل أنحاء العالم باستخدام الشبكة العنكبوتية الأنترنت
- ترجمة المعلومات المستقبلة وتحويلها إلى الشكل المرغوب فيه.
- تمكين الإدارات بالاتصال بطريقة سريعة ومستمرة عن طريق الشبكات.
- تغيير طرق الاتصال عن طريق البريد الالكتروني وشبكة الانترنت[4].
- ويتحقق ما سبق ذكره من وظائف ومهام عن طريق عناصر تكنولوجيا الإتصال والمتكونة أساسا مما يلي:

أ- (الأجهزة) **The hard Ware**: وتتضمن كافة المكونات المادية المستخدمة في إدخال ومعالجة وإخراج البيانات والمعلومات وتتكون من[5]:

- **وحدات إدخال**: هى حلقة وصل بين الحاسوب وبين المستخدم وتقوم بتلقى البيانات من الوسط الخارجى إلى وحدة المركزية وتتكون وسائل الإدخال المباشرة مثل: لوحة المفاتيح، القلم الضوئي والفأرة والماسح الضوئي.

- وحدة معالجة المركزية: وتتمثل هذه الوحدة الجزء الرئيسى من منظومة الحاسب التى تم فيها معالجة البيانات لتوليد المخرجات المطلوبة وتتكون من: وحدة الحساب، وحدة التحكم، وحدة الذاكرة الرئيسية والمعالج المركزي .
- وحدة الإخراج: وتؤدي مهمة إيصال الحاسب للوسط الخارجى لنقل النتائج المتولدة عن عمليات المعالجة من وحدة الذاكرة المركزية إلى جهات المستفيدة وأهم هذه الوسائل: الشاشة الضوئية، الطابعة.
- وحدة الذاكرة الثانوية: وتستخدم لأغراض خزن مخرجات النظام المعلومات، لفترات طويلة بسبب محدودية الطاقة الاستيعابية، التى يحتم إضافة الذاكرة الثانوية ومن أهم الوسائط الشائعة، الأشرطة المغناطيسية، الأقراص المغناطيسية.

ب- **البرمجيات والتطبيقات** The Soft Ware: هى عبارة عن جميع المجموعات والتعليمات الخاصة بمعالجة المعلومات ويمكن تصنيفها إلى:

- نظام البرمجيات: مثل برامج نظام التشغيل والذي يدير ويساند عمليات نظام الحاسوب وهى برامج متكاملة وضرورية لتشغيل الحاسب الألى وملحقاته.
- **تطبيقات البرمجيات**: وهى برامج تقوم بالمعالجة المباشرة لأجل الاستخدام الشخصى مثل: برامج التخزين والأرشيف، برامج الرواتب وغيرها من البرامج الثانوية التي يستخدمها الموظفون حسب الحاجة لها... إلخ.

ت- **الشبكات**: وهى مجموعة من أجهزة الكومبيوتر مرتبطة ببعضها في شكل شبكة من أجل نقل المعلومات في ما بينها وتنقسم لعدة أنواع منها:

الإنترنت: هى شبكة إتصالات عالمية تربط الآلاف من شبكات الكومبيوتر بعضها ببعض ويستخدمها الملايين من مستخدمى الحاسبات الإلكترونية حاليا على مدار الساعة في معظم أنحاء العالم خاصة المؤسسات الحكومية والجامعات

والشركات الكبرى والبنوك[6] ، فهى تشكل فضاء ضخما حيث تستطيع الإدارة الاتصال بسهولة وبسرعة مع الشركاء المناسبين لها ، فهى أداة قوية جدا لكن استعمالها لتطوير الخدمات الإدارية فيه بعض الحدود كالأمن والأداء المضمون.

- **الإكسترنت** : وتسمى أيضا الشبكة الإضافية، وهى شبكة تدمج الإدارة بشركائها الأساسيين أو المستهدفين، عن طريق الإكسترانات، و يمكن القول أن شبكة الإكسترانات هى شبيهة إلى حد ما بنظام التبادل الإلكترونى للبيانات، وتمنح الدخول إلى الأشخاص الذين يكونون جزء من الإدارة لكن لديهم دخول مميز لبعض المعلومات، كل مستعمل خارجى يستقبل اسم للاتصال وكلمة المرور التى تمنح له الدخول إلى شبكة الإكسترانات أو جزء منها فقط، فمثلا يمكن للموظف أن يصل إلى حساباته ولكن لا يمكنه الوصول إلى حسابات الموظفين الأخريين فى الإدارة[7].

- **الأنترانت**: هى شبكة داخلية في الإدارة حيث يكون كل الكمبيوترات داخل الإدارة مرتبطة من خلال شبكة تسمح بتبادل المعلومات بين مختلف الموظفين والأقسام، و يكون انتشار المعلومات داخل الإدارة أكثر سهولة وسرعة واتساعا، وبالتالى فهى تسمح بمضاعفة قواعد البيانات وإبطال الحواجز بين مختلف الأقسام من خلال تطوير الاتصال الداخلى والربط بينهم مما يعطى سرعة اكبر لعملية إتخاد القرارات. فالانترانت هى شبكة صممت فقط من أجل الإجابة على الاحتياجات الداخلية للإدارة وتستعمل هذه الشبكة نفس تكنولوجيا موقع الويب العام لكنه لا يمنح الدخول إلا للموظفين أو الأفراد المسموح لهم في الإدارة[8].

ث- **الأفراد**: وهم الذين يقومون بإدارة وتشغيل تكنولوجيا المعلومات من إداريين ومتخصصين وقد تفوق أهمية العنصر البشري في إدارة وتشغيل نظام المعلومات على المستلزمات المادية.

3.2 تطبيقات التكنولوجيا في الإدارة

إن تطـور تكنولوجيـا الإتصـال والمعلومـات سـاهم في اسـتغلال هـذه التكنولوجيا داخل الإدارة من أجل التسيير اليومي لمختلف المهام، وذلـك لمواجهـة التغيرات المستمرة التي تحدث في المحيط و التي تُرغم الإدارة على مواكبتهـا لتضـمن إستمراريتها وقد ترجم ذلك بإبتكار أنظمة توكل لها مهام جمع، تخزين، معالجـة و نشر المعلومات ونذكر من بينها:

أ- نظم المعلومات: تعد نظم المعلومات الإدارية من الأصول الأساسـية لـلإدارات في العالم المتقدم، فقد أصبحت تؤدي دورا هاما في تهيئة الأقسـام الإداريـة بفاعليـة وكفاءة لتحقيق الأهداف البعيدة والقريبة المدى, وعليه أصـبحت نظـم المعلومـات الإدارية تؤدي دور العمود الفقـري للتنظـيم الإداري فهـي تـوفر الجـانبين الإداري والتقني في أن واحد. فنظام المعلومات هو ذلك النظام الذي يقوم بتجميع البيانـات والمعلومات وحفظها وتحليلها ووضـعها في قاعـدة متكاملـة للمعلومـات وبطريقـة تساعد على تحقيق الإجابة على مجموعة من الأسئلة الإستراتيجية والتشغيلية[9]

ويعتقد البعض أن نظم المعلومات ما هي إلا تحويـل الأعمـال اليدويـة إلى أعمال تؤدى بالحاسب الآلي، كما يظن البعض أن مجرد اقتنـاء وتشـغيل حاسـوب آلي كفيل بتوفير الحلول للمشـكلات الـتي تتعـرض لهـا الإدارة وإتخـاذ القـرارات بشـأنها وهنـا يجـب التأكيـد علـى أن الحاسـوب لا يغـدو إلا أن يكـون أداة مـن الأدوات المستخدمة في نظم المعلومات ويمكن استخدام أنواع مختلفة مـن الإدارات المتباينة من طرق يدوية إلى أجهزة الحواسب الآلية المتطورة .

وتتيح نظم المعلومات الإدارية العمل على تطوير بنى النظم بـالإدارات, مما يوفر المعلومات المناسبة بالصورة المناسبة لمختلـف المسـتويات الإداريـة, وذلـك لدعم جميع الوظائف الإدارية كـالتخطيط والرقابـة والوظـائف التنفيذيـة في الإدارة عـن طريـق تـوفير المعلومـات الـتي تسـاعد في عمليـة صـنع القـرارات في الوقـت المناسب, بالإضافة إلى تطوير وتحسين حركة الإتصال وتدفق المعلومات بـين جميـع

المعلومات ألأقسام والمستويات الإدارية. فمشكلة الإدارة تتمثل في الكم الهائل من المعلومات غير المناسبة التي تتوفر وليس في نقص المعلومة المناسبة.

ب- **الحكومة الالكترونية**: يعد مفهوم الحكومة الإلكترونية من أبرز المفاهيم التي أدخلتها ثورة المعلومات وشبكة الأنترنت في الحياة اليومية للمواطنين فقد ظهرت نتيجة لتطورات تقنية متفاعلة مع الإنسان على مستوى جغرافي واسع، فمفهوم الحكومة الإلكترونية أوسع من كونه برمجيات وحواسيب وشبكات وغيرها من التقنيات، بل هي إدارة شاملة فلسفية ينطوي عليها إجراء تغيير نوعي يهدف إلى إعادة النظر بمفاهيم الإدارة العامة ومضامين الخدمات التي تقدمها، فهي صياغة لواقع جديد في ضوء العلاقات التبادلية بين الأجهزة الحكومية من جهة وجمهور المستفيدين من جهة أخرى في أي مكان وزمان، فعلى الرغم من أن مصطلح الحكومة الإلكترونية يحتوي على كلمة إلكترونية، إلا أنه ليس مصطلحا تكنولوجيا بحثيا، بل مصطلحا إداريا يعبر عن التحول الجذري في المفاهيم الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والتسويقية، وعلاقة الأفراد والمؤسسات مع بعضها البعض.[10]

ت- **التجارة الإلكترونية**: هي نظام يُتيح عبر الإنترنت حركات بيع وشراء السلع والخدمات والمعلومات، كما يُتيح أيضا الحركات الإلكترونية التي تدعم توليد العوائد مثل عمليات تعزيز الطلب على تلك السِلع والخدمات والمعلومات، أو هي كل بيع يتم على حاسوب تفاعلي لشبكة إلكترونية وهي عدة أنواع نذكر منها التجارة الإلكترونية بالتجزئة: التجارة الإلكترونية مابين المؤسسات تجارة الإلكترونية مابين المستهلكين.

ث- **الصيرفة الإلكترونية**: المقصود بها هو إجراء العمليات المصرفية بطرق إلكترونية أي استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، سواء تعلق الأمر بالسحب أو الدفع أو الائتمان أو التعامل في الأوراق المالية، وهذا النوع من الصيرفة لا يكون العميل مضطرا للتنقل إلى البنك ويمكنه القيام بعملياته المصرفية عن بعد. فالبنك الإلكتروني هو مؤسسة مالية تعتمد في تقديم خدماتها على الأساليب

الإلكترونية والتي من أبرز أشكالها الانترنت وقدمت هذه البنوك تغييرا كبيرا في نوعية وطبيعة الخدمات المصرفية، كوسائل الدفع الحديثة ومن أهم أنواعها بطاقات الائتمان، الهاتف المصرفي، محفظة النقود الإلكترونية[11]

4.2 مفهوم العلاقات الإنسانية:

تنطوي العلاقات الإنسانية على خلق جو من الثقة و الإحترام المتبادل بين المرؤوسين و إدارتهم سعيا وراء تحقيق الأهداف الخاصة بالإدارة وبكفاءة عالية وفاعلية مؤكدة. فقد قال "كيت ديفز" أن العلاقات الإنسانية << تقوم على التفاعلات بين الناس حيث يجتمعون في تشكيلات لتحقيق أهداف محددة فالعلاقات الإنسانية هي فن وعلم تهدف لتحقيق التكامل بين الناس في موقف يدفعهم إلى العمل معا بشكل منتج ومتعاون فيه رضا إقتصادي وإجتماعي ونفسي >>[12]. أي أن العلاقات الإنسانية تؤدي إلى إرتفاع الإنتاجية وزيادة الفعالية التنظيمية وإيجاد أفراد سعداء يشعرون بالرضا عن أعمالهم.

وقد عرفت كذلك على أنها << الناتج العام للموقف الإجتماعي الذي يوجد فيه الفرد ذالك الموقف الذي يسير نوعا من العلاقة بين الفرد وغيره من الأفراد ويتيح لكل واحد من أفراد المجموعة أن يعرف نفسه ويعرف غيره ويدرك العلاقة بينه وبين الأخرين ويعمل على تحسين هذه العلاقة>> [13]. ومن التعريفات السابقة يمكن القول أن مفهوم العلاقات الإنسانية يتضمن:

- ✓ التركيز الواضح على العاملين أكثر من الجوانب الإقتصادية والفنية الميكانيكية التركيز على مبدأ إثارة دافعية العاملين في الأقسام الإدارية التي يعملون بها.
- ✓ التركيز على العمل الجماعي الذي يستلزم تنسيق الجهود والتعاون في ما بين القائمين بالأعمال تجنب الإنحرافات السلوك داخل الإدارة وتحسين نمط المعيشة.

وبهذا يمكن تعريف العلاقات الإنسانية بأنها تلك العلاقات التي تجمع بين الناس على إختلاف مستوياتهم في مجال العمل وتدفعهم للعمل سويا متفاهمين

ومتعاونين ومنتجين والتي تعمل على إشباع حاجات الموظفين المختلفة وحثهم على التعاون والتفاهم لتحقيق رضاهم النفسي والإجتماعي وأهدافهم المشتركة و أهداف المنظمة التي يعملون بها.

5.2 أسس العلاقات الإنسانية:

تعتمد العلاقات الإنسانية على مجموعة من الأسس التي هي بمثابة القاعدة الفلسفية لتلك العلاقات، وتتمثل هذه الأسس فيما يلي:

أ- التركيز على حاجات الأفراد: بحيث تركز على الأفراد أكثر من تركيزها على الجوانب المادية في الأداء حيث يتأثر الناس في سلوكهم داخل المصنع باحتياجاتهم[14] المتعددة التي لابد من إشباعها حسب درجة أولويتها، وإذا كان الأمر كذالك فإن لكل موظف أيضا حاجات ورغبات أساسية لابد من لإشباعها ولهذه الحاجات تأثير كبير عليه من النواحي النفسية والعاطفية

ب- المصالح المشتركة: تقوم المصالح المشتركة على أساس التوافق بين مصلحة الفرد ومصلحة المنظمة التي يعمل بها وكذلك بين مصالح الأفراد كمجموعات الأفراد كمجموعات ومصالح المنظمة التي يعملون بها، فعندما يختار الفرد المنظمة التي يريد العمل بها وكذلك عندما يختار العمل الذي يعتقد أنه يناسبه أكثر من غيره في تلك المنظمة من حيث إنسجام هذا العمل مع قدرات ومعارف وميول ورغبات الفرد فإن هذا الأخير يشعر بإمكانية إشباع حاجاته بصورة أحسن في القيام بهذا العمل دون غيره ومقابل ذالك فعندما تستقطب المنظمة هذا الفرد للعمل بها فهي من أجل المساهمة أكثر في زيادة درجة فاعليتها و في تحقيق الأهداف

ت- الاختلافات الفردية: والمقصود بالاختلافات الفردية وجود فروق في خصائص وصفات الأفراد، وذلك من حيث العواطف والمشاعر والأحاسيس والميول والدوافع والقيم والإتجاهات والقدرات والمهارات وغير ذالك من محددات السلوك، فالأفراد ليسو صورا عن بعضهم البعض، وإنما لكل كيانه وشخصيته

المتميزة، ويقول أهل الإختصاص أن هذه الإختلافات تعود بطبيعتها إلى عوامل وراثية، وأخرى مكتسبة ذات خلفية إجتماعية وثقافية وحضارية وتاريخية .

ث- الدوافع: إختلفت الآراء حول تحديد مفهوم دقيق للدوافع ولوم يصل الباحثون بعد إلى تعريف دقيق للدوافع فيعتبر الدافع أوسع المحركات الداخلية للسلوك مفهوما فهو يشمل في مفهومه الواسع جميع أسباب السلوك وبواعثه ومحركاته الداخلية التي تدفع الإنسان إلى عمل سلوك معين والإستمرار في هذا العمل أو السلوك مدة معينة من الزمن حتى يتحقق الهدف المقصود للشخص وبذالك يشبع الدافع وينزل التوتر ويتحقق الإستقرار .

ج- الكرامة الإنسانية: الكرامة الإنسانية إذا هي الأساس المعنوي للعلاقات الإنسانية فالإنسان الذي يجهد نفسه ويحقق إنجازا يجب أن يعامل بإحترام وأن يحافظ على كرامته أو بمعنى أخر فالعلاقات الإنسانية لابد أن تبنى على أساس التفاهم والثقة والإحترام المتبادل بين الإدارة والأفراد كما أن الكرامة الإنسانية هي حق لكل فرد يعمل مهما كان بسيط

6.2 أهمية العلاقات الإنسانية:

تركز العلاقات الإنسانية على الأفراد أكثر من تركيزها على الجوانب الاقتصادية أو المادية وهي ليست مجرد كلمات طيبة أو عبارات جميلة وإنما هي تشير إلى تفهم عميق لقدرات الناس وطاقاتهم وإمكانياتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم واستخدام كل هذه الظروف والعوامل لحفزهم للعمل وتسعى لتحقيق هدف واحد في جو من التفاهم والتعاون والتعاطف والتحاب. وبذلك يمكن القول أن للعلاقات الإنسانية أهمية قصوى لكل من الفرد والمنظمة يمكن تلخيصها كما يلي:

- ✓ خلق وإيجاد روح التعاون والمشاركة الفعالة في القرارات وحل المشكلات.
- ✓ تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد.
- ✓ إشباع حاجيات الأفراد النفسية تحفيزهم بكل مستوياتهم.

- ✓ توجيه سلوك الأفراد بشكل إيجابي.
- ✓ توطيد الصلات بين العمال والقادة.
- ✓ رفع الإنتاجية وتحقيق الأرباح.
- ✓ زيادة الفعالية في المؤسسة أو التنظيم الإداري.
- ✓ تحقيق التطوير التنظيمي.
- ✓ إعطاء صورة حسنة عن المؤسسة أو التنظيم الإداري وأفراده لدى العملاء.

ثالثا: منهجية الدراسة:

1.3 منهج الدراسة:

لابد لكل باحث يرغب في الوصول إلى نتائج علمية من أن يحرص على إستخدام المنهج الذي يناسب طبيعة دراسته، ومن أجل الوصول إلى وصف دقيق للظاهرة أو الحادثة التي يدرسها وذالك بغية الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها والمشكلات التي يدرسها ومن هنا فقد كان المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي .

يقوم المنهج الوصفي على جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة، أو هو دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها, بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها.[15] كما يعرف أيضا أنه " عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها[16] وقد تم الإعتماد على هذا المنهج كونه يستجيب لمتطلبات الوصف والتحليل الذي تهدف إليه الدراسة، من خلال الإستقصاء على الدور الذي تلعبه تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في تنمية العلاقات الإنسانية داخل التنظيم الإداري، وهذا بإستخدام الأدوات التي

يمكن من خلالها جمع البيانات المرتبطة بالدراسة تحليلها، دون إطلاق الأحكام القيمية عليها، فالمنهج الوصفي لا ينطوي على إصدار الأوحكام القيمية، بل يقوم بمتابعة البيانات المحصل عليها وتفسيرها وإكتشاف المعاني والعلاقات الخاصة بها،[17] وهذا هو الهدف الذي تسعى الدراسة بلوغه.

2.3 أدوات جمع المعلومات:

يعتبر الإستبيان أحد أكثر وسائل جمع البيانات استخداماً لدى الباحثين ، فهو يستخدم بشكل كبير جداً في العلوم الإجتماعية ، في الإقتصاد ، في الإدارة ، في كثير من مجالات العلوم التي تعتمد على جمع البيانات من المبحوثين. الاستبيان أحد أكثر وسائل جمع البيانات استخداماً في البحث الاجتماعي على الرغم من أن هناك العديد من الوسائل التي تستخدم لجمع البيانات ، فإن الاستبيان كوسيلة وحيدة أو مستخدماً مع وسائل البيانات الأخرى يعتبر أكثر وسائل جمع البيانات شهرة وانتشاراً. ويعرف على أنه عبارة عن مجموعة من الأسئلة قد تكون مفتوحة أو مغلقة أو كليهما موجهة إلى أفراد مجتمع البحث بهدف جمع معلومات ذات علاقة بأهداف وأسئلة وفروض البحث[18]، وقد أستخدم في هذه الدراسة الإستبيان مغلق.

ألاستبيان المغلق يحتوي على أسئلة ذات إجابات محددة مسبقاً. وفي هذا النوع من الاستبيان، يطلب من المبحوث اختيار الإجابة التي تناسبه، وقد اختيار هذا النوع من الاستبيان كأداة لجمع البيانات لأنها الأداة الأقدر على إستقصاء أراء المبحوثين وقياس وجهة نظرهم عن طريق طرح عبارة وتحديد بدائل للإجابة.

في هذه الدراسة تم الإعتماد على إستبيان مقسم إلى خمسة محاور حيث ان المحور الأول يحتوي على أسئلة البيانات الشخصية للمبحوثين أما المحور الثاني تحت عنوان تكنولوجيا الإتصال والعلاقات الاجتماعية ويحتوي على 10 أسئلة يقيس كل سؤال من هذه الأسئلة مؤشرا من مؤشرات، والمحور الثالث تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات والتعاون وهذا المحور تحت عنوان على 12 سؤالا. المحور

الرابع تحت عنوان تكنولوجيا المعلومات والرضا الوظيفي يحتوي على 14 بندا أما المحور الخامس تكنولوجيا والروح المعنوية للموظفين ويحتوي على 12 سؤالا

3.3 المجال البشري للدراسة

يقصد بالمجال البشري المجتمع الذي جرت فيه الدراسة، والذي يعرفه موريس أنجرس على أنه: " مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر والتي لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة، محددة مسبقا بحيث تمييزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجري عليها البحث والتقصي"[19] وقد أجريت هده الدراسة بمقر ولاية ورقلة على موظفي مديرية الإدارة المحلية، وقد شملت 139 موظفا.

4.3 أسلوب المعاينة في الدراسة:

في هذه الدراسة تم إستخدام أسلوب الحصر الشامل (Complete Census) الذي يعرف بأنه أسلوب جمع البيانات من جميع الوحدات الإحصائية (وحدات المجتمع موضوع الدراسة) دون استثناء، ويهدف الحصر الشامل إلى الحصول على بيانات ومعلومات شاملة عن كل وحدة من وحدات المجتمع سواء كانت هذه الوحدة شخصاً أو أسرة، أو مؤسسة أو أي وحدة أخرى.

يستخدم هذا النوع من الأساليب عندما نرغب في الحصول على بيانات تفصيلية عن جميع وحدات المجتمع وكذلك عندما يجهل الباحث طبيعة المجتمع خاصة إذا لم تنفذ عنه بحوث في السابق. وقد استخدم هذا الأسلوب لسهولة الوصول لجميع عناصر مجتمع البحث، وقد أحريت الدراسة على جميع موظفي مديرية الإدارة المحلية، البالغ عددهم 139 موظفا، مثل ما هو موضح في الجدول أدناه :

جدول رقم (1): تقسيم الموظفين حسب المصلحة

المصلحة	التكرار	النسبة المئوية٪
الصفقات	18	12.95
الميزانية والممتلكات	82	58.99
المستخدمين	39	28.06
المجموع	139	100

رابعا: نتائج الدراسة:

1.4بيانات الدراسة

بعد النزول إلى الميدان و تطبيق أداة البحث تم تفريغ البيانات والحصول على هده الأرقام المبينة الجدول أدناه بحيث يحتوي الجدول على المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية لمحاور الإستبيان حسب إجابات افراد العينة

جدول رقم (2): نتائج إستجابات أفراد العينة حسب محاور الإستبيان

المحور	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري
العلاقات الإجتماعية	**80.33**	**2.41**	**0.70**
الرضا الوظيفي	**77.33**	**2.32**	**0.69**

التعاون	76.67	2.30	0.76
الروح المعنوية	83.50	1.67	0.47

4-2- إستنتاجات الدراسة:

أ-تكنولوجيا المعلومات والإتصال والعلاقات الاجتماعية بين العاملين:

تؤثر تكنولوجيا المعلومات والإتصال على النظام الإجتماعي وعلى مختلف الجماعات والأفراد داخل التنظيم لما لها من دور في عملية التنسيق وبالنظر الى إجابات نتائج الاستبيان فإن بلوغ المتوسط الحسابي العام لمحور تكنولوجيا المعلومات والإتصال والعلاقات الاجتماعية بين العاملين **2.41** بإنحراف معياري **0.70** ما يدل على أن تكنولوجيا المعلومات والإتصال قد أدت إلى الرفع من مستوى العلاقات الإجتماعية بين الموظفين في المديرية محل الدراسة، فكلما توفرت تكنولوجيا المعلومات والاتصال زاد حجم الإتصال بين الإدارة العليا والموظفين التنفيذين بين الموظفين أنفسهم كلما كان الإنسجام والترابط بين أفراد التنظيم مهما كانت مستوياتهم. وفي المقابل إذا حصل سوء إستخدام لهذه التكنولوجيا فإن المعلومات المتداولة بين الموظفين ورؤسائهم كلما قلت درجة الإنسجام بين الجماعات داخل التنظيم فتكنولوجيا المعلومات والإتصالات توفر قنوات جديدة للإتصال بين الأفراد داخل التنظيم. بشكله الرسمي وغير الرسمي.

ب-تكنولوجيا المعلومات والإتصال والتعاون بين العاملين:

روح الفريق عنصر أساس، فالتعاون وروح الفريق يتحققان معاً، وكل منهما يحقق الأهداف المشتركة، وحيث أن التعاون يعتبر من أسس العلاقات الإنسانية، وقد أفرزت إجابات المبحوثين على البنود المتعلقة بالتعاون على لمتوسط حسابي قدره 2.32 الإنحراف المعياري بلغت قيمته 0.69 وهي قيمة عالية تدل على مساهمة تكنولوجيا المعلومات والإتصالات في تعزيز روح التعاون بين الموظفين

من خلال تسهيل نقل وتبادل الخبرات والإستشارات في المعلومات والبيانات الخاصة بالعمل

ج.تكنولوجيا المعلومات والإتصالات والرضا الوظيفي:

للرضا الوظيفي علاقة بالروح المعنوية إلا انه أكثر صعوبة من حيث التعريف ومن حيث صعوبة القياس، لذلك يعتبر الرضا الوظيفي أحد أهم عوامل الإستقرار المهني للموظف فلا يمكن للموظف أن يستقر في عمل دون أدنى درجة رضا عن وضعه المهني. وقد أكدت إجابات المبحوثين في هذا المحور الدور الذي تلعبه وضعية وسائل العمل بما في ذلك تكنولوجيا المعلومات والإتصال في تحقيق الرضا الوظيفي فقد جاء المتوسط الحسابي بقيمة 2.30 والانحراف المعياري 0.76 وتشكل تكنولوجيا المعلومات والإتصالات أحد أهم العناصر التي يجب توفرها للعامل فكلما توفرت الأجهزة والوسائل كلما ازداد رضا العامل عن ظروفه المهنية وكلما حسن إستخدام هذه الأجهزة والمعدات كلما زادت درجة تقدير العامل لنفسه وبهذا تكون تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات قد ساهمت في رضاء العامل عن وضعه المهني وهو جزء مهم من الرضا الوظيفي.

د.تكنولوجيا المعلومات والإتصالات والروح المعنوية:

الروح المعنوية الجماعية هي ذالك المزاج السائد بين أفراد الجماعة والذي يمتعهم بالثقة في الذات وفي الجماعة والإيمان بقيمة الفرد ودوره في خدمة الجماعة والشعور القوي بالإنتماء نحو الجماعة والإستعداد للتضحية والكفاح من أجل تحقيق الأهداف التي ترنو إليها الجماعة وتشعر الجماعة ذات الروح المعنوية المرتفعة بالوحدة والتماسك والتضامن، وكلما زادت العلاقات الإنسانية إنتشارا بين الجماعة كلما إرتفعت روحها المعنوية وكلما تحسنت العلاقة بين الفرد وبين قادته وإزدادت هذه العلاقة توثيقا و إرتباطا كلما إرتفعت روحه المعنوية[20] . وقد أكدت النتائج المتحصل عليها في الدراسة أن وجود تكنولوجيا الإتصال والمعلومات يساعد على الرفع من الروح المعنوية لدى المبحوثين، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذا المحور (1.67) بإنحراف معياري قيمته 0.47 وهي قيم مرتفعة تدل

على أن أفراد العينة يميلون لإستخدام تكنولوجيا المعلومات والإتصالات في أداء مختلف مهام العمل الأمر الذي من شأنه الرفع من مستوى الأداء مما ينعكس إجابيا على مستوى الروح المعنوية لديهم.

خاتمة:

في الأخير وصلت الدراسة إلى إستخلاص نتائجها بعد أن إنطلقت من تساؤل حول دور تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات في تنمية العلاقات الإنسانية، ومرورا بالجوانب النظري والمنهجي والتطبيقي، تمكنت الدراسة من تسليط الضوء على ظاهرة تكنولوجيا المعلومات وعلى قضية العلاقات الإنسانية في الإدارة وإثارة جانب من جوانب العلاقة بيتهما في طرح سوسيولوجي وبشكل منهجي، تمكنت في جانبها النظري. من الوصول إلى أن لتكنولوجيا الاتصال دور هام في التنظيم الإداري من خلال تطوير قدرات الموظفين مما يؤدي إلى تنمية الأداء.

كما تم الوقوف على الدور المهم للعلاقات الإنسانية في مجال العمل الإداري وما يمكن أن يساهم به في تحقيق أهداف أي تنظيم إداري. في حين أثبتت الدراسة الميدانية أن تكنولوجيا الإتصال أصبحت إحدى أهم محددات طبيعة العلاقات الإنسانية التي تتكون بين الموظفين.إلا أن هذا الأمر لا يزال في حاجة إلى البحث والإستقصاء من أجل المساهمة في تطوير العملية الإدارية والإرتقاء بمستوى أدائها حتى تتمكن من أداء كافة الأدوار المنوطة بها بكفاءة وفاعلية فتسهم في رقي وتقدم الإدارة والمجتمع.

❖ هوامش البحث:

(1) ممدوح عبد الهادي عثمان: **التكنولوجيا ومدرسة المستقبل: الواقع الملموس** www.ede.gov.sa. (23/ 02/ 2008).

(2) إبراهيم بختي : **صناعة تكنولوجيا المعلومات والإتصالات وعلاقتها بتنمية وتطوير الأداء**، المؤتمر الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات, جامعة ورقلة, 2005، ص 312.

(3) محمد منير حجاب: **المعجم الإعلامي**، دار الفجر، مصر، 2004، ص 141.

(4) عامر إبراهيم قنديلجي، إيمان فاضل السامرائي: **شبكة المعلومات والإتصالات**، دار المسيرة، عمان الأردن، 2012، ص 38.

(5) إبراهيم سلطان: **نظم المعلومات الإدارية، مدخل إداري**، دار الجامعية، مصر، 2000، ص 41.

(6) عبيدة صبطي وفؤاد شعبان: **تاريخ وسائل الاتصال وتكنولوجياته الحديثة** ، دار الخلدونية ، الجزائر، 2012، ص 174.

(7) عامر إبراهيم قنديلجيي: إيمان فاضل السمرائي، مرجع سبق ذكره، ص 428.

(8) هيثم حمود الشبلي: **إدارة مخاطر الاحتيال في قطاع الاتصالات**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 121.

(9) فلاح حسين الحسنين: **الإدارة الإستراتيجية**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2000، ص 115.

(10) Grant, G and Chau D, Developing a Genrie Framework for EGovernment, Journal of Global Information Management. Vol 13, No 1: pp1- 30, 2005

(11) إبراهيم بختي: **التجارة الإلكترونية، مفاهيم واستراتيجيات التطبيق في المؤسسة**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص 73.

(12) أحمد إبراهيم أحمد: **دور العلاقات الإنسانية في إنتاجية المدرسة : دراسة حالة**، تحديات الإدارة التعليمية، مكتبة المعارف الحديثة، مصر، 2002، ص 331.

(13) أحمد إسماعيل عاجي: **إدارة البيئة التعليم والتعلم النظرية والممارسة في الفصل المدرسي**، دار الفكر العربي، مصر، 2000، ص 38.

(14) كمال حميدي أبو الخي: **الادارة بين النظري والتطبيق**، مكتبة عين الشمس، القاهرة، د ت ن، ص 74.

(15) محمد علي محمد: **علم الاجتماع والمنهج العلمي**، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص 181.

(16) محمد عبيدات وأخرون: **منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات**، ط2، دار وائل للنشر، الأردن، 1999، ص 46.

(17) مصطفى فؤاد عبيد: **مهارات البحث العلمي**، أكاديمية الدراسات العالمية، فلسطين، 2003، ص 19.

(18) هاني عرب: **مهارات التفكير والبحث العلمي**، ملتقى البحث العلمي، www.rsscrs.info.com_21/10/2009_10:23

(19) موريس أنجرس: **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ط 2، ترجمة بوزيد صحراوي وأخرون، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 298.

(20) عبد الرحمن العيسوي: **الإدارة في عصر العولمة**، دار الفكر الجامعي، مصر، 2007، ص 268.

الشباب بين الحاجات والمشكلات

الأستاذ الدكتور: عبد العالي دبلة، جامعة بسكرة، الجزئر

الأستاذ: يزيد عباسي، جامعة بسكرة، الجزئر

الملخص:

تعتبر فئة الشباب أهم فئة فعالة في تقدم أي مجتمع ونموه، وهناك مَنْ يعتبرها أساس التنمية والتحديث والإصلاح بالإضافة للموارد الأخرى، والشباب بهذا المعنى هم رأس مال حقيقى تتوقف فعاليته على طريقة وشكل استثماره وآليات معالجة مشكلاته وإشباع حاجاته، وتحاول هده الورقة معالجة علاقة حاجات الشباب في المجتمع المعاصر بالمشكلات التى يواجهها في حالة عدم اشباعها أو الوفاء بها من قبل مجتمعاتهم.

Abstract:

It may be considered the most effective youth category in the progress of any society to grow and are considered as the basis of development and reform, and others resources, which means that youth is a real capital human resources are efficiency conditioned by the ways and form of its investment and shaping treatment their problems and meet their needs, We will treat this article through the relationship between needs and social problems of youth when they have satisfied their needs.

مقدّمة:

إن فئة الشباب في أي مجتمع إنساني هي الفئة التي يعول عليها في إحداث التغيير والدفع بعجلة التنمية كونها القوة البشرية المفعمة بالنشاط والطاقة الخلاقة، ويرى علماء الاجتماع أن فترة الشباب تبدأ عندما يحاول المجتمع تأهيل الفرد لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا ضمن أدوار البناء الاجتماعي، ولكي يقوم الشباب بذلك فإن هناك العديد من الحاجات التي أصبح لزاما على مؤسسات المجتمع المعنية بالشباب الوفاء بها، خاصة وأن الحياة المعاصرة أملت احتياجات جديدة التقصير فيها سيؤدي لا محالة إلى مشكلات تجعل من فئة الشباب تتراجع عن قيامها بأدوارها، وتصبح عبء اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بكل المقاييس، فأي علاقة تلك بين الوفاء بحاجات الشباب والوقوع في المشكلات الاجتماعية؟

أولا: مرحلة الشباب و خصائصها

تعتبر فترة الشباب مرحلة التحول المهمة في حياة الفرد، انطلاقا من انتقاله من الاعتماد على الآخرين إلى الاعتماد على الذات و لو نسبيا، بالإضافة إلى اكتمال النمو الجسمي و العقلي و العاطفي، فمن الناحية الجسمية تشهد هذه المرحلة تحولات عميقة في ملامح جسم الشباب حيث تتراجع الرهافة و رقة القسمات المميزة لمرحلة الطفولة و تحتل محلها الفظاظة السنية التي ترجع إلى اختلاف نسب أعضاء الجسم و أطرافه.

كما تعرف هذه المرحلة نموا عضليا يسبق النمو العظمي الشيء الذي يشعر الشباب بالتوتر في العظام و ازدياد سعة القلب، مما يزيد من سعة الشرايين و قوتها ويرفع من ضغط الدم و تظهر أعراض ملازمة لذلك أهمها الإحساس بالصداع والإعياء، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هناك تباين على مستوى السن، من الذي يبدأ عنده التغير و التحول من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة، الشيء الذي يجعل الشباب في مختلف المجتمعات يتباينون في انتقالهم من مرحلة

الطفولة إلى مرحلة المراهقة، حيث هناك من تنطلق مبكرا لديهم هذه المرحلة و هناك من تتأخر ملامحها لديهم.

و في المنحى ذاته هناك من الشباب من يبدأ نموه بالنضج الجنسي و هناك من يبدأ نموه بالنمو العضلي الهيكلي، الشيء الذي يجعل الشباب يمر بفترات حرجة نتيجة للتوترات التي تفرزها عملية النمو في جوانب متعددة، ويتفق الباحثون المنشغلون بموضوع المراهقة والشباب أن قدرات هذا الأخير تتجه نحو الاكتمال ويقترب نمو العقلي إلى المستوى المقبول في سن السادسة عشرة[1].

كما تظهر خلال هذه الفترة العمرية القدرات والهوايات والميولات الخاصة، وينمو لدى الشاب الانتباه و التذكر و التخيل و أحلام اليقظة، و الملاحظ هنا أن الشباب يتوقف عن تقبل الأفكار و المبادئ و القيم التي يقدمها له الكبار و يفكر فيها و يناقشهم مناقشة سطحية [2].

إن النتيجة الحتمية للتحولات الفيزيولوجية والجنسية والعقلية التي يمر بها الشباب تظهر حاجات جديدة لدى الفرد الشاب، حيث أنه أصبح شخصا مختلف عن ذي قبل و مختلفا عن أبناء جنسه في جزئيات معينة، الشيء الذي يجعل من الشاب يبحث بصورة أكثر عن ذاته و عن قبول اجتماعي جديد مما يجعل عملية البحث هذه كمشكلة اجتماعية.

كما يشير إلى ذلك "سايمون فريد" في مؤلفه (اتجاهات جديدة في علم الاجتماع) [3]، و السبب في ذلك حسب رأيه هو ارتباط هذه الفئة الاجتماعية مجموعة من المشكلات و الحالات الباثولوجية في البناء الاجتماعي حيث أن أزمة الشباب تكون أكثر شدة و قوة عند الشباب الذين يكون لديهم نضج بدني و جنسي مبكر الشيء الذي لا يوازيه نمو عقلي و اجتماعي، و هذا يخلق نوعا من اللاتوازن بالنسبة لهؤلاء الشباب لأن النضج المبكر يدفعهم إلى الابتعاد عن أقرانهم و الانسحاب في محاولة الانتماء إلى جماعات الكبار .

ثانيا: الأهمية الاجتماعية للشباب

لا تختلف التخصصات في دراستها لموضوع الشباب على الأهمية البالغة و المركزية التي تحظى بها هذه الفئة الاجتماعية و المرحلة العمرية في أي نظام اجتماعي الشيء الذي يجعلها مثار اهتمام الساسة و الاقتصاديين و الاجتماعيين و النفسيين لتتجلى ملامح هذه الأهمية في:

- يعبر الشباب في أي مجتمع إنساني عن الفئة العمرية التي تتميز بمستوى عال من الحيوية و النشاط لما تتميز به من خواص دينامية متفردة .
- ترجع أهمية الشباب اجتماعيا في جوانب أخرى إلى كونهم أكثر فئة اجتماعية رغبة في التجديد و المبادرة ، لذا هناك من يعتبرها أساس ومنطلق التغيير و التجديد في المجتمع.
- يتجه الشباب بحكم تكوينهم النفسي باتجاه عكسي مضمونه رفض المعايير والمستويات والتوجيهات والأنماط السلطوية الممارسة من قبل الكبار وصولا إلى اتخاذهم مواقف عدائية نحوهم، و مرد ذلك بالأساس إلى مضمون الذات الاجتماعية عند الشاب، إذ يلاحظ أن هناك مضمون مثالي في هذه الذات مرجعيته تعود إلى محتويات التربية و عملية التنشئة التي مر بها الشاب.
- إن حاجات الشباب و رغبتهم في التغيير والتجديد والتجاوز إلى حد رفض كل ما هو تقليدي يجعل من المجتمع مطالب حسب توجهات الشباب بالتوافق و التلاؤم مع رغبتهم و ما يقتضيه نسقهم الثقافي الجديد، لأنها ستسهم بدرجة معينة في دعم أو دحض بعض القيم و المعاني و إحلال الجديد منها في سياق متصل مع الثقافة السائدة في المجتمع.
- تعتبر الحركات الشبابية في المجتمعات التي تعرف تخلفا جزئيا أو كليا بمثابة المنطلق لتغيير الثقافة التقليدية، وإذا لم يستوعب المجتمع هذه الحركات وفق أطر مضبوطة تحدد مسارات إيجابية للشباب في عملية التغير

الاجتماعي فإن النتيجة الحتمية هي حدوث انهيار في التكامل الاجتماعي و تفكك المجتمع[4].

- تتضح أهمية الشباب كذلك من خلال تعزيز عملية و آلية الاندماج في النظم الاجتماعية القائمة و الموجودة في المجتمع لدعم و استغلال طاقاتهم في تجديد وتغيير هذه النظم دون حدوث انهيارات أواختلالات ممكنة الحدوث، وذلك لتجاوز مشكلة اللانتماء لديهم .
- لم يعد ينظر إلى الشباب اليوم على اعتبار أنه صانع للمستقبل فحسب بل أصبحت النظرة إليه على أساس أنه فاعل اجتماعي و مؤثر في صناعة الحاضر حتى و إن تراوحت تقييمات ذلك التأثير بين السلبية حينا و الإيجابية حينا آخر.
- تزايد الاهتمام الدولي بموضوع الشباب ولا يخرج العالم العربي عن ذلك و إن كان الاهتمام بالشباب يرتبط مباشرة بمعطيات إضافية أهمها الثقل الديموغرافي الحالي للقطاعات العمرية للشباب .

ثالثا: حاجات الشباب

حسب الدراسات البيولوجية والنفسية هناك ارتباط بين حاجات الشباب في حالة إشباعها أو عدم إشباعها، خاصة في المجتمع المعاصر الذي يحتكم أكثر إلى القيم الملموسة أو المادية وأهم الحاجات إثارة لمشكلات الشباب في المجتمع الحديث:

1. **الحاجات إلى تأمين المستقبل:** هذا النوع من الحاجات يرتبط به مجموعة الحاجات الفرعية تزيد فعالية لانتقال الشباب ومرورهم لمرحلة النضج وهي:

- ✓ الحصول على وظيفة وتوفير الدراسة والتدريب الذين يؤهلان الفرد الشاب للحصول على هذه الوظيفة مع النجاح فيها والارتقاء خلال المسار المهني.

- ✓ توفير التعليم بمراحله المختلفة بحيث يوفق بين حاجات المجتمع وحاجات الشباب.
- ✓ الحاجة إلى التوجيه المهني: حيث يشعر الشاب العامل بالتوافق بين قدراته ومهنته بالمقارنة مع زملائه في العمل.
- ✓ الحاجة إلى تكافؤ وتساوي الفرص.
- ✓ الحاجة إلى الحماية الاجتماعية بمختلف أنواعها التأمين على المرض، العجز، البطالة....إلخ.

2. **الحاجة إلى الزواج وتكوين أسرة** : ولكي تتشبع هذه الحاجة أو تلبى يجب أن تتوفر مجموعة من الشروط أو الظروف الاجتماعية المادية و النفسية والتربوية أهمها:

- ✓ توفير أو تحقيق الأمن الاقتصادي للشباب وتأمينه على مستقبله ومستقبل عائلته.
- ✓ تشجيع المجتمع والدولة للمتزوجين بالوسائل المادية والمعنوية.
- ✓ تلقين التربية الجنسية للشباب وإمدادهم بحقائق والتزامات الحياة الزوجية خاصة من خلال برامج الإرشاد الأسري في سبيل مواجهة مشكلات الحياة الزوجية والتغلب عليها أو تجاوزها.
- ✓ تجاوز التقاليد التي تفرق بين الجنسين واحترام الهوية الجذرية والمساواة بين الجنسين في مسألة الارتباط والزواج.

3. **الحاجة إلى مثل عليا وقيم واضحة وقيادة واعية:**

وتقتضي هذه الحاجة:

- ✓ وضوح أهداف الدولة خاصة ما تعلق بقضايا التعليم والاقتصاد والسياسة.

- ✓ الحاجة إلى قوة الولاء والانتماء.
- ✓ الحاجة إلى قادة أكفاء متخصصين على درجة عالية من الولاء والانتماء إلى الوطن.
- ✓ الحاجة إلى إرشاد وتوجيه هادف واعي من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية.

4.الحاجة إلى الدعم الشخصي ودعم القدرات الإبداعية.

ويتطلب تحقيق هذه الحاجة:

- ✓ توفير وتهيئة وسائل استثمار وقت الفراغ.
- ✓ تنظيم أوقات الفراغ لاستغلال المواهب الخاصة ولمزاولة الهوايات الشخصية، الأمر الذي يفتقر إلى المهنية وهذا بينته نتائج دراسة عثمان سيد أحمد محمد خليل حول الشباب وأوقات الفراغ[5].

5.حاجة الشباب إلى المشاركة : لأن مشاركة الشباب في قضايا المجتمع والحياة العامة تشكل المحور الأساس في عمليات التنمية والتطوير التي تنعكس على حاضر المجتمع ومستقبله، هذا المحور الذي يتطلب من المجتمع تهيئة أرضية وأسباب بناء قدرة الشباب على المشاركة بالتدريب والتأهيل والتوجيه، هذه القضية تقتضي فتح المجال أمام الشباب لإطلاق طاقاته وتحسيسه بالثقة في قدراته على العمل والإنتاج والمشاركة وفقا لسياسة وطنية متكاملة تعمل خلالها جميع القطاعات حسب المهتمين بالشباب هي: التربية والتعليم العالي والبحث العلمي والثقافة والعمل، والإعلام سواء كانت وزارات الدولة أو مؤسسات المجتمع المدني أو مؤسسات القطاع الخاص والهدف من وراء هذا التكامل في إشراك الشباب هو تحقيق الشمولية والتنوع في بناء شخصية الشاب جسميا وذهنيا ووجدانيا واجتماعيا[6].

وفقا للرؤية الحديثة لتحديد حاجات الشباب ودوره في التنمية والأمن الإنساني فإن هذه الحاجات تتلخص في الحاجة إلى التعبير الإبتكاري والحاجة إلى

المنافسة والحاجة إلى الانتماء وخدمة الآخرين والحاجة إلى ممارسة خبرات جديدة والحاجة إلى الشعور بالأهمية بالأمان والحاجة إلى الحرية والنشاط وكذا الحاجة إلى المخاطرة والمغامرة.

رابعا: مشكلات الشباب :

لا يوجد مجتمع إنساني على مستوى العالم لا تعاني فئاته الاجتماعية من مشكلات مختلفة لكن في فترات زمنية تغلب بعض المشكلات عن البعض منها حسب الأهمية ودرجة التأثير ولعل أهم ما نقف عنده من مشكلات تواجه الشباب اليوم:

1. مشكلة ضعف الشعور بالانتماء : عدم الانتماء بالمعنى السلوكي تعبير عن غياب الدافع لأداء فعل أو عمل معين بالإضافة إلى فقدان الحماس والرغبة في الطموح والإنجاز، وعدم الانتماء لدى الشباب يعتبر مشكلة خاصة عندما يكون مفروضا أي لا إرادي تفرضه ظروف وبيئة اجتماعية، بمعنى أن يكون الشاب مسلوب الإرادة وتعجز إرادته عن فعل أي شيء، ويكون الشباب أداة تجديد وإبداع يرافق حالة الانتماء هذه فقدان بوادر التغيير أو التجديد والإصلاح[8].

2.مشكلات قضاء وقت الفراغ: يشير وقت الفراغ إلى الوقت الذي يتوفر للفرد كزمن ذاتـي بعد الانتهاء من المهام الوظيفية والرسمية والحاجات البيولوجية واليومية كالنوم والأكل فيصرفه في ممارسة أنشطة وممارسات اختيارية لا يستجيب فيها لأي نوع من الضغوط والدوافع إلا بما يستدعي رغبته ويتلاءم مع ميوله ومزاجه ولا تكون لهذه الأنشطة هدف أو غاية نفعية مادية[9].

ومنه يتضح أن الفراغ هو الوقت الحر لدى الفرد الذي تنتفي فيه القيود النظامية من أمريه ومؤسساتية لكن هذا الوقت يقتضي التأطير وإلا تحول إلى إحدى المعيقات التي تقف في وجه الإبداع الشبابي، لأن هذه المشكلة ستكون منطلقا لظهور مشكلات أخرى خاصة الجرائم بأنواعها والانحرافات على اختلافها. وضياع وقت الشاب في هذه المرحلة العمرية يشكل خلل في تكوينه

وبناءه العقلي والمهاري والنفسي والاجتماعي لأن فترة الشباب حسب ما أكدته مختلفالمجالات المعرفية فترة إعداد واكتساب للخبرات والمعارف والمعلومات والتكوين العلمي والخلقي والمهني والاجتماعي، كما أن عدم استغلالها عقلانيا يؤخر الشاب في الوصول إلى حالة النضج والرجولة .

إن الممارسات العنيفة للشباب تعكس الاتجاهات السلبية التي تتكون لديهم اتجاه قضاياهم وقضايا مجتمعاتهم الأساسية، حيث أنه في سياق ذلك تتسع بؤرة الشك واللاتصديق بين ما تلقوه وما يحملونه من قيم ومبادئ وما يقومون به من سلوكات وأفعال منحرفة مما يعرضهم لمشكلة نفسية أكثر تعقيدا هي الصراع النفسي الذي يؤدي بدوره إلى الإحباط وربما إلى إيذاء الذات ثم إلى الانتحار[10].

3. مشكلة العنف لدى الشباب: عنف الشباب يشير إلى الأفعال الجماعية للشباب الذين يشتركون ويتقاربون في المرحلة العمرية ويختلفون من حيث الجنس والانتماء الاجتماعي هذه الأفعال تتسم باستخدام القوة الموجهة سواء نحو أشخاص وممتلكاتهم أو نحو مؤسسات أو هيئات حكومية بهدف الحصول إما على مكاسب مادية أو على الاعتراف بالوجود والكينونة[11].

ومن أهم الأسباب والدوافع المؤدية إلى عنف الشباب:

- دوافع أسرية عائلية، اجتماعية، اقتصادية: متمثلة أساسا إلى غياب أو ضعف الرقابة الوالدية والتربية الأخلاقية والتوجيه العقيدي والديني للأبناء، كما أن اتساع المسافة بين الأبناء والآباء وعدم الاهتمام بمشكلاتهم، والتمييز الفاضح في التعامل معهم والضعف إلى غياب السلطة الضابطة أو ضعف الضوابط في الأسرة والمجتمع وضعف المنظومة القانونية خاصة في جانب الالتزام بالحقوق والواجبات، ضعف المشاركة في اتخاذ القرار على مستوى الأسرة، ضعف أو غياب المسؤولية الاجتماعية للفرد خاصة فيما تعلق بالتزامات الفرد اتجاه الممتلكات والمرافق العامة وقضايا المجتمع في ضوءالعناصر المشكلة للمسؤولية الاجتماعية، الفهم، الاهتمام، المشاركة، الواجب الاجتماعي[12].

- دوافع دراسية تعليمية ثقافية: من أهم مظاهرها ضعف إشباع حاجات الشباب التعليمية والثقافية والمادية وغياب فضاءات التنشيط الثقافي والرياضي والاجتماعي سواء في محيط الجامعة أو داخلها.
- دوافع إعلامية مرتبطة أساسا بالاستخدام السلبي لتكنولوجيا الإعلام والاتصال التي أهم ما يميز الأعمال والمحتويات الإعلامية التي تبث وتنشر عبر فضاءاتها المختلفة السلبية أحيانا والاحتواء على ممارسات عنيفة أو تدعو للعنف بمختلف أشكاله وتتنافى إلى حد بعيد مع قيم ومعايير المجتمعات العربية[13].
- دوافع ومسببات نفسية: وأهم ما يشار إليه في هذا الجانب هو الشعور بالحرمان والدونية والافتقاد للثقة بالنفس والفراغ كما أشير إليه سابقا والقلق والنظرة التشاؤمية للمستقبل، حيث يشعر الشباب أن حقوقه مسلوبة من خلال عمليات ومحاولات التهميش التي يتعرض لها وتحاصره[14].

4. مشكلة أو أزمة الاغتراب لدى الشباب: الإغتراب الاجتماعي أحد أهم المشكلات والأزمات التي تواجه فئة الشباب في علاقاتهم بذواتهم وبالآخرين على المستوى الاجتماعي والنفسي والسياسي، والاغتراب مصطلح تتعد معانيه بتعدد نطاقاته حيث تشتمل على الانتماء أو الشعور بعدم الانتماء، فقدان الرغبة في الحياة، الشعور بالعجز وعدم القدرة على مواجهة الواقع والمستقبل، سوء التكيف الذاتي أو التكيف مع الآخرين.

ومهما تعددت تعاريف الإغتراب فإن الأقرب إلى واقع الشباب كمشكلة وكظاهرة اجتماعية ما ذهب إليه عزت حجاز في تعريفه للاغتراب بأنه فكرة يقوم على أساس التمييز بين وجود الإنسان وجوهره، وعلى أن وجود الإنسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع لا يتفق مع جوهره أو ما هو من حقيقته وإنما هو يختلف عنها ويتعارض معها، فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون، والإنسان

المغترب هو الإنسان الذي لا يحس بفاعليته ولا أهميته ولا وزنه في الحياة وإنما يشعر بأن العالم والطبيعة والآخرين بل والذات على عكس ذلك غريب عنه[15].

وبتعبير أدق الإغتراب لدى الشباب هو انهيار العلاقات الاجتماعية نتيجة الشعور بعدم الرضا والرفض تجاه قيم الأسرة أو المجتمع ككل وهو على المستويين النفسي والاجتماعي يفقد الشباب الشعور بالانتماء للمجتمع بمفهوميه الشامل والضيف مع ميل إلى العزلة والبعد كرد فعل للشعور بأن ما يقوم به ليس له قيمة ولن يؤثر على المحيط الخارجي[16].

5.مشكلة الإدمان: يفسر الإدمان من الوجهة السوسيولوجية أنه محصلة ضغوط المجتمع الذي يعيش به الفرد، كالفقر والاحباطات والقوى المدمرة التي تعمل مع الفقر على إظهار دوافع عدم الرضا لدى الشباب والأسرة المفككة والفراغ الخالي من الأهداف [17].

ولم يعد الإدمان هو تناول المخضورات من الكحول والخمر والمخذرات والعقاقير، بل إن هناك أنواع من الإدمان أفرزتها التغيرات الاجتماعية التي مست المجتمعات المعاصرة المستهلة للتكنولوجيا، فالشباب اليوم أصبح مدمنا على الأنترنيت وألعاب الفيديو والتسوق والاستهلاك المظهري التفاخري.

6.مشكلة البطالة: من أعقد المشكلات التي يعاني منها الشباب اليوم مشكلة البطالة، حيث تشير التقديرات في العالم العربي لوحده بوجود أكثر من 16 مليون عاطل عن العمل أغلبهم شباب، وأيا كان نوع البطالة سافرة كانت أو جزئية أو مقنعة، فإنها تحرم الشباب من إشباع حاجاته الاقتصادية وتفرز مشكلات أخرى كالحرمان وعدم الاستقرار وانتشار الأمراض الاجتماعية والنفسية كحالات الإحباط والانطواء والجريمة والهجرة السرية وتراجع المستوى المهاري للشباب وتآكل رأس المال البشري على الصعيد الاجتماعي.

7. مشكلة التعصب الفكري والديني: تتعدد أشكال التعصب من سياسية متطرفة إلى عقيدية دينية متشددة، أهم ما يميزها الدرجة العالية من الانغلاق والجمود، تسيطر إرادة التغلب والسيطرة على إرادة الإقناع، وترافق هذا المفهوم مع مفاهيم التعددية السياسية وتزامن مع طرح مفهوم الحوار والتسامح[18]؛ والتعصب حالة

خاصة من التصلب الفكري والجمود العقائدي تتجسد فيها اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى، يكتشف ويبرز المتعصب مظهر الخضوع لسلطة الجماعة التي ينتمي إليها مع نبذ الجماعات الأخرى، وخلال ذلك ميل إلى رؤية العالم في قالب جامد من الأبيض إلى الأسود حيث لا يوجد مكان للتسامح مما يؤدي إلى العنف والاستماته[19]؛

في هذا الاتجاه يجد الشباب أنفسهم يتلقون قيم التعصب لا شعوريا تربويا وأسريا واجتماعيا، من خلال القيم المنقولة إليهم من الأجيال ومن ثم يجدون أنفسهم فريسة سهلة للوقوع في فخ التعصب ثم التطرف ثم العنف بكل أنواعه.

خاتمة :

إن ما نخلص له في ختام هذا الطرح أن عدم الوفاء بحاجات الشباب في مجتمعنا وأخذها على محمل الجد وإلزامية التلبية، قد ينجم عنه مشكلات عديدة، فعدم تلبية حاجات تأمين المستقبل مثلا ينجم عنه العديد من المشكلات كضعف الكفاية الإنتاجية للشباب بسبب عدم الاستقرار و كذا ضعف الكفاءة والمهارة نتيجة ضعف التكوين والتدريب أو ضعف الحافز والدافعية في العمل.

أما الحاجة إلى الزواج وتكوين الأسرة فإن عدم الوفاء بها ينجر عنه مشكلات ضعف التوافق الزواجي والجهل العاطفي والجنسي لكلا الجنسين، والكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية المترتبة عن تأخر سن الزواج لكلا الجنسين، أما الحاجة للمثل العليا والقيم الواضحة والقيادة الواعية والدعم الشخصي وكذا دعم القدرات الإبداعية وتعزيز المشاركة، يفرز مشكلات اللانتماء والاغتراب الاجتماعي والعنف لدى الشباب.

❖ **هوامش البحث:**

(1) فيصل محمد خير الزراد، **مشكلات المراهقة والشباب في الوطن العربي**،ط2، دار النفائس، بيروت / لبنان،2004، ص ص (20،21).

(2) فرد ميلسون، **الشباب في مجتمع متغير**، ترجمة موسى بدر، دار الوفاء، الأسكندرية/ مصر،2007، ص13

(3) ميشيل هارالامبوس، **إتجاهات جديدة في علم الاجتماع**، ترجمة إحسان محمد الحسن وآخرون، بيت الحكمة، بغداد/ العراق، 2001، ص 410

(4) مجموعة من الأساتذة، **الطفل والشباب**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة/ مصر، 2000، ص ص(155،156).

(5) عثمان سيد أحمد خليل،الشباب وأوقات الفراغ(دور التربية ووسائل الإعلام من المنظور الإسلامي الوصفي).منشور بصيغة بصيغة pdf.

(6) فيصل محمود غرايبة، **العمل الاجتماعي في مجال رعاية الشباب**، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص95.

(7) منشورات الأسكوا، **نحو رؤية معاصرة لدور الشباب في التنمية والأمن الإنساني**،ص10 على الموقع: www.ess.escwa.org.Lb/sdd/098/b2.a.pdf

(8) سيد صبحي،**الشباب وأزمة التعبير**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ مصر، 2002، ص17.

(9) أسعد وطفة، توظيف وقت الفراغ لدى الشباب في سوريا(دراسة مقارنة بين طلاب المرحلة الثانوي والمرحلة الجامعية)، ص11.منشور بصيغة pdfعلى الموقع: www.watfa-net/lois23pdf

(10) أحمد محمد مرسي، **الشباب والتهميش والتشخيص(رؤية إنسانية)**، المكتبة العصرية، المنصورة/ مصر ، 2009، ص52.

(11) عبد الرزاق أمقران، **دراسات في علم الاجتماع**، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة/ الجزائر، 2008، ص265.

(12) زايد بن عجير الحارثي، **واقع المسؤولية الشخصية والاجتماعية لدى الشباب العربي وسبل تنميتها**، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض/ع س، 2006،ص16. (منشور بصيغة pdf)

(13) محمد حسام الدين إسماعيل، **الصورة والجسد(دراسة نقدية في الإعلام المعاصر)**، ط2،م دوع، بيروت/ لبنان، 2010، ص229.

(14) مصطفى حجازي، **الإنسان المهدور(دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)**، ط2، الدار البيضاء/ المغرب،2006، ص202.

(15) عزت حجازي، **الشباب العربي ومشكلاته**، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1985، ص269.

(16) عبد العزيز المصطفى، الشباب وأزمة الإغتراب الاجتماعي، منشور على الموقع: www.chulatha.com/media/lib/books/1215491403.pdf

(17) فاروق سيد عبد السلام، **سيكولوجية الإدمان**، دار الفكر العربي، القاهرة/ مصر،1997، ص36.

(18) Modlelin Grawita, Lexique des sciences sociales ,dalpot, paris,1983,p73

(19) عزت سيد اسماعيل، **"سيكولوجيا التطرف والإرهاب"**، حوليات كلية الآداب، الكويت، العدد16، 1996، ص ص(89،88).

التمثلات الاجتماعية للإعاقة في تونس

دراسة سوسيولوجيّة ميدانيّة بتونس العاصمة

الباحثة: رانية الغويّل، جامعة تونس

الملخص:

زادت ثقل التمثّلات الاجتماعيّة الموجّهة للإعاقة والذّاكرة الشعبيّة من حدّة إقصاء المعوق. إذ يقبل المجتمع بدرجة أكبر بعض الإعاقات، فكلّما كانت الإعاقة عميقة كلّما كان التّهميش والتّحقير أكبر. فالتمثّل وإن كان لا يعبّر عن حقيقة موضوعيّة فإنّه يعكس بشكل موضوعي مستويات إدراك الأفراد والمجموعات للمواضيع والأشياء ويساعدنا على رسم آليّات تمكّننا من تغيير تمثّلات المجتمع للإعاقة.

Abstract :

The social representations dedicated to the handicapped and the local memory has been increasing the edge of the handicapped exclusion. In fact, the society accepts some cases of handicapped with a higher degree. Once the handicap is more serious, the marginalization and the degradation is higher. Even Though, the representation does not display an objective truth, it reflects, in a neutral way, the levels of the individual's awareness and the pile of topics and matters. This helps us to draw out mechanisms enabling us the representations of the society regarding the handicapped.

مقدّمة:

مرّت تجربة الدول المتقدّمة في مجال الإعاقة بعدّة مراحل، ففي البداية وقع التركيز على البحث في الأسباب والوقاية من الإعاقة من الجانب الطبّي، ظهر بالتوازي مع هذا الاتجاه في المجتمعات الغربية الاتجاه المؤسساتي الذي يمثّل ضمان لرفاه الأشخاص ذوي الإعاقة قصد تحقيق الرفاه الاجتماعي.

أمّا في تونس، ينظر للإعاقة كمشكلة اجتماعيّة تستدعي البحث والدراسة بما أنها مرتبطة بتقدّم الدول ولكن تبقى نظرة المجتمع التونسي للمعوق تمثّل حاجزا أمام اندماجه وتبقى الرعاية الاجتماعية الهدف الأساسي. وعليه، فإن تمثّلات المجتمع للإعاقة ونظرته للمعوق، تؤثر بصفة كبيرة على درجة اندماجه خاصّة وأن التمثلات الاجتماعية متجددة، "فالفاعل الاجتماعي ابن بيئته يؤثر ويتأثر بأنماط التفكير السائدة فيه"[1].

ولإدراك النتائج المتعلقة بهذا العمل سنحاول الكشف عن مختلف التفاعلات القائمة داخل الأسرة والمجتمع وذلك بغية الوصول إلى مجموعة من التمثلات الذاتية والاجتماعية.

وفى هذا الإطار، سنحاول البحث عن مدي قدرة الطفل المعوق على الاندماج باعتباره فاعل اجتماعي يستمد مرجعيته للتفاعل من خلال تمثلاته لمختلف مفردات وضعيته من ناحية ولمواقف الآخرين منه من ناحية ثانية وانعكاس ذلك على الصور الاجتماعية.

1. إشكاليّة البحث:

إنّ الإعاقة العضويّة ومدى حاجة المصابين بها للمساعدة والرّعاية تجعلنا نتساءل عن واقع الطّفل المعوق عضويّا الذي يتطلّب تأمين برنامج تربوي دقيق لمواجهة الصعوبات النفسيّة والاجتماعيّة وتوفير رعاية اجتماعية تساعده على أن يحقّق ذاته من خلال الاتصال والتّبادل مع الآخرين بطريقة مباشرة أو عن طريق الرّموز. فهو في حاجة لبيئة ملائمة ومتكاملة تتضافر فيها جملة من الجهود

خاصّة من قبل الأسرة بما أنّ كلّ الأنظمة الاجتماعية تعتمد على مساهمتها في تكوين الأجيال مع تحديد مظاهر التغيّر في الأدوار المسندة لها نتيجة التحوّلات الاجتماعية، فالأسرة تسعى لتحقيق التوازن في بنيتها والتماسك الاجتماعي في مستوى العلاقات خاصّة وأنّ الأدوار تغيّرت وتطورّت بخروج المرأة للعمل وكثرة مشاغلها ولكن هل أن الأسرة التونسيّة قادرة على رعاية طفلها المعوق في ظلّ هذه التحوّلات؟ وما هي تمثلانها للإعاقة؟

وإذا تعمقنا أكثر فتفحصنا الذاكرة والمخيال الجماعي الشعبي فنجد أن المعوق عضويا في تونس هو " العايب " " المعوّج «، " نصّ يدّ «ففي ظل هذه الذّاكرة كيف للمجتمع أن يقبله؟

رغم الإقصاء الموجّه للمعوق، إلاّ أنه قادر على التفاعل والاتصال، ومن المهمّ البحث في الأنشطة التي يمارسها لفهم سلوكه وتعتبر الوضعية التي يوجد فيها الفاعل في نطاق علاقاته بالآخرين هي مجال التركيز والمعنى الذي يريد أن يعطيه لأفعاله هو مدار الفهم. ولكن كيف يمكننا إدماج مجموعة من المعوقين هم في حقيقة الأمر موصومين بالإعاقة.

على هذا الأساس، وقصد بلوغ مقاصدنا البحثيّة أمكن اختصار إشكالية بحثنا وفق الآتي:

ماهي خصائص التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالإعاقة من وجهة نظر المجتمع، الأسرة والطفل المعوق؟ ومدى تأثيرها على إدماج المعوق؟ وهل من إمكانيّة لتغيير هذه التمثلات؟

2. فرضيّة البحث:

كإجابة مؤقتة لإشكالية بحثنا سنتطرّق للفرضيّة التالية التي يمكن تأكيدها أو دحضها من خلال نتائج العمل الميداني:

- يفقد الوصم الاجتماعي ذوي الإعاقة القدرة على الفعل والإدماج.

3. أهميّة الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة للتعرّف على واقع الطفل المعوق عضويا في تونس وتحليل الذاكرة الاجتماعية والأمثال الشعبية المرتبطة بالإعاقة وتحديد مدي ارتباطها بقدرة المعوق على الاندماج والتفاعل وإدراك التمثّلات الاجتماعية للإعاقة في تونس. كما تعتبر هذه الدراسة مهمّة كمرجع علميّ مرتبط بسوسيولوجيا الإعاقة يمكن أن يستفاد منه.

4. أهداف البحث:

تهدف الدراسة الحاليّة:

- إدراك التمثلات الإجتماية للإعاقة من خلال الذاكرة الاجتماعية للمجتمع التونسي.
- تحليل الأمثال الشعبية التونسية المرتبطة بالإعاقة.
- محاولة معرفة مدي قدرة الأسرة على رعاية الطفل المعوق.
- الوقوف عند الصورة الذاتية والتمثلات الاجتماعية للمعوق.

5. الإطار النظري للدراسة:

تعريف الإعاقة:

تبيّن لنا من خلال التعريفات التي اطّلعنا عليها حول ظاهرة الإعاقة، أنّ الإعاقة هي العلّة التي تقلّص من فرص إدماج المعوق في المجتمع، وتتطلّب مجموعة من البرامج التربويّة، النفسيّة، الاجتماعية والصحيّة لتطوير وضعيّة المعوق قصد تفعيله في المجتمع. ومن المفاهيم الأساسيّة التي اعتمدناها في بحثنا هذا، المفهوم الاجتماعي والقانوني.

ويمكن بناء على ذلك، اعتماد المفهوم الإجتماعى للإعاقة بكونها "إصابة بدنيّة أو عقليّة أو نفسيّة تسبّب ضررا لنموّ الطّفل بدنيّا أو عقليّا أو كلاهما، وقد تؤثّر في حالته النفسيّة وفي تطوّر تعليمه وتدريبه "[2].

أمّا المفهوم القانوني، فقد اعتمدنا على المفهوم الّذي ورد بالقانون التوجيهي عدد 83 لسنة 2005 بالفصل 2 بأنّ المعوق هو "كلّ شخص له نقص دائم في القدرات والمؤهّلات البدنيّة أو العقليّة أو الحسيّة وُلدَ به أو لَحِقَ به بعد الولادة يحدّ من قدرته على أداء نشاط أو أكثر من الأنشطة الأساسيّة اليوميّة الشخصيّة أو الاجتماعيّة ويقلّص من فرص إدماجه في المجتمع"[3].

- تعريف التمثلات الاجتماعية:

ينتقل التمثّل من مجرّد فكرة الثّبات إلى التحرّك والديناميكيّة لتصبح له صور مكوّنة من الفرد والتي تمكّن من إعادة تشكيل الواقع كمرحلة أولى ثمّ الانتقال إلى بناء الواقع وصولا إلى المرحة الأخيرة من أجل تأويله. فالتمثّل هو شكل من النظرة العامّة والموحّدة وهذا ما ذهب إليه "Moscovici" بأن التمثّلات الاجتماعية هي بمثابة رؤية للعالم إذ تنطلق من المستوى الذاتي الفردي لتصبح جماعيّة. فموضوع دراسة التمثّلات الاجتماعيّة في ترابط بين العناصر العاطفيّة والعقليّة والاجتماعيّة إضافة إلى المعارف والخطاب والاتّصال. ويؤكّد " Denise jodelet" بأهميّة التمثّلات الاجتماعيّة بما أنّها تعطي معنا "لأفعالنا وتصرّفاتنا "[4].

فهذه التمثّلات لها وظيفة معرفيّة قصد فهم وتفسير واقع المعوق من خلال تحديد هويّته وتوجيه سلوكيّاته وممارساته حسب أطر رمزيّة ثقافيّة مرتبطة بالإعاقة.

6. الدراسات السابقة:

للقيام بدراسة علمية من الضروريّ إجراء البحث البيبليوغرافي والكشف عن الحالة البحثية للموضوع لأنّها تمثّل الإرث النظري الذي يساعد الباحث على تأطير أفكاره وتطويرها انطلاقا من استفادته منها ورغبته في تحقيق الإضافة.

- **الدراسة الأولي: بعنوان تربية المعوقين في البلاد العربية لمحمد الراجحي وعبد الرزاق بن عمار.**

تزامنا مع السنة الدولية للمعوقين 1981 وعشرية العمل من أجل الأشخاص ذوي الإعاقة 1982 ـ 1992، قام المركز العربى الإفريقى للبحوث وتكوين الإطارات العليا في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين ومقره تونس بتكليف من وحدة البحوث التربوية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بدراسة حول "تربية المعوقين فى البلاد العربية". وقام مدير المركز السيد محمد الراجحى (أول تونسى من المبصرين ينقل طريقة الكتابة البارزة إلى تونس ويضع الأبجدية المعربة لهذه التقنية) والدكتور عبد الرزاق بن عمار (دكتور في علم الاجتماع) بإجراء هذه الدراسة التى أنجزتها تونس وقد اعتمد الباحثان على معلومات المنظمات الدولية ذات الصلة بهذا الموضوع. ومن أهداف الدراسة التعرف على وضع التربية الخاصة في البلاد العربية وتقييم احتياجات المعوقين المتنوعة على ضوء انعكاسات الإعاقات، ومختلف الخدمات التربوية والتأهيلية والتشريعية الضرورية لإدماجهم الإجتماعى والإقتصادى.

- **الدراسة الثانية: بعنوان الخيار الاقتصادي والاجتماعي للمعوقين في المجتمع التونسي لعبد الرزاق بن عمار.**

اعتمد الباحث المنهج الكيفي والكمّي لتحليل عمله الميداني، وقد قام بتصنيف الإعاقات الخفيفة (الإعاقات السمعيّة والعضويّة والبصريّة) والإعاقات العميقة (الإعاقات الذهنيّة والعضويّة العميقة). اعتمد على الأمثال الشعبية لتحليل نضرة المجتمع للمعوق، التي تعطي فكرة على مكانة المعوق في المجتمع وما أكده هو ثقل التمثّلات الاجتماعيّة الباقية في تفكير المجتمع التونسي من خلال التنشئة الاجتماعيّة.

- **الدراسة الثالثة: لأرفينق قوفمان (Erving Goffman) حول الوصم الاجتماعي بعنوان** stigmate

قام الباحث من خلال دراسته للمعوقين العضويين في كتابه "Stigmate" بالتمييز بين شقين العاديين من جهة والموصومين من جهة أخرى. وقد اعتبر الإعاقة يمكن بمقتضاها فئة من الناس يمتلكون هوية افتراضية "identité virtuelle" تتشكل من خلال الوصم الإجتماعي، وتتناقض كليا وهويتهم الحقيقية "identité réelle" فعملية الوصم تفقد الإنسان الرتبة التي تمنحها له المجموعات الاجتماعية من خلال المعايير والقيم، والموصومين يجدون في كل الحالات سبلا وطرقا تمكنهم من التصرف في هذه الهوية المنقوصة وذلك باستغلال وضعيتهم لصالحهم.

- **الدراسة الرابعة: لألان بلان(Alain Blanc) حول الإقصاء والوصم الاجتماعي بعنوان:**

"L' handicap ou le désordre des apparences"

قام آلان بلان بدراسة المعوقين كموصومين اجتماعيين، وقد أكد الباحث أن حالة الوصم لا يمكن الهروب منها أو تجنبها حتى مع أفضل إرادة في العالم. وقد قام بربط التغيرات الموجودة في المجتمعات الحديثة بوضعية الوصم الاجتماعي.

الإضافة:

أ-النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات:

- تبقى الإعاقة في العالم العربي محدودة في التشريعات القانونية إذ لا يوجد تطابق بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.
- كلما كانت الإعاقة عميقة كلما كانت درجة إدماج وقبول المعوق أقل.
- الأسرة غير قادرة على تقبل الإعاقة مما أدّى للتفريط في رعاية المعوق أو تهميشه وإهماله.

- يعتبر الوصم الإجتماعى صفة موجهة لعديد من الفئات منها المعوقين وقد أكدت الدراسات أن هذا الوصم لا يمنع الواصم من التفاعل داخل المجتمع.
- تبقى مراكز الإيواء والجمعيات الموجهة للمعوقين مكان للإقامة والحماية من الشارع في غياب برامج التأهيل والتكوين.
- تعتبر الصورة النمطية للإعاقة حاجزا لإدماجه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ب-الإضافات التي يمكن أن يقدمها بحثنا:

من أهمّ الإضافات تتمثل في مستوى العمل الميداني المتنوع من حيث العينة المتكوّنة من مجموعة من الأطفال المعوقين، أسرهم، والبعض من أفراد المجتمع. قصد التعمق في المعيش اليومي للمعوق بولايات تونس الكبرى (تونس1، تونس 2، بن عروس، منوية). كذلك البحث في مستوي التمثّلات الاجتماعية من وجهة جميع الفاعلين الاجتماعيين وتنوّع الفضاء الجغرافي للعينة.

7. براديقم البحث:

فيما تعلّق بالإطار النظري السوسيولوجي للبحث (البراديقم) فإننا سنهتمّ بدراسة التمثلات المتعلقة بالإعاقة من وجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين لما في ذلك من تحدّى منهجي عرفته سوسيولوجيا التفاعلات الاجتماعية وأخصّ منها التفاعلية الرمزية، التي يمكن من خلالها فهم السّلوك الذي ينتج عن تفاعل معوق مع معوق آخر أو مع شخص آخر، وتحديد أنماط السّلوك واتجاهات السّلوك والمناطق التي تدعم فيها هذه العلاقات وفهم الرموز الناتجة عن الأسرة أو المجتمع أو في مستوى العلاقات بين المعوقين.

ولذلك تهتمّ نظرية"Ervin Goffman" و الذي يعتبر أحد روّاد التفاعلية الرمزية وقد قام بدراسة للمعوقين العضويين في كتابه "Stigmate" بالتمييز بين شقين العاديين من جهة والموصومين من جهة أخرى. فعملية الوصم تفقد الإنسان

الرتبة التي تمنحها له المجموعات الاجتماعية من خلال المعايير والقيم، والموصومين يجدون في كل الحالات سبلا وطرقا تمكنهم من التصرف في هذه الهوية المنقوصة وذلك باستغلال وضعيتهم لصالحهم [5].

ووفقا لطبيعة موضوع بحثنا والمتمثّل في دراسة التمثلات الاجتماعية للإعاقة في تونس. استخدمنا براديقم التفاعلية الرمزية بما أن الهدف الأساسي لتشكل هذه المقاربة هو تحليل الاندماج الاجتماعي للمعوقين، لذلك فإن هذا البراديقم يتماشى مع موضوع بحثنا وذلك بتحليل علاقة المعوق بالمجتمع أي علاقة الجزء بالكل. وقد قمنا بمحاولة فهمنا للدلالات والرّموز التي يضيفها المعوقين كفاعلين اجتماعيين على أفعالهم والتي تبني بدورها معيشهم اليومي. كما حاولنا دراسة سلسلة الاتصالات المتبادلة والتفاعلات بين هؤلاء المعوقين ومحيطهم انطلاقا من جملة الرّموز والمعاني التي يستخدمها المعوقين في معيشهم اليومي في إطار تفاعلهم مع بعضهم ومع الآخرين في إطار إبراز ذواتهم وتمثلا تهم للحياة اليوميّة التي تنسج معيشهم اليومي رغم ما يتعرّضون إليه من رفض وتهميش وإقصاء اجتماعي.

8. منهج الدراسة:

- **اختيار العينة:**

تعدّ التمثلات مدار اهتمام بحثنا: التمثّلات الاجتماعية للطّفل المعوق في تونس، حيث سنركّز بالأساس على مسألة الإعاقة في تصوّرات الجمهور المستهدف، وهم الأطفال ذوي الإعاقة العضوية، الأسرة، بعض أفراد المجتمع. وسنعتمد في ذلك تقنية المقابلة المباشرة ونصف الموجهة التي شملت أفراد العينة التالية:

جدول عـــ1ـــدد: العيّنة البشريّة للدراسة

الفئات المستهدفة	العدد
أطفال ذوي الإعاقة العضوية السن بين 6 و16 سنة	13
أولياء الأطفال	8
أفراد من المجتمع	10
المجموع	31

أمّا فيما تعلّق بالعيّنة الجغرافيّة، فقد قمنا باختيار فضاء محدّد وهي "الجمعيّة العامّة للقاصرين عن الحركة العضويّة بخز ندار بتونس العاصمة (تمّ تصنيف الجمعيّة العامّة للقاصرين عن الحركة العضويّة "أجيم" ضمن الجمعيّات الخيريّة والاجتماعيّة وحدّد عنوانها بـ 1 نهج البساتين –خزندار– باردو 2000. تحصّلت على التأشيرة عدد 4126 بتاريخ 1 أوت 1973 ووقع الإعلان بالرّائد الرّسمي تحت عدد 17 بتاريخ 21 أوت 1973. ويتكوّن الإطار العامل بهذه الجمعيّة من 46 عون من أصناف مختلفة إداريين أساتذة ومعلّمين ومربيّن مختصّين وفنّيين في العلاج الطبيعي وفنيين في النطق وفنّيين في العلاج الوظيفي وسائق وعملة.

ويقدّر عدد الأطفال بالجمعيّة بـ 100 طفل مقسّمين حسب درجة الإعاقة والمستوى التعليمي، تهدف هذه الجمعيّة إلى:ـ المساهمة في إعانة المعاقين عضويّا على التّمتع بالعلاج في أنجع الظروف، المساهمة في العمل الاجتماعي والتربويّ والتّرفيهي لدى المعاقين عضويّا وعائلاتهم حتّى يمكّنهم الاستفادة القصوى من وسائل التّرويض والعلاج المتّبعة ومساعدة المعوق عضويّا على الاندماج في المجتمع وذلك فيما يخصّ التّكوين الدّراسي والمهني ومساعدته على البحث عن الشغل الملائم لإعاقته).

وقد قمنا باختيار مجموعة من الأطفال القادرين على التّعبير والتّواصل مع اعتماد مجموعة من المتغيّرات كالجنس والسنّ والمستوي التعليمي وقد تمّت

المقابلة على انفراد وعلى عدة مراحل، نتيجة ارتباط الطّفل ببرنامج يومي، فاستغلنا أوقات الرّاحة وغياب الأساتذة وفترة تواجد الأطفال المعوقين في منازلهم وخاصّة أثناء العطل وقد دامت المقابلة أكثر من 5 ساعات لأنّها شملت كل أفراد الأسرة. أمّا في مستوي العينة المرتبطة بأفراد المجتمع فقد اخترناها بطريقة عشوائية.

جدول عــ2ــدد: العيّنة المستجوبة حسب المتغيّرات بالنسبة للأطفال المعوقين

الجنس والسنّ المستوي التعليمي	ذكور		إناث		المجموع
	6-13 سنة	14-16 سنة	6-13 سنة	14-16 سنة	
ابتدائي	1	1	1	1	4
إعدادي	1	1	1	1	4
ثانوي	0	1	0	1	2
لايدرسون	1	1	0	1	3
المجموع	3	4	2	4	13

جدول عــ3ــدد: العيّنة المستجوبة حسب المتغيّرات بالنسبة للأولياء

الوضعيّة الاجتماعية نوع المجتمع	المستوي الاقتصادي والاجتماعي			المجموع
	ضعيف	متوسّط	جيّد	
حضري	1	2	1	4
ريفي	1	2	1	4
المجموع	2	4	2	8

- **أدوات البحث:**

نتناول بالدراسة التمثلات الاجتماعية للإعاقة من خلال المعيش اليومي التونسي وقد اعتمدنا على أركان الملاحظة وهي:

المجال البشري: يتمثل في وحدة البحث المتكونة من الأطفال المعوقين عضويا، أسرهم، بعض أفراد المجتمع.
المجال المكاني: يتمثل في الإطار المكاني للبحث في العاصمة تونس.
تحديد الهدف المراد: يتمثل الهدف الأساسي لهذا البحث في البحث عن مدي إدماج المعوق في ظلّ التمثلا ت الاجتماعية.

وقد اعتمدنا المقابلة لأنها ستمكننا من تجاوز صعوبات الفهم والنطق لبعض المبحوثين فهي تتميز بقدر كبير من المرونة إذ تساعدنا من رفع الغموض عن بعض الأسئلة وشرحها للمبحوث مع توضيح بعض الكلمات والمفردات، ومن جهة ثانية تتيح لنا المقابلة فهم الظاهرة من خلال موقف المواجهة الذي سيجمعنا بوحدة البحث وطرح الأسئلة بشكل مباشر. كما تمكننا من فهم إجابات المبحوثين من خلال عدة مواقف وتعابير تظهر على قسمات وجه المعوقين: كالاستغراب، الصراخ، التجاهل، البكاء.

I. التمثلات الاجتماعية للإعاقة:

1 . تمثلات المجتمع للإعاقة:

يحمل المجتمع صورة سلبيّة عن المعوق، أثّرت على نفسيّته وعلى درجة إدماجه في المجتمع وقد تمثّلت هذه الصّورة في العجز والتهميش بل والتّحقير أحيانا أخري وهذا ماعبّر عنه أحد المستجوبين «**المعاق لا قيمة له في مجتمعنا هو مصدر للعناء والشقاء**".

على ضوء هذه المشاهد التى استقيناها من المعيش اليومى للمجتمع وتمثّلات أفراد المجتمع للإعاقة يجدر بنا ملاحظة واقع الإعاقة المتمثّل في إقصاء للفرد المعاق ولأسرته، وأن الحامل للإعاقة غير قادر بأن يكون فاعل في المجتمع بما أنه موصوما اجتماعيا. ولكن من الذّي مكّن من ترسيخ هذه الصّورة؟.

1.1 المعوق من خلال المخيال الإجتماعى:

المخيال الاجتماعي هو مجموعة التصوّرات التي يبنيها الفاعلين الاجتماعيين في إطار مجتمع معين له ثقافته ومن خلال ذلك يستعيد الأفراد ذواتهم التاريخية قصد إنتاجها وإعادة بنائها في صورة أخري. ومن هنا ينحصر المخيال الاجتماعي في مستويين:

- مستوي التصوّر: الذي يشمل كلّ التمثلات والبديهيات المخيالية التي ترسّبت في الذاكرة الجماعية فتتجلي عبر المنطوق الاجتماعي" le dire social" سواء كان شعرا شعبيا، حكايات، إشاعات...
- مستوي الممارسة الاجتماعية: وهي بمثابة امتداد للتصوّر الجماعي المتعلّق بواقعه.

بناءا على ما تقدّم، يمكن القول أن مؤسسة المجتمع تتراوح بين الممارسة الاجتماعية والمنطوق الاجتماعي وكلاهما يترجم الوجود الاجتماعي، أو مثلما عبّر عن ذلك كاستريادیس بقوله: «التاريخ غير موجود ولا معتبر إذا كان خارج مجال المخيال الجماعي الخلّاق أي المخيال الجذريّ حيث يتواصل الناس وينسّقون مع بعضهم في مجال رمزي [6].

إذا، ترسّخت صورة المعوق في المخيـال الاجتماعي التونسي وهو ما نلاحظه من خلال الملفـوظ الشفوي اليومي: "**مهبول، معاق، بكّوش، عايب، معوّج، أعور، أعمش**" وتكاد تعوّض هذه النعوت أسماء الأشخاص وتصبح بناءا رمزيا لهوية الأفراد ويشمل في بعض الأحيان هويّة العائلة، ذلك أنّ هذا المخيال الإجتماعى يرتكز على العنف الرمزي المبني على الشّكل وأبعد ما يمثّل مضمون الفرد.

هكذا نلاحظ، بأنّ المواقف والنعوت السلبية تعكس مخيال اجتماعي يحمله الفرد عن ذوي الإعاقة خاصّة وأن البعض يشعرون بالاشمئزاز والاحتقار"**لا أحبذ**

رأيتهم" والبعض الآخر يشعر بالشفقة "**مسكين**، وفى كلتا الحالتين يغيب قبول الإعاقة ويبقى الوصم الاجتماعي نتيجة لهذا المخيال الاجتماعي السلبي.

2.1 **صورة الإعاقة:**

المعوق غير قادر علي بناء صورة نموذجيّة في المجتمع بما أن المحيط له دور كبير في بناء الصّورة الموجّهة للإعاقة. ومهما حاول المعوق إخفاء هذه الصّورة السلبيّة والتخلّص منها إلا أنّ مكانته الاجتماعية في المجتمع والمحيط يهيمنان على بناء هذه الصّورة التي تبدأ بالإقصاء لتصل للهامشيّة، وهذا ما بيّنه "عبد الستّار السّحباني" في أطروحته بتحديد مجموعة من الصور المهيمنة في المجتمع منها الصورة المرجع وهي الصورة التي يرغب الفاعل الاجتماعي أن ينظر إليه من خلالها، والصورة الوضع هي صورة الواقع المعيش الّذي يبلوره الفاعل الاجتماعي من خلال فعله اليومي. "وهذه الصّورة تتشكّل من خلال 3 أركان وهي:

- **الجوانب النفسيّة وتبرز من خلال:**
  - ✓ الشخصيّة .
  - ✓ الوضع المهني.
  - ✓ المظهر الخارجي.
- **الجوانب الاجتماعية وتبرز من خلال:**
  - ✓ الوضع الاجتماعي.
  - ✓ المكانة الاجتماعية.
  - ✓ العلاقة بالمحيط الخارجي.
- **الجوانب المعيشيّة وتتجلّى من خلال:**
  - ✓ السلوك اليومي.
  - ✓ آليات الفعل.
  - ✓ معالم النجاح [7].

ومن ذلك يمكن أن نستشفّ بأنّ المعوق يعيش صراع بين صورة المرجع وصورة الوضع بين ما يرغب أن ينظر إليه وبين ما هو معيشي وفى هذا الإطارتلتقي المكانة الاجتماعية مع العلاقة بالمحيط بل إنّهما يصبحان بالنّسبة إليه مرادفان على اعتبار أنّ هذه المكانة ليست من انتاجه وهو غير قادر على تغييرها فهي النتيجة المباشرة لفعل المحيط [8].

3.1 المعوق من خلال الذاكرة الشعبية:

تبيّن لنا إثر تحليلنا للذاكرة الشعبيّة الموجّهة للمعوقين بأنّ الأمثال الشعبية تحتلّ مكانة هامّة من الذاكرة الشعبية، بما أنها منتشرة بين الناس، إذ يمكن أن تعبّر عن الحياة من خلال الأقوال، والتى تؤدي لعديد الوظائف كالتعليمية والتسلية... وتعتبر "كلودين شولى" من خلال مسارها الطويل فى البحث أن علماء الاجتماع فى البلاد المغاربية قد استوعبوا ضرورة القيام بمقاربات حول الموروث الشعبى ولا سيما الأمثال الشعبية.

لقد تجسّدت الذّاكرة الشعبيّة في بعض الأمثال الشعبيّة التي تقوم على الدّونية، وقد اختلف فهمها والتّعامل معها وقد اعتمدنا هذا الجدول لتفسير المعنى الدلالي لبعض الأمثال الشعبيّة التونسيّة والمرتبطة بالإعاقة.

الرقم	نصّ المثل الشعبي	المعنى الدلالي للمثل
المثل 1	لشكون تحرقص يا مرت الأعمى؟؟	ليس هناك ضرورة للتزيّن فزوجك الكفيف غير قادر على رأيتك. ما يبيّن الاستهتار من وضعيّة الكفيف.
المثل 2	منظرك في المليح تسبيح ومنظرك في القبيح كفر باللّه.	ملامح الوجه الجميلة هي تسبيح بالله والوجه القبيح هو كفر بالله، يقوم هذا المثل على المقارنة

		بين جميل الوجه وقبيح الوجه وارتباط كلاهما بالبعد الديني والإلاهي.
المثل 3	كيف الأطرش في الزفّة.	مثل الأصمّ في حفل زفاف. يستهتر من صورة الأصمّ في حفل زفاف خاصّة وانه غير قادر على سماع الموسيقي.
المثل 4	جاء يطبّها عماها .	حاول أن يصلح الشيء فأعماه (أفسده)، مايبيّن بأنّ مفهوم العمى مرتبط بالمعيش اليومي التونسي، ومن فشل بالقيام بأحد الحاجيات فهو كفيف. مايبيّن الحقل الدلالي للعجز وارتباطه بالكفيف.
المثل 5	عوراء وتغمز	أعور العين ويغمز، استهتار من وضعيّة أعور العين.

تبيّن لنا إثر تحليلنا لهذه الأمثال بأنّها تعطي فكرة على مكانة المعوق في المخيال الإجتماعى، التي ترسخت في تفكيرنا من خلال التنشئة الاجتماعيّة. «فالفرد لا تتحدّد هويّته ولا يتحقق إلا عبر مسار التنشئة الاجتماعية"[9].

ولنا أن نلاحظ بأنّ هذه الازدواجية أفرزت صورة نمطيّة للمعوق من خلال الأمثال الشعبيّة، صورة يعطيها المجتمع لكلّ المعوقين التي بإمكانها أن تساعدنا على فهم تواصل إقصاء المعوق وذلك بالاعتماد على المخزون الثقافي الذي يساعد على فهم بعض الظّواهر الاجتماعيّة التي تؤكّد تواجدها وتجذّرها من الأغاني والحكايات والأساطير والتي تمثل نموذجا نشأ عليه الفرد وتأثر به. فجدير بنا أن نتساءل على ضوء ما تقدّم تحليله: هل أن هذه الذاكرة تعكس ممارسات أفراد المجتمع تجاه المعوق؟ وكيف يمكن إدراك هذه الظاهرة؟

4.1 الإدراك

إنّ الممارسات الاجتماعية تجاه المعوق تتميز بالرفض الكامل أو تقبّل المعوق لدافع الشفقة، فكيف يمكننا قبول الآخر رغم اختلافه عنا؟.

للمخيال الاجتماعي تأثير سلبيّ على المعوق بما أنّ الأشخاص غالبا ما يتجنّبونه وينظرون إليه كعاجز وغير قادر على العناية بنفسه أو أنه موضع شؤم، فإدراك الإعاقة مرتبط بالمساواة بين جميع الأفراد دون النظر للونهم أو جنسهم أو إعاقتهم. فتهميش مجتمع لفئة اجتماعية هي آليات دفاع ذاتي كإرادة إثبات الذات أو إرادة الاستعلاء والتفوّق التي يمكن أن تتّخذ أشكالا مختلفة ولكن هذا التهميش أو الإقصاء من شأنه أن يعمّق من أزمة الإعاقة لدى المعوق، ويشعر بأنّ لا مكانة له في مجتمعه، وهذا الأمر يثير عديد المسائل ذات الأهميّة البالغة لعلّ من أبرزها مفهوم المواطنة وما تثيره من إشكاليّات من نوع المساواة في الحقوق والواجبات مع مراعاة بعض الاستثناءات التي يتمتّع بها المعوق، ومن الضروريّ إدراك قيمة الفرد المعوق كمواطن قادر على الإبداع والتغيير باعتباره فاعلا اجتماعيّا .

2. تمثلات الأسرة للإعاقة:

1.2 التحوّلات الاجتماعية داخل الأسرة التونسيّة:

عرفت العائلة التونسيّة خلال تاريخها الطويل تطوّرات عديدة عكست ثراء الفضاء الحضاري الذي تستمدّ منه جذورها فكانت محلّ اهتمام الباحثين المتتبّعين لمكانز مات التغيير الاجتماعي. "يناهض التفسير السوسيولوجي لتغيير المجتمعات والارتكاز على العوامل التكنولوجيّة والجغرافيّة والبيولوجيّة لتفسير ظاهرة تغيير المجتمعات الإنسانية، في حين يركّز الاتّجاه السوسيولوجي على التغيّر في العلاقات الاجتماعيّة كأساس ومصدر لهذا التغيّر [(10)].

وضعيّة الأسرة في المجتمع التقليدي مبنيّة عن السّلطة، وهي أساس العلاقات الاجتماعيّة أي سلطة الرّجال على النساء، "فخصائص دور الأب العربي في المرحلة السابقة للإسلام أقرب إلى نموذج الأب الروماني الذي يملك حقّ الحياة

أو الموت على أبنائه الذين لا يروقه بقائهم والغير طبيعيين وخاصّة المعاقين والمشوّهين فيعمد إلى إغراقهم أو تعنيفهم حتى الموت [11].

فالمرأة بمختلف وظائفها يتحدّد دورها في تنظيم الشؤون الداخليّة للبيت فلم تكن تطرح دور الحضانة ورياض الأطفال وغيرها من المؤسّسات الحاضنة، إذ هي تعيش في المجتمع التقليدي داخل فضاءات محدودة ومختلفة تقتصر على البيت والحمّام وهذا ما أشارت إليه "تراكي زناد" في كتابها "أمكنة الجسد في الإسلام" بأنّ المرأة تحمل الذّاكرة الجماعيّة أكثر من الرجل بما أنّ المنزل يعتبر فضاءها وهي الملكة فيه.

تعرّضت العائلة التونسيّة إلى تغيّرات نتيجة التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة مثل التصنيع والطرق الحضريّة في الحياة وانتشار التعليم فكانت لها تأثيرات واضحة على المشهد الأسرى مما ترك المجال لبروز مؤسّسات المجتمع المدني. فعلاوة على تطوّر المستوى التعليمي والثقافي للمرأة التونسيّة والّذي دفعها للمشاركة في سوق الشّغل، تركت المجال ورائها لعديد المؤسّسات الاجتماعيّة الحاضنة، كدور الحضانة ورياض الأطفال. ولكن بيّن "صلاح الدين بن فرج "في دراسة قام بها بان" ليس هناك شكّ أنّ أسرتنا النواتيّة لا تزال تحمل رواسب وخصائص العائلة التقليدية الممتدّة، لهذا يمكن أن نطلق عليها اصطلاحا اسم الأسرة النواة المعدّلة أو الأسرة العائليّة، لما في ذلك امتزاج بين سمات المحافظة والانفتاح[12].

"وقد ظهرت مشكلات أخرى لا يقلّ تأثيرها المزعج عن الفقر والظّروف المعيشيّة الصّعبة، مثل التفكّك الاجتماعي، وسيادة النزعة الفرديّة، وتزايد معدّلات الطّلاق والإجرام وظهرت الرغبة الملحّة من قبل الباحثين الاجتماعيّين في المساعدة على حلّ تلك المشكلات التي أخذت تزداد اتّساعا وخطورة يوما بعد يوم والإسهام في الإصلاحات الاجتماعيّة[13] .

2.2 دراسة أهمّ المتغيرات المؤثرة في رعاية الأسرة لأطفالها المعوقين:

تتأثر رعاية الأسرة للطفل المعوق بعديد العوامل لعلّ أهمّها الوسط الجغرافي الذي توجد فيه الأسرة وكذلك حجمها وإمكانياتها الماديّة والخصائص المرتبطة بالطفل المعوق ومدى قبول الأسرة لطفلها المعوق.

في إطار بحثنا الموسوم بالتمثّلات الاجتماعية للطفل المعوق عضويّا في تونس، استطعنا أن نبيّن بانّ الوسط الجغرافي والإمكانيات المادية لها دورا كبيرا في تحديد نوعية الرعاية التي يمكن أن توفرها الأسرة لطفلها المعوق. ففي الوسط الريفي تتميّز الأسرة بالتّضامن وأغلبها عائلات ممتدّة والطّفل دائم الارتباط بأمّه ولا يفارقها وكذلك يكون حاضرا في المناسبات كالأعراس، والختان " **ولدي هو عينيا** [14] .

والطّفل المعوق داخل الأسرة لا يحرم من أيّ شيء "**الناس الكلّ في الحوش تحبّ**". لذلك فان الأسر الريفية لا تزال قادرة أكثر من الأسر الأخرى على توفير رعاية جيدة لطفلها المعوق، ولكن هناك بعض الأسر الريفية ذات الإمكانيات المحدودة قد تحتاج للمساندة ولكن اقل من تلك التي تحتاجها الأسرة المنتمية للمجتمع الحضري وخاصة منها الأحياء الشعبية التي تعاني الفقر والخصاصة وكثرة البطالة.

من ناحية أخرى توصّلنا من خلال بحثنا الميدانيّة، إلى دور الظروف الصّعبة في التّأثير على نفسيّة الوالدين والمعوق، فهذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخصوصيّة تواجه مشكلة الإعاقة ومشكلة الفقر والحرمان ورغم ذلك تسعى اغلب هذه الأسرْ للاستمرارية والحفاظ على وضع أسري سليم في إطار تفاعل وتواصل ونظام. وللأمّ في كلّ الأسر دور أساسي في رعاية طفلها المعوق وتتحمّل العبء الأكبر "**راني عييتْ ظهْري مُرُضْ ماهَزّان"، "نُبْقَى بالسَّاعَة نْفطّر فِي بِنْتِي**".

3.2 مشكلات الأسرة الرّاعية لطفل ذو الإعاقة العضوية:

- **مشكلات ماديّة**

إنّ رعاية طفل معوق عضويا قد يتطلب من الأسرة إمكانيات ماديّة كبيرة تعجز بعض الأسر عن توفيرها لمحدوديّة دخل أفرادها. فما يحتاجه المعوق من أدوية وآلات تعويضيّة ومن رعاية دائمة تعجز الأسرة على مواجهته. يعيش بذلك بعض أسر المعوقين ظروفا اقتصاديّة واجتماعية صعبة ومتدنيّة ويواجهون ضغوطا نفسيّة كبيرة نتيجة الحرمان والصّعوبات الماديّة وكذلك نتيجة الحاجة لأدوات خاصّة والعناية الطبيّة "**إيجا شوف البيتْ عدها طاحَتْ علينَا**" وقد تنعكس هذه الظروف بصورة سلبية على علاقاتها الداخلية ذلك أن الواقع يبين لنا أن بعض الخلافات الزوجية قد تجد جذورها في المشكلات المادية التي تطرحها رعاية طفل معوق.

- **مشكلة قلّة المعرفة حول الإعاقة وحقوق المعوق في تونس**

لنا ان نلاحظ بأنّ بعض الأسر رغم اجتهادها ورغم ما يتوفر لأفرادها من رغبة في ضمان رعاية جيدة لطفلها المعوق إلا أن درجة الرعاية تبقى محدودة فكلّ الأسر التي قمنا بزيارتها والتي لا يذهب طفلها للجمعيّة هي أسر غير واعية بحقوقها حتّى أنّ المنحة المخصّصة للطّفل المعوق لا يتمتّعون بها "**منعرفش، شكون بش يقلي**" حتّى أنّها لا تعي جدوى العلاج الحديث خاصّة إذا لم يحصل التحسّن الفوري تلتجئ للعلاج الرّعواني مايعكس غياب الوعي بحالة المعوق.

أمّا الأطفال فهم يعانون العزلة والوحدة فهم مهمّشون في لباسهم ونظافتهم ورعايتهم ما يجعل الطّفل غير قادر نفسيّا ولا جسديّا على التّواصل والتّفاعل. فإلى جانب محدوديّة الدّخل فإنّ الأسر غير واعية بأهميّة رعاية ابنهم وكيفيّة مُعامَلَتهِ. وهناك بعض الأولياء لهم مصالح تشغلهم عن الاهتمام بأطفالهم وتصبح العناية بالطّفل من المهام غير المستحبّة. "فلا يتحقّق الإدماج العائلي الذي يعدّ ركيزة الإدماج المدرسي والمهني إلاّ إذا تقبّل الوالدان والإخوة الطّفل المعوق كما هو أيّ بإمكانيّات محدودة متبقّية له فلا هم ينكرون الإعاقة فيطالبونه بما لا يقدر على أدائه ولا هم يبحثون الإمكانيّات والطّاقة الكامنة فيه [15] .

تعتبر الأسرة أنّ دورها في رعاية الطّفل يتمثّل في إطعامه وتغيير ثيابه ومساعدته على القيام بحاجته. فهي غير واعية بأهميّة التوازن النفسي بالنسبة للطفل المعوق.

- **مشكلة الإرهاق والضغط النفسي**

رعاية طفل معوق عضويا وما تتطلبه من وقت من أفراد الأسرة وما تفرضه عليهم من التزامات مستمرة قد تخلق لدى بعض الأسر حالة من الإرهاق والضغط النفسي خاصّة لدى الأمّ بما أنها غالبا ما تكون الفرد المباشر لرعاية الطّفل المعوق. وقد يتعمّق هذا الضغط النفسي والإرهاق فيؤثر على توازن الفرد ويفقده لذّة الحياة كما قد يؤدّى إلى إصابته ببعض الأمراض الجسميّة.

هذا معناه أنّ إعاقة الطّفل هي إعاقة الأسرة، فالوالدان لديهما إحساس مرهف وقابليّة للتأثّر فيما يتعلّق بطفلهما المعوق. فالتوازن النفسي للمعوق يتحقّق بالتوازن الأسري من حيث تماسك العلاقات وقبول الإخوة لإعاقة أخيهم المعوق ولهم دور هامّ في مساعدة الطّفل لمجابهة إعاقته.

4.2 مدى قبول الأسرة لإعاقة ابنها:

تميّزت فترة الحمل بالنسبة للحالات التي قمنا بدراستها بمتابعة طبيّة وأنّ أغلب الأسر تنتظر طفلا عاديّا ومثاليّا وبدون عيوب إذ يتبع فترة الحمل إحساس بالتوتّر وهو شعور عادّي يصاحب كلّ مرحلة ولادة.

استنادا للعمل الميداني الّذي قمنا به سجّلنا بانّ أوّل ردّ فعل يوافق الوالدين بعد الولادة هو الصّدمة نتيجة الحقيقة التي يصعب تقبّلها وهي ولادة طفل معوق ليس الذي تخيّلوه. فكلمة "**تِصدَمِت**" تكرّرت في أغلب المقابلات مع الوالدين ما يعكس شدّة وصعوبة تقبّل الإعاقة العضويّة غير المتوقّعة.

وبالتالي يسعى الوالدان بعد الولادة للبحث وتحديد الأسباب ولكن الثّابت والأغلبيّة يحمّلون الأطبّاء مسؤوليّة الإعاقة من خلال إهمالهم أثناء الولادة، وهذا السّبب يتطوّر ما يؤدّي إلى عدم الثّقة بالأطبّاء ويجعل بعض العائلات تلتجئ للبحث عن العلاج خارج البلاد التونسيّة "**مَا عَادْش عندي فيهُم الثقّة**" ومجموعة

أخرى من الأولياء يحمّلون أنفسهم مسؤوليّة الإعاقة خاصّة الحالات التي تعرّضت لحادث مرور أو ارتفاع حرارة الجسم وانجرّ عنها إعاقة عضويّة ما يتبع الأولياء الشعور بالذّنب ويتولّد عنه حماية ورعاية مفرطة. إنّ الأسرة نوعان: الأسرة الرّافضة للإعاقة والمهمّشة لطفلها والأسرة التي تحمي طفلها وترعاه بطريقة مفرطة "**ولْدي هو حيَاتِي، بطّلت خدْمتِي وتلهيت بيه**" وهذا ما يعمّق مشكلة الإعاقة وهو عدم قبولها. فالرّفض يصاحبه التّهميش أمّا الشعور بالذّنب فيصاحبه الحماية المفرطة وقد حضرت القيم الدينيّة في مقابلات أغلب الأولياء ما يعكس أنّ الجانب الدّيني هو عنصر أساسي لمجابهة مشكلة الإعاقة وقبول حالة الطّفل "**إعَاقَة ولْدي ابتلاء من عند الله**" "**رَبّي يمتحن فيَّا**" "**حَاجَة مِنْ عندْ ربِّي...**". ومقابل ذلك يرفض الأولياء نظرة المجتمع وعبارات الشفقة التي تعمّق من الضغط النفسيّ الذي يعانون منه "**أكْثرْ حَاجَة تَقْهرنِي، كلْمة اللّطْف وإلاّ مِسْكينْ**" ممّا يدفع أغلب الآباء إلى العزلة والخجل من إعاقة ابنهم بما أن التمثلات الاجتماعية الموجّهة للمعوق تكون عادة سلبيّة وحاملة لمعاني الرفض والإقصاء.

3. تمثلات المعوق للإعاقة:

1.3 الصورة الذاتية:

"تأتي معظم استخدامات مفهوم الذات في مجال التفاعلية الرمزيّة وذلك لتخطي مشكلة انّ الناس هم كائنات بيولوجية فريدة، ومبدعة وصاحبة تجربة ومع ذلك فإنهم في نفس الوقت بمثابة مخلوقات تخضع لنظام اجتماعي مقيّد[16] .

يتأثّر مفهوم الذّات بالإعاقة مهما كانت درجتها إذ يمكن أن يكون المعوق ضعيفا وغير قادر على قبول إعاقته أو أن يظهر عداوة وعنفا شديدين. فتصوّر المعوق لجسمه مرتبط بمفهوم الذّات فكلّما استطاع قبول إعاقته وجسمه كلّما كان الخوف والنّكران منخفضين، فالفرد يعي الآخر المعمّم ويستبطن القيم والاتّجاهات السّائدة في وسطه الاجتماعي التي تساهم في جعله يطوّر اتّجاهاته الاجتماعيّة تلقائيّا وينمّى خبرته ومشاعره وتساعده على إتيان أفعال اجتماعيّة ملائمة.

على هذا الأساس، يتطوّر مفهوم الذّات بتطوّر اتّجاهاته الاجتماعيّة وبتحقيق ذاته في المجتمع وتطوير حياته ومستقبله رغم ما يتعرض إليه من رفض وتهميش وإقصاء اجتماعي ذلك أن القدرة على التفاعل واكتساب مهارات هي التي تجعل الفاعل قادرا على "التجاوب مع بقية أفراد مجموعته ومن ثمة يكون قادرا على رسم ذاته وتحقيق التمثلات الاجتماعية من خلال تمثلاته للحياة اليومية التي يتقاسمها مع الآخرين"[17] .

ومن نتائج التحليل يمكن أن نستنتج بأن المعوق يتطلع لصور اجتماعيّة تعكس مراكز اجتماعيّة هامّة ومحترمة ويوجد ما يعبّر عن حلم عدد كبير من الأفراد، فدلالة الصورة تعكس أحلاما فردية تخصّ نظرة الإنسان الخارق لكلّ العراقيل وأحلاما جماعيّة تحمل مجموعة من الأحزان وتحمل مجموعة من القيم مثل: إنقاذ الناس، العلاج، المساواة، حبّ الآخرر.

2.3 درجة الإعاقة:

تختلف درجة الإعاقة من فرد إلى آخر وتختلف خاصيّاتها، فهناك الإعاقة الخفيفة، والمتوسّطة والعميقة وتعتبر الإعاقة العميقة من أشدّ الإعاقات بما أن يصعب التّعامل مع المعوق وتوفير إمكانيّات إدماجِهِ. فكلّما تعمّقت الإعاقة كلّما صَعُبَتْ رعايته وتبيّن أغلب البحوث أنّ المعاقين شديدي الإعاقة لا يمكن إدماجهم حتّى تطوّر مستوى نمائهم يبقى محدودا ممّا يعسر عمليتي التّكوين والتشغيل بالنسبة لهم. وتعتبر الجمعيّة مكانا رمزيّا بالنّسبة للمعوق.

تراءى لنا من خلال الملاحظات التي سجّلناها عبر وتيرة المعيش اليومي للمعوق، بكون جغرافيّة الفضاء تبدأ وتنتهي مع بداية جغرافيّة التواصل الاجتماعي للجماعات، فجغرافيّة التفاعلات مرتبطة بتناول الفضاء وثقافة الجسد في صلة بالفضاء تطرح على مستوى اللاّوعي أكثر منه الوعي ولممارسة الفضائية هي جانب من الجوانب التي تشكّل تمثّل الفاعل لفضائه الذي يتعاطاه بعقله ووجدانه وخياله وأحلامه وحتى ذاكرته التي تشدّه عبر الفضاء للجماعة. ويقوم

الطّفل المعوق بمجموعة من الممارسات والأنشطة داخل الجمعيّة ويعتبرها فضاء للتّواصل والتّفاعل مقارنة بفضاءات أخرى.

دلّت نتائج البحث بان الطفل المعوق يعتبر الجمعيّة فضاء انتمائه، بما أنّه مرفوض من المجتمع، ولا يملك من الأصدقاء أنيسا فيعتبر الجمعيّة فضاء التقائه بأصدقائه الذين يشاركونه الإعاقة والحوار...فرمزيّة الجسد في الفضاء مرتبطة بالتّفاعل. فالمعوقين تتشابه ظروفهم فجلّهم بحاجة للشّعور بالانتماء، والجمعيّة تخلق فيهم الشغف للانتماء إلى مؤسّسة واحدة تكوّن هويّتهم الاجتماعيّة، فالحياة الاجتماعيّة للمعوق تشكو العزلة ذلك أنّ تناقل المشاعر والأفكار وتحقيق عمليّة التأثير المتبادل وما ينتج عنها من اكتساب القدرة الكافية لإدراك وتدعيم الذّات.

4. استراتيجيات تغيير التمثلات الموجهة للمعوقين والعمل على تفعيل المعوق:

يمكن تغيير التمثلات الاجتماعية للإعاقة من خلال تكافئ الفرص وتكامل الأدوار بين جميع الجهات فهي مسؤولية جميع الأطراف:

- القيام بحملات تحسيسيّة وأيّام دراسيّة لتغيير هذه الصورة السلبيّة الموجّهة لذوي الإعاقة واعتبار الإعاقة تنوّع بشري.
- إرساء محيط مهيّأ لذوي الإعاقة.
- إدراج برامج حول الإعاقة في الكتب المدرسيّة.
- على كل المنظمات والوزارات المختصة بالإعاقة بما فيها الشؤون الاجتماعية، التربية، الصحة... وكذلك الإعلام القيام بعمل تربوي وتثقيفي.
- الدفع من أجل الضمانات.
- تقديم حملات تحسيسية لاحتياجات وحقوق المعوق خاصة في المناطق المحرومة والريفية.
- مشاركة المعوقين في رسم السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تهمه.
- وضع خطة متكاملة لإدراج قضايا المعوق في ثقافة المجتمع.

خاتمـــة:

توصّلت دراستنا إلى توضيح وتفسير تمثّلات المجتمع للمعوق من خلال المخيال الجماعي، الأمثال الشعبيّة والذاكرة الجماعيّة الموجّهة لذوي الإعاقة ويختلف تفسيرها لسبب أو لآخر. ومن ناحية أخري تبيّن لنا أنّ هذه التمثّلات تأثّر سلبا على اندماج المعوق في المجتمع خاصّة وأنّ الأسرة الّتي لها طفل معوق تعيش مجموعة من الصعوبات، بما أنّ رعاية طفل معوق عضويّا تفرض العديد من الالتزامات المستمرّة التي قد تخلق لدي بعض الأسر حالة من الإرهاق والضّغط النفسي ومن ذلك يمكننا تأكيد فرضيّتنا بكون الوصم الاجتماعي يؤثر على اندماج المعوق في المجتمع.

فالطّفل المعوق في حاجة أكيدة للرّعاية ومن الضروريّ قبول إعاقته وتغيير هذه الصّورة النمطيّة، فالإعاقة هي مسؤوليّة جميع الأطراف منها: الدّولة والأسرة والجمعيّة والإعلام والمجتمع... يجب على كلّ الاطراف أن تتفاعل لتغيير واقع المعوق خاصّة وأنّ الكثير منهم مازالوا يلازمون منازلهم خوفا من نظرة المجتمع وجهلا منهم لحقوقهم.

❖ **هوامش البحث:**

(1) معز بن حميدة: **التمثلات الاجتماعية لمهنة الخدمة الاجتماعية واستراتيجيات التغيير**، المجلة التونسية لعلوم الشغل عدد25، تونس، 2006، ص 57.

(2) مجموعة من المؤلفين تحت إشراف عبد الستّار رجب: **الإعاقة والمنظور السوسيولوجي والأنثروبولوجي**، وحدة البحث الإبديمولوجيا الوراثية والجزيئيّة، تونس، 2008، ص 69.

(3) وزارة الشؤون الاجتماعية: **مجلة النهوض بالأشخاص المعوقين والنصوص التشريعيّة والترتيبيّة**، تونس، 2009، ص14.

(4) Denise (Jodelet): Représentations sociales, **phénomènes concepts et théorie**, PUF, Paris, avril 1993, p65.

(5) Goffman (Erving) : stigmate : **Les usages sociaux des handicapés**, les éditions de Minuit, Paris, 1975

(6) Cornelius (Castoriadis) : L'institution imaginaire de le société, Paris, Seuil 1975, pg204 .

(7) عبد الستّار السّحباني: **التحوّلات الاجتماعية وإشكالية هوامش الفعل للمجتمع الموازي**، أطروحة دكتورا دولة، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، تونس، 2003 – 2004، ص272.

(8) عبد الستار السّحباني: مرجع سبق ذكره، ص346.

(9) Cornaton (Michel) :**Groupes et sociétés**, Toulouse Privat, 1969, pg15.

(10) عبد الحليم رضا عبد العال: **التغيير الاجتماعي وهيكلة المجتمعات المعاصرة**، مكتبة الانجلو المصري، مصر، 2005، ص29.

(11) Rousselle (Aline) : **Gestes et signes de la famille dans l'empire romain**, histoire de la famille, tome 1 opt cite, pg 256.

(12) صلاح الدّين بن فرج: **العائلة والتحوّلات الاجتماعية في تونس**، شهادة التعمق في البحث، دكتورا مرحلة ثالثة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1998، ص 459.

(13) أحمد السالم لاحمر: **علم اجتماع الأسرة (بين التنظير والواقع المتغّير)**، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولي، بيروت لبنان، 2004، ص27 .

(14) ملاحظة: مثل هذه العبارات وغيرها من العبارات هي من الملفوظ الشفوي التونسي أي اللّهجة العاميّة التونسيّة والتي لها صلة بالمقابلة موضوع الدّراسة.

(15) محمد الرّاجحي، عبد الرزّاق عمّار: "**دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية**"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1982، ص 90.

(16) ميشال مان، ترجمة عادل مختار الهواري: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، مكتبة الفلاح، تونس، ص 635.

(17) Goffman (Erving): **La présentation de soi**, Edition de minuit, coll., Le sens Commun, 1973, p45.

الثقافة النقابية و الكفاءة المهنية في ظل العولمة

الأستاذة:بن حمزة حورية، جامعة قسنطينة2، الجزائر

الأستاذ الدكتور: ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة، الجزائر

الملخص:

تتجلى أهمية الثقافة النقابية في الدور الذي تلعبه المنظمات النقابية لمجابهة الاحتكارات واستغلال الطبقة العاملة، وعلى تنمية روح العمل الجماعي الهادف الى خدمة مصلحة الفريق أو الجماعة، وتهدف أيضا للرفع من كفاءة العمال المهنية لغاية التنمية الاقتصادية وتحقيق أهداف المشروع. وتتحدد هذه الثقافة من خلال معايير العمل المنسق بين العمال وباقي النقابات لاكتساب الخبرات ولحل المشاكل الناتجة عن العولمة وعن آلياتها الاقتصادية الخاصة بوضعية العمال، من جهة، ولتأهيل العامل وتحسين مردوديته في الانتاج، من جهة ثانية.

Abstract :

The importance of the union culture is reflected in the role played by the trade union organizations to confront monopolizing and exploiting the working class as well as developing the group work spirit which aims at serving the interest of the group. Union culture also aims at improving workers professional skills in order to materialize economic development and achieve the project goals. The union culture is defined based on the criteria of coordinated work between the workers and the rest of trade unions in order to acquire the experience and ways to solve the problems stemming from globalization and its economic instruments having to do with the workers situation on the one hand, to rehabilitate and increase workers productivity on the other.

مقدّمة:

إن آليات العولمة التي عصفت بالحركة النقابية في مختلف الدول النامية، كما هو الحال في الجزائر، قد أدت إلى انحراف للعمل النقابي عن المسار المطلبي والاستراتيجي الهادف لمصلحة الطبقة العمالية. والسؤال المطروح هنا هو : ما هي تحديات النقابة لتعزيز التماسك العمالي ضد مخلفات اقتصاد العولمة ؟ وكيف تكون ممارسة الحق النقابي أمام ضغوطات النيو رأسمالية ؟ وهل للثقافة النقابية دور في بعث نقابة بديلة تعمل من أجل تحقيق الكفاءة المهنية للعمال لحماية المؤسسة الاقتصادية، وتأكيد مصداقية هذه المنظمة وأهميتها في التنمية؟

للإجابة على كل هذه التساؤلات نستعرض في هذه الورقة المحاور التالية:

أولا : وضعية العمل النقابي في ظل التحولات الاقتصادية الراهنة:

إن الأهداف الاقتصادية للعولمة وأبعادها تحتم على العمل النقابي ضرورة تخطي السلبيات الناتجة عن التنافسية وقوانين السوق وما تخلفه من نتائج وخيمة على الجانب الاجتماعي من فقر وبطالة واستغلال طبقي... فكان نمو الحركات الاجتماعية وخاصة العمالية المناهضة للعولمة، وتوسع نشاط الحركات الاجتماعية التي "يمكن أن تتشكل من "مصالح" للدفاع عنها، أو السعي من أجل تقدمها ... إنها حركات تهتم بمعايير كلية باعتبارها نتاج الأهداف الجماعية". [1]

لقد تضمنت هذه الحركات الاحتجاجية العالمية أهدافا مختلفة، بسبب التحولات الاقتصادية والتغيرات الإقليمية والدولية التي خصت الاقتصاد العالمي وما صاحبه من مظاهر متباينة من دولة لأخرى ليكون المظهر الأكثر سلبية هو التدني في مستوى معيشية الطبقة العمالية ، لتعبر عن استيائها الكبير ومناهضتها للعولمة.

ومع انتشار الأفكار الداعية الى تطبيق الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، جاءت الحركات العمالية وتوسعت احتجاجاتها ومطلبيتها، والتي أدت الى تكوين

حركة عمالية عالمية مناهضة للعولمة، تحمل أهدافا مشتركة وتعلن اندماجها في كوكبة شعارها الأساسي: لا للاستغلال ، لا للتهميش.

وفي ظل التحولات الاقتصادية للجزائر شأنها شأن أغلب الدول النامية، كان التأزم واضحا في الظروف المهنية والاجتماعية للعمال في مختلف المؤسسات الاقتصادية بسبب العجز والإفلاس، وغيرها من المشاكل، التي خصت اعادة هيكلة الاقتصاد الوطني ومؤسساته منذ نهاية القرن الماضي. هذه السياسة الاقتصادية الجديدة التي تبنتها الجزائر، كانت لخلفية تنموية استراتيجية، ولمواكبة التطور الاقتصادي والتكنولوجي العالمي، فجسدت أهداف العولمة ومعاييرها بتطبيق اقتصاد السوق والخوصصة والشراكة الأجنبية، ومنحت تسهيلات للاستثمار الخاص محليا كان أو أجنبيا. واستفادت الشركات العالمية والمتعددة الجنسيات من امتيازات التنقل والاستثمار، وفتح المجال للعمل دون قيود وفقا لقانون التعاقد الحر، الأمر الذي انعكس على الإطار القانوني للعمل، حيث يحدد هذا الأخير حقوق وواجبات كل الفرد داخل محيط العمل " فسياسات تنظيم العلاقات بين العمال وأرباب العمل تساهم في تغيرات البنى الاجتماعية... ويبقى تأثير التغيرات الاقتصادية والسياسية متفاوتا من مجتمع إلى آخر."[2]

والعولمة الاقتصادية تفرض تجانسا لوضعية العمال المهنية والاجتماعية عبر مختلف الدول، والتي تنعكس على مطالبهم، فلا توجد حدود ولا إقليم يميزهم، فالعمل يسير حسب معايير التنافسية والربحية، والعمل النقابي لا يعبر عن مشكلة طبقة متميزة أو مطلبية عمالية خاصة، وإنما تتعدى هذه المسألة حدود الدولة كون النظام العالمي يقر بمبدأ حرية السوق والتنقل والتوظيف، لتذوب خصوصية المطلبية العمالية ولتحمل أبعادا أكثر شمولية وعولمة. وعليه، فظاهرة العولمة الاقتصادية في مفهومها الواسع هي ظاهرة "تتضمن تحرير الأسواق وخصخصة الأصول وانسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها، ونشر التكنولوجيا والتوزيع العابر للقارات للإنتاج المصنع من خلال الاستثمار الأجنبي المباشر، والتكامل بين الأسواق الرأسمالية ... وتشير كظاهرة إلى الانتشار الواسع المدى في

كل أنحاء العالم للمبيعات، والإنتاج، وعمليات التصنيع، مما يشكل إعادة صياغة للتقسيم الدولي للعمل."[3]

وعلى هذا، فإن العمل النقابي المجسد في ظل النظام الاقتصادي المعولم يعيد الطرح القائل أن النقابات أصبحت أكثر استقلالية بعد تخلصها من الانغلاق وعليها أن تغير من آليات عملها على ضوء تحديات العولمة ومخاطرها. وهنا يفرض على النقابة تجاوز بعدها المحلي، لمعانقة المنظومة النقابية العالمية، حيث أن العامل ينتقل بكل حرية من شركة لأخرى ما دام رأس المال هو نفسه، وبصرف النظر عن الفضاء الذي يشتغل فيه، والمفروض توحيد العمل النقابي بين كل التنظيمات النقابية القائمة [4].

ومن خلال ما سبق طرحه عن الواقع الجديد الذي تواجهه النقابات، فإن هذه الأخيرة تفترض فهم فكرة النقابية Syndicalisme أي ممارسة العمل النقابي من خلال تغيير طبيعة الآليات المنتهجة لفض نزاعات العمل، والتخلي عن دورها التقليدي والابتعاد عن أسلوب عمل " نقابة الوحدة " من حيث الانتماء إلى محيط العمل الضيق والأخذ بمجال عمل أكثر شمولية، على مستوى القطاعات الإنتاجية الواسعة، ليتجاوز الحدود، ولتستطيع تحقيق أهدافها كنقابة قوية ذات مطلبية عالمية.

كما انه وفي مناخ اجتماعي تفشت فيه البطالة، وأمام ظهور أنماط جديدة من مناصب الشغل الهشة، كالعمل بالعقود المحدودة المدة، والعمل بالمناوبة والعمل بوقت جزئي، وكذا أمام تنقل القوى العمالية عبر الحدود وخاصة بأقل تكلفة، كل ذلك استوجب البعد النضالي النقابي العالمي، وضرورة التلاحم والاتحاد فيما بين النقابات لحماية مصالح هذه الطبقة الواسعة في المجتمع، التي لا حيز لها ولا حدود.

إن الظروف الاجتماعية الصعبة الناجمة عن التحولات في المنظومة الاقتصادية العالمية، قد فرض على النقابة، استبدال لإستراتيجيتها المطلبية، من

كونها تعتني بمسائل تخص المشاركة في اتخاذ القرارات الضرورية للعمل، وخاصة من حيث مستويات هذه المشاركة، من مستوى الاستماع إلى مستوى المناقشة فمستوى التصويت[5] لفرض قوتها التفاوضية وضغطها على الطرف الآخر.

وكما يلاحظ اليوم في أغلب المؤسسات، تفاقم مظاهر النزاع بين العمال وأرباب العمل والإدارة، حول مسائل قوامها تحسين ظروف العيش والمحافظة على فرص العمل وتحسين في مستوى الأجور، وغيرها... لكن نفوذ الطرف الرأسمالي يبقى الأقوى " فقد أدى هذا التغير ليس فقط إلى تآكل النقابات العمالية، وإنما أيضا إلى إفراز بيروقراطية نقابية عاجزة عن تعديل القوى لصالح العمال[6].

وإذا كان السؤال والبحث عن أسباب هذا العجز النقابي في ظل آليات نظام العولمة هذه، من شراكة أجنبية و خصخصة، فإن الاجابة تكون بمعرفة اهتمامات العمال المطلبية، والتي تنحصر غالبا في زيادة الأجور والاشتراك في الأرباح، في حين فإن اهتمامات أصحاب العمل تسعى الى جني الأرباح. وهنا يتصادم الفريقان ليأخذ العمل النقابي أشكالا عديدة منها : الإضراب والاحتجاج والاعتصام وتكون مواقف أرباب عمل، الفصل والتسريح، وأحيانا إغلاق المصنع، لإجبار العمال على تغيير مطالبهم، وكذا العمل على القضاء على النقابة، وحل هذا الجهاز، و في الكثير من الأحوال فصل الممثلين النقابيين ومعاقبتهم واستخدام العنف ضدهم. وفي مفارقة أخرى تعتمد النقابة على المسايرة والتأقلم والتهدئة للوضع الذي تمر به المؤسسات الإنتاجية الصناعية، لمسايرة التوجهات التنظيمية والاستراتيجية الاقتصادية.

وفي خضم هذه التحولات الاقتصادية ظهرت مصطلحات جديدة لمهمة النقابة اليوم منها مصطلح "النقابة المقاولة" والنقابة "الدمجية" و"المواطنة"، والتي تجعل من العمل النقابي وسيلة لتمرير النصوص والقوانين والقرارات، بعيدا عن الهدف المطلبي، وأضحت النقابة بهذه المهام تنهج سياسة التأقلم ومسايرة التحول التنموي، بعد أن كانت في عهد قريب تندد بسياسات الخصخصة وتحارب السوق

الحرة، وتنبذ الرأسمالية، فهي الآن تعد شريكا اجتماعيا واقتصاديا، ترى أن نجاح المشروع الاجتماعي من نجاح المشروع الاقتصادي.

ومن جانب آخر، فان التحولات الاقتصادية والسياسية وما عقبها من تشريعات وقوانين، التي تدعو الى حرية الرأي، والديمقراطية، والتعددية، قد انعكست سلبا على واقع الطبقة العمالية وعلى مكانتها داخل محيط العمل، كما أثرت سلبا على طبيعة العمل النقابي وعلى القوة التفاوضية للنقابة، "حيث أضحى العمل على بناء البرنامج النقابي واتخاذ المواقف لمواجهة نتائج وسلبيات اقتصاد السوق صعب لتتعدد النقابات بعدد الأحزاب وليصير الحديث عن النقابة اليمينية واليسارية فتشتت الطبقة العاملة وتخرب الممارسة النقابية"[7].

وفي المقابل، أضحى العمل في هذه الأوضاع، وسيلة لضمان لقمة العيش، كون العولمة في هذا الإطار، أدت الى " التراجع السريع والمفاجئ في مستوى المعيشة، وانتشار الفقر. وهذه الوتيرة المتسارعة، هي نتيجة منطقية لاتساع ظاهرة البطالة التي أخذت بدورها بعدا عوليا ... وعليه، فإنه ومهما كان التوسع الحاصل في الإنتاج، فقد يرافقه تقليص في التوظيف، وخفض في أجور العمال إلى أدنى مستوياتها، بسبب البحث عن أسواق عمالة خارجية رخيصة، و هذا ناتج عن إفلاس المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ليزداد بذلك عدد المنتمين إلى جيش البطالين الاحتياطي "[8]. وتعد هذه الوضعية، إحدى أهم الأسباب التي أدت إلى تأزم العمل النقابي، ليتراجع الوعي بشرعية المطلبية أمام التبعية المساندة لفكر العولمة الاقتصادية ومسايرة آلياتها بل الرضوخ لسلبياتها.

ثانيا: دور الثقافة النقابية في مواجهة الاحتكار وآلياته:

تعد المنظمة النقابية مصدرا للممارسة النضالية، المرتبطة بفئة المستخدم والعامل خاصة، ولها رسالة الدفاع عن حقوقه في ظل التجاوزات التي يخترقها رب العمل أو صاحب المؤسسة. وتتكون النقابة من نسق بنيوي يضم مجموع المنخرطين

فيها ونسق وظيفي يشكله القانون والخطة المتفق عليها من قبل المنظمة ذاتها، والتي تتمثل في مجموع القرارات الخاصة بالعمل وعلاقاته.

وتسعى هذه المنظمة في ظروفها الحالية، إلى التفكير في كيفية إعادة الاعتبار لمكانتها من حيث مصداقية العمل النقابي واستقلاليته في القرار، أمام تزايد الاحتكار الرأسمالي وتوسع الشركات الأجنبية خاصة التي تختفي وراء قناع عولمة الاقتصاد بدعوى الخصخصة و الاستثمار والليبرالية الجديدة. وتتجلى أولويات هذه الإستراتيجية النقابية في توعية العمال بالحق النقابي، وبتثقيفهم بأهمية النقابة، من خلال حوار جماعي و ديمقراطي، يطرح "ضرورة إعادة تنظيم الحركة النقابية على أسس عصرية مواكبة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية، ترتكز على هيكلية نقابية تأخذ بعين الاعتبار كافة المتغيرات "[9].

وتتجسد أبرز هذه التطورات في كون المؤسسات المالية، هي التي تتحكم في القرار في المجال الاقتصادي والسياسي، حيث ازدادت صلاحية هذه المؤسسات في مجال التوظيف وعقود العمل، والضغط على العمال من خلال الاحتياطي البشري من البطالين، نتيجة تخلي الدولة عن دورها في التشغيل و حماية مناصب العمل. وهنا نجد أن " الخلل واضح في العلاقة بين المال والعمالة، والتي تنعكس سلبا على الاستقرار الاجتماعي، وتعكس عمق الأزمة التي يعانيها سوق العمل فيما يتعلق بتسريح العمال."[10]

وحتى تكون النقابات في موضع قوة لمواجهة هذه الأزمة، والاحتكار الرأسمالي، عليها نشر ثقافة نقابية بالاعتماد على الأسس الآتية:

1-التركيز على أساليب التوعية النقابية : إن ما يمكن ملاحظته خلال العقدين الأخيرين هو وجود شبكات متباينة في العمل والإنتاج، تعكس الظروف السلبية للدول النامية وتؤثر على قوة نقاباتها العمالية، حيث يتم توزيع العمل على وحدات كثيرة في العالم، وهي غالبا منفصلة عن بعضها البعض، حيث أتت هذه التجزئة على انهيار القاعدة التنظيمية بالنسبة للنقابات العمالية، فانخفضت نسبة

العمال المنتسبين الى المنظمات النقابية، وهنا نستدل بإحدى الدراسات المسحية التي تمت بين سنة 1970 و سنة 2000، التي تؤكد تراجع قوة النقابات، وانخفاض نسبة الانخراط العمالي في النقابة، في 17 دولة من بين 20 دولة خصتها عملية المسح منها: الدول الإسكندنافية، جنوب إفريقيا، البرازيل، وكوريا الجنوبية. وتوضح الدراسة أن هذا التراجع يحدث بالرغم من أن هذه الدول نفسها تنمو بها القوى العاملة عدديا، يوما بعد يوم [11].

ولهذا، فإن العمل على ترسيخ سلوك الانخراط النقابي في محيط العمل، يكون عبر الدور الفعال للمنظمة النقابية، والتي تواجهها تحديات كبرى، من خلال إعادة النظر في العديد من المسائل التي تخص العامل، منها:

- مسألة الأجور وتحسينها.
- مسألة الحفاظ والاستقرار الوظيفي.
- مسألة تحديد ساعات العمل والحماية والأمن.
- مسألة التامين والضمان الاجتماعي.
- حماية العمال من كل ضغط أو قهر يمارس ضدهم من طرف رب العمل.
- مواجهة الظروف الاجتماعية المتأزمة .

إن الأزمة الاجتماعية التي خلفتها سيرورة العمل في ظل العولمة، هي " حالة من الفوضى تنتج عن تفكك العلاقات والضوابط الاجتماعية بسبب تفاقم ظواهر الفقر والبطالة والانحراف والبؤس، وما ينتج عن ذلك من تدني في مستوى المعيشة وارتفاع الأسعار، وانهيار للقيم وانحلال أسري وغير ذلك، من الأمراض الاجتماعية الذي يؤدي تراكمها إلى تهديد النظام الاجتماعي بأكمله "[12].

وبسبب هذه المخلفات الاجتماعية للعولمة، جاءت الحركات الاجتماعية وخاصة العمالية التي كانت غالبا غير مؤطرة نقابيا، من خلال الاحتجاجات والإضرابات العمالية، وذلك في العديد من المواقع الاقتصادية وفي كثير من الدول

ومنها الجزائر، ليعيش العالم حركية عمالية واسعة، تستوجب التنظيم والتثقيف النقابي .

2. التأكيد على أهمية التماسك العمالي: إن أهمية ودور النقابة في المؤسسة الاقتصادية، لا يتجلى في المسائل المادية والاجتماعية للعمال فحسب، فهي تسعى أيضا في أغلب الظروف الى تحديد العلاقة بين النقابة والتعاون العمالي، لحماية الأجير و نجاح مشروع المؤسسة معا، وأيضا لتفادي كل أشكال النزاع في العمل. ففي ظل هذا التحول الجذري لعلاقات العمل، الذي تنتهجه الجزائر ومؤسساتها الاقتصادية باختلاف نشاطاتها، يدفع المسير إلى تحقيق أقصى درجة من التعاون والتنسيق والوفاق بين المنظمة الاقتصادية، والنقابات الممثلة للعاملين، والمبنية على الثقة فيما بينهما.[13] وهذا النموذج من النقابات يجعل العمل النقابي جزءا من المشروع المدعم لتنفيذ مخططاته ولتحقيق أهدافه.

إن لهذا التوجه الجديد في علاقات العمل، وما أفرزه من صعوبات تنظيمية واجتماعية في المؤسسة، جعل الباحثون والنقابيون يقترحون مجموعة من الحلول لتقوية النضال النقابي، ولتحقيق وحدة وتماسك العمال، خاصة أمام تنامي سلطة أرباب العمل من جهة، والحفاظ على هذه المنظمة ومصداقيتها في صفوف الطبقة العاملة من جهة ثانية، حيث يرى النقابي Don Gallin أنه على النقابة أن تقوم بتطبيق الخطوات الآتية[14]:

- استعمال إستراتيجية متكيفة مع الظروف المستقبلية وتحسين هذه الإستراتيجية بنظرة موحدة لتسوية الخلافات.
- اتباع سياسة التحالف للدفاع عن حقوق الأفراد.
- توظيف العنصر النسوي في العمل النقابي (فنسبة اليد العاملة النسوية في أوروبا سنة 1993 يتجاوز 42٪).
- ترقية سلوك وثقافة أعضاء المنظمات النقابية بالتخلي عن الطرق الكلاسيكية في المجال التفاوضي.

- تكوين مطالب منطقية(مسألة الأجور الاستقرار الوظيفي، ساعات العمل..)
- اكتساب التجربة مع مختلف القطاعات المحلية والعالمية.

فالحق في العمل والتكوين والتأهيل، أمور أساسية تتحقق بضرورة التوعية العمالية، حتى تكون قوة في الانخراط النقابي، ومنه تزداد قوة وقدرة النقابة في المجال التفاوضي، ومن جانب آخر، فإن المسيرة النقابية في العالم قد أخذت أسلوبا آخر في التوعية النقابية ومنعطفا جديدا يتمثل في بعث نقابات اندماجية واتحادات عمالية عالمية، تجتمع وتعقد مؤتمراتها الدولية لمناقشة معايير العمل وحقوق العمال وبعث الكفاءة المهنية لتحقيق التنمية، ومواجهة قرارات الاحتكار الرأسمالي لمنظمة التجارة العالمية، وذلك بعقد لقاءات بين ممثلي العمال في مختلف دول العالم، وكان أهم لقاء[15] الذي تبنى شعار: "لنجعل مسيرة العولمة تسير في مصالح التنمية وشعوب العالم"، يهدف إلى إرساء نظام تجارة دولي قائم على قوانين عادلة، وتحترم فيه معايير العمل، طبقا لما ورد في ميثاق منظمة العمل الدولية، والى تحقيق تنمية متوازنة.

إن ظروف العمل الخاصة بالطبقة العاملة ظروفا صعبة، تدفع من خلالها هذه الأخيرة فاتورة التحول الاقتصادي والليبرالي، فهي تستغل أبشع استغلال، يوميا في العمل من طرف الشركات المتعددة الجنسيات، والتي أصبحت إستراتيجيتها الاقتصادية بعيدة كل البعد عن الجانب الانساني والاجتماعي.

فهي تعتمد على"عمالة غير شرعية بشكل متصاعد، حيث تمارس الشركات المتعددة الجنسيات أجورا متدنية وظروف عمل سيئة بالمقارنة مع أماكن أخرى، و تقوم بجميع أشكال التمييز، حتى التي تأخذ طابع التفرقة الجنسية، إذ أن التلزيم الثانوي (وهو شكل من عقود العمل يوكل فيه طرف الى طرف ثان مهمة انتاج سلع وخدمات بفعل التخصص والانتشار الدولي للعمل) وإذ أن العمالة المؤقتة والموسمية والوظائف بدوام غير كامل والوظائف غير المصرح عنها ...كلها لا تخضع لسلطة الحكومات، وتتحرر من القيود التي تفرضها عليها التشريعات

المحلية والوطنية وعقود العمل،ويكفي أحيانا أول تهديد بنقل مواقع العمل، للضغط على حرية التجمع كما تضغط على حق التفاوض والإضراب "[16] .

وعلى هذا تبقى إشكالية فعالية المنظمة النقابية في مجالات التوعية والثقافة النقابية مسألة هامة، ولا تتحقق إلا بتوظيف العناصر التالية:

- تثقيف الطبقة العمالية بالمسائل الخاصة بالنقابة وبأهميتها ، يتحقق الفعل النقابي بالتلاحم بين العمال وممثليهم وتنجح المطلبية العمالية في حماية مصالح هذه الطبقة بالتماسك والوعي النقابي.
- الصفة التمثيلية للنقابات: التي تعني من جهة النسبة المئوية لعدد المنتسبين للنقابة من المجموع الكلي للأجزاء الذين يحق لهم الانتساب لها.
- وحدة النقابات وتعددها : فالنقابات قد تكون متعددة الأشكال والأهداف، ويبقى من الضروري وجود تعددية في النقابات، غير أن التعددية قد تضعف أحيانا من العمل النقابي- اذا حمل أهدافا ايديولوجية-
- الانضباط : وهي مسألة يجب أن يتقيد بها النقابيون والعمال أثناء نشوب الصراعات وتطور مجرياته، فالانضباط الضعيف يمكن أن يفضي إلى شل عمل النقابات (مثلا أثناء موقف الإضراب).
- التقيد بنص القانون[17] المتفق عليه، الذي يحث على دور الفكر النقابي بما يتماشى وفعالية المؤسسة الاقتصادية ، ويبرز من جهة ثانية المحددات المطلبية للنضال النقابي المستقل والحر، لحماية المصلحة العمالية والتي من أهمها: استقلالية النقابة، الحق في الإضراب ...

3 . ممارسة العمل النقابي في واقع المؤسسة الاقتصادية : إن وضعية الممارسة النقابية اليوم تشكل في محتوياتها العديد من المسائل منها ما يتعلق بغياب إستراتيجية عامة للعمل النقابي، وضعف في ثقافة العمل المطلبي، إضافة إلى ذلك دخول أجيال جديدة من العمال الشباب كطاقة عاملة في العديد من القطاعات الإنتاجية برؤى مختلفة، فهي قوى عاملة دخلت عالم الشغل في عهد الليبرالية الحديثة وفي عصر

قوانين الشغل الحرة، وأيضا في ظل شروط عمل قاسية، مختلفة عن سابقيها من الأجيال والتي حملت أفكار مشبعة بالعدالة والمساواة (النظام الاشتراكي) فكان الصراع الثقافي بين الطرفين.

فالحركية العمالية وما صاحبها من تغير في مسارها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في واقع المؤسسة وخاصة الصناعية منها وفي ظل نظام العولمة من شراكة أجنبية أو خصخصة، لا يختلف عن العالم الصناعي الرأسمالي، " فالتغير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمعات الصناعية المعاصرة، ينعكس على طبيعة النضال العمالي كطبقة، ويعد هذا التغير صفة أساسية من صفات المجتمع، ولا يمكن أن يخضع لإرادة معينة بل أنه نتيجة لتيارات اجتماعية وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتداخل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض "[18].

وها هي الآن المتغيرات المتداخلة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعصف بالعمل النقابي في الواقع، وتوجهه لبرمجة فعل نقابي على مقاس هذه المتغيرات. فالعولمة بآلياتها السوسيو- اقتصادية فرضت البحث عن أساليب جديدة للعمل النقابي ليتجسد في نموذجين: الأول يمثل حركات عمالية غربية جديدة، تتخذ في أسلوبها تطوير العمل النقابي كحركة مطلبية عالمية[19]، والتي خصت المجتمعات الأوروبية، هدفها مواجهة قوى السوق، وتحقيق نقابية عالمية على أنقاض الليبرالية العالمية، والثاني نموذج عمل من أجل حماية المشروع الانتاجي كجزء من حماية الطبقة العمالية.

وتبقى هذه التحديات مركز جدل عميق، في حين ما تواجهه النقابات في المجتمعات النامية، اشكاليات أخرى، بحيث وعلى المستوى النقابي تكون الأزمة في سيادة المركزية الفوقية في اتخاذ القرارات، وتهميش الخصوصيات المحلية وطغيان البيروقراطية وتغييب لمناهج وآليات الديمقراطية بسبب سيادة عقلية الزعامة داخل التنظيم النقابي، وفي الوقت نفسه فإن التنظيمات النقابية قد أدرجت مشروع التعاون أو ما يعرف " بالعقد الاجتماعي " وهو عقد بين التنظيم النقابي والحكومة وأرباب العمل، الثلاثة أطراف المشكلة لفريق عمل واحد، تتخلى فيه النقابة عن

النضال المطلبي وتعمل على التهدئة، مقابل التحاور حول مسألة تحسين أجور العمال، ورفع مستوى معيشتهم، بما يخدم التنمية والبناء الاقتصادي الراهن.

وهنا نسجل بأن التجربة التاريخية للنقابات تعتمد في نضالها من أجل الاعتراف بها اعترافا قانونيا كطرف في المفاوضات على مسألة تحديد الأجور والمسائل العمالية المختلفة ،ونستدل إلى القول بأن صاحب العمل ليس عبارة عن فرد قانوني فحسب، بل هو مشرع له، ذلك أن صاحب العمل يحشد خلفه الإمكانيات الفنية والمادية وغيرها...على خلاف العامل الذي يفتقر إلى هذا الدعم، وقد اضطرت الدوائر الصناعية الرأسمالية إلى التسليم بهذه الحجة، مع اعتبار العامل عنصرا في العمل لا يستهان به.

وأصبحت النقابات تمثل طرفا في التعاقد معترف به قانونيا. وإذا كانت القطيعة بين الطرفين صاحب العمل والعامل هي ضمن سيرورة التاريخ الرأسمالي، فإن الواقع قد خلق حركة عمالية جديدة، تتبلور حولها فكرة التغيير وتعمل على تعبئة اهتمامات الفئات العمالية بعيدا عن النقابة الفاعلة، لتكوين البديل عنها وهي ظاهرة تتردد في بعض الدول الرأسمالية الصناعية من حين لآخر، بل تكثر في فترات معينة وتكون كثرتها نذيرا بوقوع تغيرات أساسية واسعة النطاق[20]. ويعد هذا الشكل من الحركات العمالية نابعا من القاعدة غالبا بعيدة عن أي تأطير نقابي، تسعى للتعبير عن استيائها للأوضاع التي آلت إليها الطبقة العمالية في ظل العولمة.

ثالثا : الثقافة النقابية ودورها في تحقيق الكفاءة المهنية :

تمثل الكفاءة المهنية في معناها "الرشد في استخدام الموارد المتاحة بالشكل الذي يحقق أعلى مردودية، وذلك باشباع حاجات ورغبات الأفراد العاملين، ورفع الروح المعنوية لديهم ليعزز رغبتهم واندفاعهم للعمل" [21] فهي قدرة شخص ما على استعمال مكتسباته من أجل ممارسة وظيفة ما مهنة معينة على أحسن وجه، حسب العامل فهي تعني "أن يوفر له العمل المرضي والمناسب، ويمنحه

القدر الملائم من السلطة مع التحديد الواضح للاختصاصات، وأن يشارك في حل مشاكله وخلق فرص الترقية وتوفير الأجر المناسب."[22] فالكفاءة هي ما يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف الشخصية بالتحفيز والتدريب والتكوين، في وضعيات مختلفة داخل إطار الحقل المهني. كما تتضمن أيضا تنظيم العمل وتخطيطه وكذا الابتكار والقدرة على التكيف، فالكفاءة تتضمن المزايا الفردية للتعامل مع محيط العمل وتكوين علاقات مع الزملاء، الإدارة والزبائن بشكل من النجاعة ليخدم المحيط العمالي كله.

وفي ما يخص الثقافة النقابية، فهي من أبرز الاهتمامات الخاصة بالحركة النقابية في وضعها الراهن لتحقيق هذه الكفاءة المهنية للعمال في ظل التحول الاقتصادي، فهي بذلك تعبر عن قضايا واهتمامات العمال، كما تتضمن المطالب والحاجات المادية والمعنوية. كذلك تسعى لإيجاد إطارات نقابية مؤهلة لتكون مستقلة في قراراتها، وقوية في سياساتها لفرض قراراتها، ولتنمية المزايا والمؤهلات العمالية خدمة للمؤسسة (مكان العمل انتاجا وتماسكا). ولذلك نؤكد في هذا المجال أن النقابات العربية تبحث عن خطة مشتركة لنشر الثقافة النقابية، فحسب " الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب "[23] يكون ذلك عبر:

- تبني إستراتيجية ثقافية شاملة للحركة العمالية العربية لتلبية متطلبات المرحلة المستقبلية والمتغيرات الدولية بما يساعد على تعميق الوعي بخطورة الآثار السلبية للعولمة والتصدي لانعكاساتها.
- التأكيد على الممارسة الديمقراطية للحركة النقابية ...
- التأكيد على أهمية وحدة الحركة النقابية واستقلاليتها ...
- دراسة أسباب العزوف عن الانتساب إلى التنظيم النقابي ونتائجه على العمل النقابي والتضامن العمالي...
- العمل على تكوين العمال: مؤهلاتهم وخبراتهم لمواكبة التنافسية في الانتاج ...

توضع هذه الاهتمامات كل يوم على طاولة الحوار والاجتماعات، لتعالج في بالحوار والنقاش، ولوضع استراتيجية موحدة بين النقابات العربية، و هي أيضا حالة الجزائر، فالقوى العاملة وبأصنافها المختلفة خاصة في المؤسسة الصناعية الجزائرية، ظلت منذ فترة بعيدة، في وضعية معقدة إيديولوجيا واجتماعيا، ولم تسمح لها الظروف لكي تحقق تطورا في معارفها وتنمية في ثقافتها النضالية، بالإضافة إلى أصولها الاجتماعية ومستواها التعليمي، ومكانتها الاقتصادية والمادية ، كل ذلك جعلها تتطور بشكل مختلف عن مثيلاتها في الدول الأخرى [24] .

كما أن من سمات الحركة النقابية في الجزائر تميزها بخصوصية العمل في إطار سياسوي، ولها أهداف مغايرة عن باقي النقابات في العالم، حيث كانت ولفترة طويلة ركيزة وقاعدة لتدعيم التنمية الاشتراكية، في عهد السبعينات، لتبقى عنصرا أساسيا، وأداة فعالة اليوم أيضا، بمسايرتها للتنمية على نمط الليبرالية في عهد العولمة، من خلال تثمينها لأسلوب المؤسسة المخصخصة وللشراكة الأجنبية، ولحرية السوق..مع أنها، تسير اليوم نحو منحى جديد باستقلاليتها وبحريتها كمنظمة عمالية.

ولكن ما تزال تواجهها تحديات أهمها تبني ثقافة نقابية واعية لمواجهة الاحتكارات الرأسمالية والهيمنة والتبعية الأجنبية. وعليه فالنقابة مجبرة على إقرار الإصلاح الاقتصادي وتدعيمه كمشروع لا خيار فيه من خلال الدور الذي تمثله كشريك اجتماعي، لحل مشاكل الطبقة العمالية، بتطبيق مبدأ تفاوض الثلاثية حول مسائل العمال : كالتسريح ، نظام الأجور، المنح والتقاعد ... وتبقى علاقة العمل النقابي بالكفاءة المهنية العمالية، مسألة جوهرية هادفة لحماية منصب العمل، وتحسين ظروف العامل، وكذا للرفع من أداء المؤسسة الانتاجية.

خاتمة :

في محتوى طرحنا السابق، والمتضمن نموذج العمل والثقافة النقابية في ظل العولمة، تتوضح الأوضاع الاجتماعية المزرية للعامل، مع التأكيد ضرورة تحسينها بنشر ثقافة العمل النقابي والحث على تنمية روح العمل الجماعي، للحفاظ على المكانة الاقتصادية لمؤسسة العمل، والتي كانت قد أدخلت مجبرة إلى معايير التنافسية في ظل نظام اقتصاد السوق. والتحدي الآخر لهذه المنظمة النقابية يتمثل في سعيها لتنمية معارف الطبقة العمالية، و ثقافتها ومهارتها وكذا مستوى وعيها، خدمة للقضايا المستجدة بتحقيق الكفاءة المهنية للعمال في العمل حفاظا على الاقتصاد الوطني، ومواكبة عالم التجارة العالمية ، بعيدا عن التفكك الناتج عن التعددية النقابية وعن ظاهرة التسرب من التنظيم النقابي.

❖ **هوامش البحث:**

(1) ريمون بودون، بيار نافيل: **المعجم النقدي في علم الاجتماع** ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986، ص270.

(2) بيار لاروك: **الطبقات الاجتماعية،** ترجمة جوزيف عبودكية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، صص32- 33.

(3) محي محمد مسعد: **مواجهة مشكلة الفقر في عصر العولمة**، دار الكتاب القانوني، مصر،2008 ، ص ص49 -51.

(4) يحيى يحياوي: **العمل النقابي وتحديات العولمة، مداخلة باليوم الدراسي حول الممارسة النقابية بالمغرب، التجارب والتحولات وتحديات العولمة**، جمعة الوفاء للديمقراطية، الرباط،29 يونيو 2003، **جريدة العلم،** 24 أوت 2003، ص7.

(5) طارق كمال: **علم النفس المهني والصناعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2007، صص 202-203.

(6) المنتدى العربي للشغل، ورقة حول انعكاسات الأزمة العالمية على البطالة والتشغيل في البلدان العربية، تقرير حسين الديماسي الموقع:**alolabor.org/final**

(7) محمد حنفي: **فاتح ماي بين العمل على تضليل الشغيلة والعمل على عولمة النضالات المطلبية، الحوار المتمدن** رقم 1564 مركز دراسات وأبحاث، الموقع www.alhewar.org 31/ 05/ 2006

(8) ناصر الدين الأسد: العولمة وإشكالية الخصوصية الثقافية، **مجلة الباحث الاجتماعي**، جامعة قسنطينة، قسم علم الاجتماع، العدد 2، سبتمبر 1999، ص ص 225-226.

(9) اتحاد نقابات العرب: حول الحركة النقابية، **المستقبل الاقتصادي**، العدد 1908 بتاريخ 04 أيار 2005، لبنان، الموقع الإلكتروني www.almustaqbal.com

(10) سلام الريضي: الثورة الجذرية في عالم العمل، بحث في العلاقات الدولية، **جريدة الأخبار**(21كانون الأول2009)، الموقع: www.akhbarelyoum.com

(11) فضيلة يوسف: نقابات العمال العالمية فقط تحمي من السقوط ، **الحوار المتمدن**، العدد 1907 (6 ماي 2007)، الموقع www.ahewar.org

(12) سالم لبيض: الأزمات الاجتماعية والسياسية، إدارتها وآثارها مثال تونس (1957-1987)، **مجلة علوم إنسانية** ، العدد 18 بتاريخ فيفري 2005 .

(13) المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية: **ماهية إستراتيجية إدارة الموارد البشرية في ظل العولمة**، الموقع الالكتروني www.hrdiscusion.com/hr

(14)Don Gallin(président du global Institute -GLI-): article forum**: Entré conséquence et résistance**; domaine public www.domaine public,ch/articles.21 sep2001

(15) هنا كان عقد اللقاء الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية في الدوحة بحضور نقابة الاتحاد العمالي العالمي الذي مثل 40 نقابة تمثل 150 مليون عامل، جاء **في جريدة الشرق الأوسط**، العدد 8382 بتاريخ 9 نوفمبر 2001.

(16) آلان غريش : **أطلس العولمة**، ترجمة سمير العطية، مطبعة دار الكتب لبنان، 2003 ،ص 75.

(17) ارجع قانون الحق النقابي 90/ 14 المؤرخ في 2 يونيو 1990 يتعلق بكيفات ممارسة الحق النقابي، المادة (5) عن قانون العمل النصوص التشريعية المعهد الوطني للعمل، الجزائر، 1990 ، ص.193، أو **الجريدة الرسمية رقم 17**.

(18) محمد بدوي السيد: **مبادئ علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998، ص 277

(19) في خطاب لـ"ديفيس سبونر": **الكاتب العام للفيدرالية الدولية لجمعيات تثقيف العمال، في ملتقى حول تثقيف العمال بالمغرب**، بتاريخ 7 فبراير 2005.

(20) محمد محمود الجوهري: **علم الاجتماع الصناعي والتنظيم**، دار الميسرة ، عمان، 2009، ص ص 157-158.

(21) خليل حسن الشماع: **نظرية المنظمة**، دار الميسرة، عمان، الأردن، 2000، ص.331 .

(22) عبد الغفار حنفي: **أساسيات إدارة منظمات الأعمال**، دار الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2006، ص.224.

(23) الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، مقال بعنوان: التوجهات المستقبلية في مجال الثقافة العمالية (تصورات معروضة على المؤتمر الثاني عشر)، على الموقع الالكتروني: www.isatu56.org

(24) بشاينية سعد: **تنظيم القوى العاملة في المؤسسات الصناعية الجزائرية**، منشورات جامعة منتوري ،قسنطينة،2002 ص124.

مشكلة التلوث البيئي: رؤية علم اجتماعية

الأستاذ: نوار بـورزق
جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

يمثل التلوث البيئي ذلك الخلل الذي يمس كافة الجوانب الطبيعية من هواء وماء وتربة، والجوانب الاجتماعية من علاقات ونظم ومعاملات اجتماعية، وهو على ثلاث مستويات. وينشأ بناء على عدة عوامل منها الطبيعية ومنها البشرية والتي ترتبط مباشرة بالسلوك الانساني. وهو ما ستكون له انعكاسات سلبية على الحياة الانسانية. ولهذا ظهرت الرؤية التي تدعو إلى مقاربة الموضوع في إطار النظرية الاجتماعية والثقافية.

Abstract:

The pollution of the environment is a defection affecting all the natural elements, air, water and soil, also the social aspects, relational, organizational and transactional, as it is spread over three levels. This phenomenon returns to several factors, natural and other ones linked directely to human behavior. this will have a negative impact on his life. This calls for an approach to the subject based on social and cultural theory.

مقدّمة:

يعد التلوث البيئي من أبرز صور المشكلة البيئة، وخطورته تمس الحياة اليومية للإنسان مباشرة. مع العلم أنه ليس مشكلة جديدة أو طارئة بالنسبة للأرض، وإنما الجديد فيها هو زيادة شدة التلوث كما وكيفا في العصر الحاضر. والاهتمام به تأثر بسيطرة الأفكار المادية عالميا. لذلك طغى التركيز على التلوث البيئي في شقه المادي، ممثلا في تلوث الماء والهواء والتربة، وإهمال للنوع الثاني، وهو التلوث المعنوي، ممثلا في التلوث الثقافي والفكري والأخلاقي وكل تلوث غير محسوس.

على الرغم من أن كل خلل في المكونات الأساسية للبيئة من ماء وهواء وتربة، وهو نتيجة لانحراف الممارسات الإنسانية وخروجها عن الإطار العام لقواعد حماية البيئة الذي يرجع في الأصل إلى كل تغيير يمس أفكار وقيم المجتمع، والذي يمكن أن يمثل السبب الجوهري لمشكلة التلوث البيئي. ومن هذا التصور سيتم البحث في التداعيات الاجتماعية لمقاربة هذا الموضوع سوسيولوجيا.

1. **تعريف التلوث البيئي:** التلوث في اللغة كلمة تدل على الدنس لفساد والنجس، وفعلها "لوث"؛ يعني لوث الشيء تلويثا، وقيل لوث ثوبه بالطين؛ أي لطخه و تلوث بذلك. وهو على نوعين: تلوثا ماديا، وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة نفسها، فيقال لوث الماء بالطين، أي كدره. وتلوثا معنويا، يعني فساد الشيء، أو تغيير خواصه وهو يقترب من أفساد مكونات البيئة حيث تتحول من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة [1].

واصطلاحا فقد تعددت تعاريفه وتنوعت، ومنها على سبيل المثال لا الحصر. تعريف البنك الدولي للتلوث: بأنه "كل ما يؤدي إلى إضافة مادة غريبة إلى الهواء أو الماء أو الغلاف الأرضي، في شكل كمي تؤدي إلى التأثير على نوعية الموارد، وعدم ملاءمتها وفقدانها خواصها أو تؤثر على استقرار استخدام تلك

الموارد [2]. ويعرفه خبراء الاتحاد الأوروبي بأنه: "إدخال الإنسان مباشرة، أو بطرق غير مباشرة لمواد أو لطاقة في البيئة.

والذي يستتبع نتائج ضارة على نحو يعرض الصحة الإنسانية للخطر، ويضر بالموارد الحيوية وبالنظم البيئية، وينال من قيم التمتع بالبيئة، أو يعوق الاستخدامات الأخرى المشروعة للوسط" [3].

ويعرفه قاموس المصطلحات البيئية بأنه:" كل تغير مباشر أو غير مباشر فيزيائي أو حراري أو بيولوجي أو أي نشاط إشعاعي لخصائص كل جزء من أجزاء البيئة بطريقة ينتج عنها مخاطر فعالة تؤثر على الصحة والأمن والرفاهية لكل الكائنات الحية الأخرى" [4]. ويعرف في الاصطلاح العلمي بأنه: "عبارة عن الحالة القائمة في البيئة الناتجة عن التغيرات المستحدثة فيها، والتي تسبب للإنسان الإزعاج أو الأضرار أو الأمراض أو الوفاة بطريقة مباشرة أو عن طريق الإخلال بالأنظمة البيئية" [5].

وبعد عرض هذه التعاريف المتعلقة بالتلوث. يتضح اقتصارها على الشق المادي الطبيعي، وتغييب كلي للشق المعنوي والاجتماعي منها. وعليه يمكن تعريف التلوث البيئي إجرائيا على أنه:
كل التغيرات المباشرة أو غير المباشرة الحاصلة في المكونات البيئية الطبيعية والاجتماعية نتيجة للتطور التقني والتغير القيمي. وتؤدي إلى تدهور الموارد البيئية، بما يتسبب في عجز البيئة عن أداء وظيفتها، وتلحق أضرارا اجتماعية واقتصادية وصحية بالإنسان والمجتمع وكافة الكائنات الحية.

2.مستويات التلوث: ينقسم التلوث إلى ثلاث مستويات وهي:

أ. التلوث المعقول: وهو درجة محدودة من درجات التلوث لا تصاحبه أية مشاكل بيئية رئيسية أو أخطار واضحة على البيئة والإنسان [6].

ويعرف بالتلوث المقبول، لأنه يسمح بأن تتعايش معه البشرية دون أن يمسها سوء ولا تتعرض إلى أي ضرر أو خطر ولا يخل بالتوازن البيئي وفي الحركة

التوافقية بين عناصره [7]. بمعنى لا تصاحبه على الأغلب أي أخطار واضحة تمس مظاهر الحياة على سطح الأرض، وتتمكن المناعة البيئية من استيعابه واحتوائه ومجابهته. وبالمختصر، يعد درجة معقولة لا تتعدى كونها ظاهرة بيئية وليست مشكلة، بل يعد ضروريا أو مطلوبا للحافظ على التوازن البيئي [8].

وبهذا سيطرت حالة الوئام والوفاق بين البيئة و الانسان، ولم تسجل حالات القلق والفوبيا التي عادة ماترتسم في المخيال الاجتماعي. مما يساعد على الاستقرار الاجتماعي.

ب.التلوث الخطير: وهو المستوى الذي تظهر له آثارا سلبية تؤثر على الإنسان وعلى بيئته؛ وهو على عكس السابق لا يسمح للإنسان بأن يتعايش معه ولا يجوز تجاهله لأنه يمثل خطرا حقيقيا على الحياه [9].

وبهذا يتحول من ظاهرة إلى مشكلة بيئية. وينتج جراء تفاقم التلوث المعقول في أحيان كثيرة.

3. التلوث المدمر:

هو التلوث الذي يحدث فيه انهيار للبيئة وللإنسان معا ويقضي على كافة أشكال التوازن البيئي، وينهار معه النظام الأيكولوجي ويصاب بالعجز الوظيفي، وهو متصلا بالتطور التكنولوجي الذي يظن الإنسان أنه يبدع فيه يوما بعد يوم من النشاطات الإشعاعية والنووية ويحتاج الإصلاح مع هذا النمط من التلوث إلى سنوات طويلة، ونفقات باهضة التكاليف، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما تتأثر أجيال من البشر على المدى الطويل منه [10]. ولهذا يعد أخطر مستويات التلوث، إذ يصل إلى الحد القاتل أو المدمر للأحياء.

4.أنواع التلوث البيئي: يمكن تصنيف لتلوث إلى الأنواع التالية:

أ- التلوث المادي: وهو ما ينتج عن إقحام مواد ملوثة سواء كانت صلبة أو غازية أو بشكل طاقة كالحرارة بالبيئات الحيوية مما يترتب عليه حدوث خلل في التوازن

الديناميكي بين عناصر البيئة أو عجز في وظائفها جراء التغير غير المرغوب فيه في خواصها الطبيعية والكيميائية والبيولوجية، وتظهر نتائجه بمرور الوقت [11]. ومن أهم أمثلته:

- **تلوث الهواء**، الذي يعرف بأنه: "خلل في النظام البيئي الهوائي نتيجة لإطلاق كميات كبيرة من العناصر الغازية والصلبة مما يؤدي إلى حدوث تغير كبير في خصائص عناصر الهواء وحجمه" [12].

وينتج عادة من احتراق الوقود لإنتاج الطاقة اللازمة سواء للتسخين أو لتشغيل المركبات، إضافة إلى الغازات الضارة الناتجة عن المصانع المختلفة كالمصانع الكيميائية والحديد والصلب والاسمنت...، وكذا التلوث الناتج عن القوى الكهربائية [13].زيادة على ما تطلقه البراكين مثلا من كميات هائلة من الرماد والدخان، وكذا التجارب النووية التي تلعب دورا كبيرا في إطلاق كميات من الشوائب المشعة في الهواء والعواصف على نقل هذه الملوثات من مكان لآخر [14]. وعليه يمكن القول أن التلوث الهوائي متعدد المصادر.

- **تلوث الماء**، الذي يعرف بأنه: "تغير في المكونات الأساسية للماء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بسبب نشاط الإنسان بحيث يصبح أقل صلاحية للاستعمالات الطبيعية المخصصة للشرب أو الزراعة أو الاستخدامات الأخرى [15]. ويحدث التلوث المائي جراء رمي مواد التنظيف من صابون ومنظفات صناعية في مجاري المياه، أو رمي المخلفات الصناعية، أو المبيدات الزراعية وهي ترش على الأعشاب فتتسبب في تلوث المياه. وتسرب النفط إلى مياه البحار، أو جراء التفاعلات النووية، أو البحث عن الموارد الطاقوية، إذ يتسبب ذلك في التلوث الحراري والتلوث الإشعاعي للماء وغيرها [16].

- **تلوث التربة**: ويقصد بتلوث التربة إدخال مواد غريبة فيها تسبب تغيرا في خواصها الفيزيائية أو الكيميائية أو البيولوجية لها، من شأنها القضاء

على الكائنات الحية التي تستوطن فيها وتسهم في عملية تحلل المواد العضوية التي تمنح التربة قيمتها وصحتها وقدرتها على الإنتاج. والتربة في الوقت الحاضر تعرضت لتدهور سريع بمكوناتها العضوية وغير العضوية، بسبب الملوثات الكيميائية الناتجة عن الإسراف في استخدام المخصبات والمبيدات إلى جانب التلوث بالنفايات والمواد المشعة، والأمطار الحمضية والإجهاد الزراعي، والتوسع العمراني والتجريف، مما أفقدها خصوبتها وازدادت نسبة جفافها وتصحرها [17].

وينجم هذا التلوث عن سوء استخدام الأراضي الزراعية، وزيادة استخدام الأسمدة لتعويض التربة عن فقدان خصوبتها، أدى إلى تلوث التربة بالمواد الكيماوية، وتدهور مقدرتها البيولوجية. كما أن زيادة النشاط الصناعي والتعديني أدى إلى زيادة الملوثات والنفايات الصلبة، سواء كانت كيميائية أو مشعة. وتقوم بعض الحكومات بإلقاء هذه النفايات على الأرض، أو دفنها في باطن الأرض. بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، مثل البراكين والزلازل والأمطار وغيرها. فالبراكين من خلال ما تقذفه من حمم وغيرها، إذ يؤدي ذلك إلى دفن الأراضي وتغطيتها بالصخور، وتأثرها بأكوام هائلة من الأبخرة والغازات السامة التي تسقط على الأرض أو تجرفها المياه إلى التربة، مما يغير من تركيبتها بشكل يؤثر على مردودها [18].

وبشكل عام يتضح أن مصادر التلوث البيئي تتباين بين ماهو بشري، وهو العامل الرئيس. وما هو طبيعي، يزيد من عمق هذه المشكلة. وعليه يمكن القول أنها مشكلة طبيعة بخلفية اجتماعية.

- **التلوث المعنوي:** التلوث المعنوي يقصد به التلوث غير المحسوس؛ أي ما ينتج من تأثير عناصر غير مادية على البيئات الحيوية [19].

ويندرج ضمنه:

- **التلوث الاجتماعي**: الذي يعرف بأنه:" تغير كمي أو كيفي في مكونات البيئة الاجتماعية، التي لن تستطيع استيعابه وتحمله، ويؤدي إلى حدوث خلل فيها وعدم اتزانها وحدوث آثار سلبية ضارة بها وتستدعي مواجهتها من قبل جميع النظم الاجتماعية بالمجتمع" (20).

وقد أشارت إحدى الدراسات لـ "سيد عاشور أحمد" إلى أن التلوث الخلقي يعد من أهم أنواعه وأخطرها، ذلك لأن الأخلاق تعد الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، وافتقاد الإنسان للسلوك الأخلاقي، ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته ويتسبب في إحداث التلوث البيئي. ولأن البيئة النظيفة، تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الخلقية ما يجعله يغار على تلك البيئة، ويسعى جاهدا للمحافظة عليها، باذلا جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها (21).

وينتج في العادة من القدوة السيئة، ووسائل الإعلام السلبية وما قد تنشره من أخبار أو صور أو تمثيلات أو أفلام، كما يتسبب فيه عدم وجود وعي أخلاقي في البيوت والمدارس وعدم اهتمام بالأمور الأخلاقية وإبرازها والترغيب في التخلق بالأخلاق الحميدة (22).

ويمكن إرجاع ذلك إلى نتائج للتغيرات القيمية واهتزازها وانحلالها الناجمة عن التفاعل مع ضغوطات ومستجدات العصر وتحولاته السريعة.

- **التلوث الضوضائي**: ويقصد به: أصوات غير موسيقية لا ينبسط الإنسان لسماعها بل ينزعج، فهي إذا أصوات خشنة غير منتظمة، ولا تؤدي في مجملها إلى معنى واضح (23).

ويعرف أيضا بأنه: " كل إحساس كريه ومزعج وكل ظاهرة سمعية مولدة لهذا الإحساس، وهي كل صوت يغلب عليه طابع الصدفة وليست له مكونات معروفة" وهذا حسب شوشول Chocholle. في حين يعرفها المعهد الأمريكي للمعايير بأنها:" كل صوت غير مرغوب فيه (24).

ويعرفها الدكتور بوظريفة بأنها:" أي صوت – بغض النظر عن شدته–قد يؤدي إلى آثار سيكولوجية أو فيزيولوجية غير مرغوب فيها لدى الفرد والتي قد تتداخل مع نشاطات الفرد أو الجماعة سواء تمثل ذلك في الاتصال، أو العمل، أو الراحة، أو الاسترخاء، أو النوم" (25).

ويحدث نتيجة لعدة مصادر، منها ماهو طبيعي المرتبط بالظواهر الطبيعية كالزلازل، والبراكين ...إلخ، ومنها ما له صيلة بالسلوك البشري، مثل الضوضاء الناجمة عن وسائل النقل من طائرات وسيارات وحافلات وحتى الدرجات النارية خاصة... إلخ (26).

- **التلوث الإشعاعي**. ويتمظهر في التلوث الكهرومغناطيسي، والذي يقصد به كل أشكال الأذى والإزعاج والضرر الذي تحدثه الموجات الكهرومغناطيسية للإنسان والحيوان (27).

وهو على صيلة وثيقة بما يعرف التلوث الإشعاعي النووي. الذي يعرف على أنه: " تزايد الإشعاع الطبيعي عقب استعمال الإنسان لمواد المشعة الطبيعية أو الصناعية ولقد صحب اكتشاف الطاقة الذرية انتشار مواد مشعة ومختلفة في الجو بصورة كبيرة أصبح يشكل خطرا كبيرا على الصحة العامة" (28).

وينتج عن الأشعة الكونية مثل ألفا التي تصل من الشمس، وكذلك المواد المشعة الموجودة بالقشرة الأرضية مثل اليورانيوم والبوتاسيوم وبعض الغازات كالكربون والرادون. بالإضافة إلى الإشعاع الطبيعي داخل جسم الإنسان، إذ تشير الدراسات العلمية إلى أن الإنسان في تركيبته الفيزيائية يحتوي على نظائر مشعة من بينها البوتاسيوم المشع الذي تصدر عنه أشعة بيتا وجاما، والكربون المشع. وهي مصادر طبيعية.

ومصادر بشرية من صنع الإنسان، منها المصادر الإشعاعية المستخدمة للأغراض الطبية، فالعاملين في بالمصحات التي تستخدم المواد المشعة في تشخيص الأمراض وعلاجها من أطباء ومساعديهم وغيرهم وكذلك المرضى يتعرضون إلى

خطر هاته الأشعة وخاصة للمريض إذا ما تجاوز الجرعات اللازمة للعلاج أو للكشف عن المرض. ومن بينها أيضا تشغيل المحطات النووية: لأن خطورتها تتأتى جراء الحوادث التي تتعرض لها هذه المفاعلات مثلا.. والتفجيرات النووية التي عادة ما تخلف عناصر مشعة تلوث الجو وتسقط على سطح التربة في شكل غبار ذري، أو تتسرب إلى المياه فتلوثه، إلى درجة أنها تصنف أنها أخطر من بقية المصادر الأخرى للتلوث [29].

- **التلوث البصري**: وهو ما يمكن وصفه بأنه نوعا من أنواع انعدام التذوق الفني، أو اختفاء الصورة الجمالية لكل شيء يحيط بنا من أبنية... إلى طرقات... أو أرصفة... وغيرها [30].

وهو منتوج بشري يؤذي الناظر، ويأتي عادة نتيجة للإهمال أو سوء الاستعمال أو سوء التخطيط والتصميم، أو نتيجة للسلوكيات الاجتماعية والاقتصادية السيئة.

وبشكل عام يتضح أن التلوث البيئي في كليته يشكل ظاهرة طبيعية الشكل وفي باطنها اجتماعية المصدر وهو ما سيتم توضيحه من خلال التعمق في عواملها.

5.عوامل التلوث البيئي: تتمثل في

أ. **عوامل اجتماعية**: وترتبط أساسا بالسلوك الإنساني وممارساته، فعند إشباع الإنسان لرغباته وتلبية لحاجاته وبإيعاز من غرائزه، ينحصر تفكيره في ذاته وفقط، وينسى حقوق غيره وواجباته نحوهم. فهي عبارة عن انحراف عن معايير السلامة البيئية التي يتطلبها وضع المجتمع [31].

وهي تبرز كيف يتسبب الإنسان في التلوث البيئي. وهو يعبر عن خلفية أخلاقية وقيمية اكتسبها الإنسان من بيئته الاجتماعية. من هنا يتم تحميل الإنسان مسؤولية هذا النوع من التدهور البيئي، ويرجع ذلك إلى الخلل الذي أصاب عملية التنشئة الاجتماعية، من غياب للوعي البيئي، وعدم وجود القدوة السوية، والسلوكيات المستحدثة. التي أفرزتها سياسة الانفتاح الاقتصادي، منها سلوك

التباهي، مثل النمط الاستهلاكي المبالغ، مثل استخدام أبواق السيارات بشكل صاخب [32].

ب.عوامل تكنولوجية واقتصادية : من المعلوم أن هذا العصر يعرف نوعا من التقدم التكنولوجي، جاء كنتيجة لمتطلبات الثورة الصناعية التي ترتب عنها تزايدا سكانيا كبيرا ونموا حضريا، فرض زيادة الإنتاج لتلبية الاحتياجات، وهو ما تولد عنه استنزاف للثروات البيئية. كما أن هذا التقدم التكنولوجي ساهم في احتدام حدة التنافس الاقتصادي بين رجال المال والأعمال. وهو ما جعلهم يغضون الطرف عن الآثار السلبية الناتجة عنه والتي تضر بالبيئة، لكون ذلك لا يمسهم لوحدهم، بل يكون تأثيره على الطبقات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة أشد، في حين سيكون العائد المادي في صالحهم لوحدهم ويزيد من درجة سيطرتهم. ويدعم من إمكانية استمرارهم والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية لمدة أطول. وهو ما جعل الاقتصاديون على اختلاف مذاهبهم الاقتصادية يعترفون بأن النظام الإنتاجي في أشكاله المعاصرة، يتسبب في آثار غير مرغوب فيها بالنسبة للبيئة كتلويث الهواء والماء وإلقاء المخلفات [33].

ب.عوامل طبيعية: وهي التي تنتج عن مكونات البيئة ذاتها دون تدخل الإنسان، وتتمثل أساسا في:

- ✓ البراكين وما يتصاعد منها من غازات ومواد ملتهبة تِثر تأثيرا بالغا على البقية
- ✓ حبوب اللقاح وبعض الفطريات الموجودة في الهواء، يمكن أن تكون من أسباب التلوث خاصة إذا تم حملها بواسطة هبوب الرياح المحملة أصلا بالأتربة.
- ✓ الأمطار، يمكن أت تساهم في التلوث في العديد من المناطق، إذ تعمل على اسقاط معها ملوثات معلقة في طبقات الهواء، وهو ما يعرف بالأمطار الحامضية، وتؤدي إلى تلوث مياه الأنهار والبحيرات، وإتلاف الغطاء النباتي [34].

ومما سبق يمكن القول أن مشكلة التلوث البيئي، مشكلة طبيعية في ظاهرها. تنجم عن عوامل بشرية ترتبط بالسلوكيات والممارسات. مؤطرة بقيم أخلاقية، ودوافع اقتصادية. مستغلة التقدم التقني والتكنولوجي، لتلبية حاجات إنسانية متزايدة بشكل مضطرد، ومتنامية مع التصور الاجتماعي للرفاهية الاجتماعية.

6.أثار التلوث البيئي: تتمثل في:

أ. آثار صحية: تعد الصحة هي المنبه الحقيقي للإنسان لإدراك حقيقة خطورة التلوث البيئي، فالتلوث البيئي تتجسد خطورته في العديد من الأمراض التي ترتبط به إلى درجة بات يوصف بأنه – التلوث – الوريث الذي حل محل المجاعات والأوبئة. إذ تشير الدراسات إلى أنه في الوقت الحاضر لا يوجد كائن حي سواء كان حيوانا أو نباتا، إلا واحتوى جسمه على بعض الملوثات. ثبوت ما أكدته الكثير من الأبحاث العلمية من تلوث المواد الغذائية بالعناصر الثقيلة وبقايا المبيدات نتيجة الإسراف الجائر في استخدامها خاصة في الزراعة. أي أن نحو90٪ من الحالات المرضية بالمستشفيات، سببها تلوث البيئة، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر مما تنفثه المصانع من ملوثات هوائية وصرف صناعي سائل أو صلب أو عوادم السيارات أو الدخان أو تلوث الماء وغيرها من الملوثات المعروفة التي أصبحت تهاجمنا في كل مكان [35].

ب.آثار اجتماعية: ويتجسد ذلك التأثير في طبيعة العلاقات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات. أو ما يعرف بالتغير الاجتماعي تحت تأثير مشكلة التلوث البيئي، وإن كانت في الأصل على علاقة وطيدة بنتائج الآثار الصحية للتلوث البيئي. فلا شك أنه نتيجة لانتشار الأمراض ستبرز بعض الآثار الاجتماعية منها تصدع الأسرة وفي هذا السياق توصلت دراسة ميدانية للآثار الاجتماعية للتلوث البيئي في المجتمع العراقي إلى مايلي:

- ✓ تفاقم ظاهرة التفكك الأسري ما ترتب عنها من مشاكل اجتماعية، بسبب وفاة أو مرض أحد أفراد الأسرة.

- ✓ ضعف المستوى المعيشي لأغلب أسر المجتمع العراقي، وبالتالي بروز مشكلة عمالة الأطفال وما يترتب عنها من سلبيات.

اضطرار النظام الاجتماعي إلى التكيف السلبي من خلال إشباع حاجات الأفراد على حساب البيئة وجمالها ونقائها [36].

- ✓ يؤدي ارتفاع شدة الصوت عن المعدل الطبيعي في البيئة إلى نقص النشاط الحيوي، والإثارة، والقلق وعدم الارتياح الداخلي، والتوتر والارتباك، وعدم الانسجام والتوافق الصحي، وقلة التفكير عند الأشخاص الذين يتعرضون لذلك.

يتمثل التلوث البصري في عناصر البيئة المحيطة بمدننا المعاصرة، حيث أصبح يشكل خطرا شديدا وقد يصبح وبائيا إذا لم نعمل على إيقافه بأسرع ما يمكن، فإن انعدام مظاهر الجمال في مدننا سوف يؤدي تدريجيا إلى فساد الذوق واعتياد القبح، وهذا أخطر أعراض هذا النوع من التلوث وهو ما يمكن أن يقضي على الآدمية يوما ما [37].

وبعض الظواهر المترسبة من هذه الآثار منها ظاهرة الهجرة السكانية من مناطق على أخرى ما يترتب عن ذلك من مشاكل جانبية كمشكلة الاكتظاظ السكاني، والازدحام المروري. وانتشار البطالة وما يترتب عنها من ظواهر خطير كانتشار آفة المخدرات وتزايد حالات التسول أو حتى الظواهر اللاخلاقية المتعددة كالدعارة، بل يمكن أن يؤدي إلى حالات الطلاق أو حتى الانتحار. إذ هذه الهجرات تؤدي إلى تشكيل أحياء عشوائية وفوضوية لا يمكن تلبية احتياجاتهم ولا تستطيع البيئة إستعابهم، والمتمعن في هذا يدرك خطورة التلوث على البناء الاجتماعي وتماسكه.

ج.الآثار الاقتصادية للتلوث البيئي: تعتبر البيئة مورد طبيعي يزود المجتمع بعدد من الخدمات الأساسية التي تدعم الحياة البشرية، فتمده بالمواد الخامة والطاقة اللازمة لتحويلها إلى سلع. ثم تستقبل هذه المواد والطاقة في شكل مخلفات ناجمة عن عملية الإنتاج والاستهلاك، ويشترط لاستمرار البيئة هذه الخدمات الأساسية ألا يزداد

حجم المخلفات الإنتاجية والاستهلاكية عن القدرة الاستيعابية للبيئة. وآثاره الاقتصادية تتجسد في تلك التكاليف الباهظة التي تتكبدها الدول في سبيل منع حدوث التلوث وتنظيف البيئة، وقد وجد أن تكلفة السيطرة على انبعاث غاز الكربون سنة1990تمثل 2% من الدخل القومي للدولة المتقدمة [38].

وفي هذا السياق فقد كشف السيد شريف رحماني وزير تهيئة الاقليم والبيئة والسياحة السابق أن الجزائر تتكبد سنويا ما قيمته 5 ملايير دولار بسبب مخلفات مشكلة التلوث البيئي [39].

وبهذا يتبين حدة هذا الأثر ويمكن أن يشبه بذلك السوس الذي ينخر السن.

خاتمة:

من هنا تبرز خطورة مشكلة التلوث البيئي، ويتبين كيف أن هذه الظاهرة آخذة في الانتشار والاتساع. لأن الفرد بما يلفظه من فضلات تتسبب في التلوث جراء سلوكياته، وهو لا يلقي لها بالا لأنه لا ينظر لمشكلة التلوث من خلال أسبابها بل ينظر لها من خلال مخلفاتها. وهي ذات أثار متعددة الأبعاد. يمكن إيجازها فيمايلي:

- زيادة حالات التفكك الأسري بسبب الوفاة التي يمكن أن يتعرض إليها الفرد نتيجة للأمراض الناجمة عنه.وما يترتب عن ذلك من إضعاف للروح الاجتماعية.
- ضعف مردودية المجتمع بسبب انتشار الأمراض بين أوساط أفراد المجتمع.
- يساعد على انتشار ظاهر التسرب المدرسي وعمالة الاطفال.
- يؤدي إلى انتشار ظواهر نفسية كثيرة كالقلق والاكتئاب وما يترتب عنها من مظاهر سلبية تِؤدي إلى نشوء ظواهر أخرى ذات انعكاسات أكثر سلبية مثل الانحرافات السلوكية أو حتى الانتحار والإدمان على

المخدرات و غيرها.

وهي المخاطر التي تعد من أهم المواضيع التي يبحث في علاجها علم الاجتماع، وهذا قصد تحقيق التنمية الاجتماعية. فمشكلة التلوث مشكلة طبيعية بخلفية اجتماعية.

❖ **هوامش البحث:**

(1) صباح العشاوي: **المسؤولية الدولية عن حماية البيئة**، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2010، ص28.

(2) سوزان أحمد أبورية: **الانسان والبيئة والمجتمع**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص 158.

(3) عبد القادر الشيخلي: **حماية البيئة في ضوء الشريعة والقانون والإدارة والتربية والإعلام**، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت –لبنان، 2009، ص 48.

(4) محمد حسين عبد القوي: **التلوث البيئي**، مركز الاعلام الأمني، الأردن، د ت، ص 04.

(5) محمد السيد أرناؤوط، **الانسان وتلوث البيئة، حاضره ومستقبله**، الدار المصرية اللبنانية، 1993. ص 30.

(6) صباح العشاوي، مرجع سبق ذكره، ص 50.

(7) منور أوسرير، ومحمد حمو، **الاقتصاد البيئي**، تقديم عبد المجيد قدي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2010، ص22.

(8) محمد منير حجاب: **التلوث وحماية البيئة، قضايا البيئة من منظور إسلامي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص86.

(9) منور أوسرير، ومحمد حمو، مرجع سبق ذكره، ص22.

(10) المرجع السابق ، ص22.

(11) عارف صالح مخلف: الإدارة البيئية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان،2007، ص54.

(12) منور أوسرير، ومحمد حمو، مرجع سبق ذكره، ص23.

(13) محمد الجوهري: **علم الاجتماع الريفي الحضري**، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة.د ت، ص 258.

(14) صباح العشاوي: **المسؤولية الدولية عن حماية البيئة**، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2010، ص ص 53-54.

(15) على سعيدان :**حماية البيئة من التلوث بالمواد الإشعاعية والكيماوية في القانون الجزائري**، دار الخلدونية، الجزائر، 2008، ص52.

(16) عبد القادر الشيخلي: مرجع سبق ذكره، ص114.

(17) صباح العشاوي، مرجع سبق ذكره، ص 62.

(18) على زين الدين عبد السلام، ومحمد بن عبد المرضى عرفات: **تلوث المدينة ثمن للبيئة**، المكتبة الأكاديمية للنشر والتوزيع والطباعة، مصر،1992، ص 185.

(19) منور أوسرير، محمد حمو: مرجع سبق ذكره ص77.

(20) نظيمة أحمد محمود سرحان: **منهاج الخدمة الاجتماعية لحماية البيئة من التلوث**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 106.

(21) بوبكر جيملي: "**تلوث البيئة الاجتماعية**"، فعاليات الملتقى الوطني حول البيئة والمجتمع، إشراف علي غربي وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، ص48.

(22) مصطفى بدر: **تنسيق وتجميل المدن والقرى**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية،1992 ، ص 17.

(23) حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **البيئة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع البيئة**، المكتب الجامعي الحديث، مصر 2006، ص 55.

(24) بوظريفة حمو: **الضوضاء خطر على صحتك**، مخبر الوقاية والأرغونوميا، جامعة الجزائر، 2002، ص 17.

(25) المرجع السابق نفسه، ص17.

(26) راتب السعود: مرجع سبق ذكره، ص 113

(27) منور أوسرير محمد حمو، مرجع سبق ذكره، ص 77

(28) إبراهيم سليمان عيسى: **تلوث البيئة– أهم قضايا العصر-المشكلة والحل**، ط2 ، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2000، ص46.

(29) علي سعيدان: مرجع سبق ذكره، ص ص 29-37.

(30) الموسوعة الالكترونية: على الموقع **http://ar.wikipedia.org**

(31) عبد القادر رزيق المخادمي: مرجع سابق ذكره، ص 30

(32) نظيمة أحمد محمود سرحان: مرجع سبق ذكره، ص 106.

(33) عصام خوري، عبير ناعسة: **النظام الضريبي وأثره في الحدّ من التلوّث البيئي**، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، م29، ع1،2007، ص 67.

(34) رشاد أحمد عبد اللطيف: **البيئة والإنسان، منظور- اجتماعي**، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، 2007، ص184

(35) محمد صلاح رجائي، نجوى علي سعيد الهمشري: **البيئة والتحديات التكنولوجية**، كلية الهندسة، جامعة بغداد.

(36) بشير ناظر الجحيشي، 2011، 215-216.

(37) بن الشيخ محمد فاضل: ع04 ، 106.

(38) أحمد عبد الفتاح محمود عبد المجيد وإسلام إبراهيم أحمد أبو السعود،2002، 28.

(39) مريم م، جريدة النهار، الجزائر، ع221 ،28-04-2010،5.

أثر أنماط القيادة الإدارية على تنمية المهارات لدى الموارد البشرية

الأستاذة: سامية زيتوني
جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

إن تقدم وازدهارا لمؤسسات يعتمد على استحواذها على موارد بشرية ذات مهارات فكرية وقدرات تقنية من جهة و قادة إداريين متميّزين بإمكانهم استثمار هذه القدرات و توفير الدعم اللازم لها من جهة أخرى، من هنا تنبثق إشكالية بحثنا التي تهدف إلى تبيان أثر أنماط القيادة الإدارية على تنمية المهارات في المؤسسة الصناعية بولاية عنابة و اقتصرت الدراسة التطبيقية على تبيان أثر النمط القيادي الأوتوقراطي و النمط القيادي الديمقراطي على تنمية المهارات. ولبحث تلك العلاقة اعتمدنا على منهج دراسة حالة، واستخدمنا أداة الاستمارة لجمع البيانات، وتمت معالجة البيانات وتحليلها.

Abstract :

The progress and prosperity of institutions depends on the have taken of human skills and intellectual capabilities From a creative point of leaders and administrators are distinct they can invest these capabilities and provide a support Alarm her other hand. From here, our search will emerge problematic statement , which aims to trace patterns on the development of administrative leadership skills in private industry's public institution And limited empirical study on the statement following the pattern leader autocratic style leadership Democrat on skills development and to discuss the relationship we have adopted the approach of a case study , and we used the tool questionnaire to collect data and has data processing its analysis to extract the Statistical Package , frequencies , percentages , averages , and correlation coefficients.

مقدّمة:

أصبح تقدم وتفوق المؤسسات رهنا بحسن تكوينها لذخيرتها العقلية و توجيهها نحوى تحقيق أهدافها،فمواجهة المشكلات الحديثة و التحديات المستقبلية يتطلب وجود موارد بشرية ذات مهارات فكرية وقدرات تقنية و أفراد يتسمون بصفات و مهارات قيادية تؤهلهم للتأثير في هذه الموارد البشرية باستخدام سلوكيات و تبني أساليب لتنمية مهاراتهم.

وتعد المؤسسة الصناعية العمومية في الجزائر من بين المؤسسات التي تعاني بعض المشاكل و الأزمات بعدما تبنت الدولة اقتصاد السوق المنفتح على الاقتصاد العالمي، مما يستدعي إجراءات لتقوية القدرات التنافسية للقطاعات الصناعية من خلال تنمية مهارات الموارد البشرية للارتقاء بجودة منتجاتها، وتحقيق النجاعة الاقتصادية.

1 . مشكلة الدراسة:

يعتبر النمط القيادي السائد و الفلسفة التي ينتهجها القائد في تعامله مع العمال، ذات أثر كبير على المستوى النفسي و العملي لديهم.فالنضرة الإيجابية من قبل القائد نحوى عماله و إشعارهم بأهمية أدوارهم في تحقيق أهداف المؤسسة و إتاحة الفرص في التكوين وفق الاحتياجات و الاستعدادات الحقيقيّة، وبناء علاقات ودّيّة تكون محفزة و دافعة للمزيد من البذل والعطاء.

ذلك ما يوضّح، العلاقة بين النّمط القيادي السّائد في المؤسّسة، وتنمية المهارات عن طريق التّكوين.فكلّما كان النّمط القيادي أقرب إلى الديمقراطية، يشجّع نسق التّسيير بالمشاركة كلّما تحقّق الهدف المرسوم ضمن السّياسة العامة للمؤسّسة، وهو بلوغ تنمية فعّالة لمهارات الموارد البشريّة عن طريق التّكوين.

ومن هذا المنطلق يمكن بلورة إشكالية البحث الرئيسية بالتساؤل التالي: **ما علاقة الأنماط القياديّة الإداريّة بتنمية المهارات؟**

وسوف نحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال الأسئلة الفرعية التالية:

- ✓ ما المقصود بالقيادة الإدارية الرسمية وما هي أنماطها؟
- ✓ ما المقصود بالمهارة وما هي أنواعها وما هو دورها و أثرها على نجاعة المؤسسة؟
- ✓ ما علاقة أنماط القيادة الإدارية بتنمية المهارة؟
- ✓ ما هو النمط القيادي السائد في المؤسسة العمومية الجزائرية؟

2. فرضيات الدراسة:

انطلاقا من طابع الدراسة و التحليل لموضوع البحث يمكن بناء البحث على الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: "أي تغيير يحدث للمؤسسة يقابله تغيير في السياسة العامة للتكوين- تنمية مهارات الموارد البشرية-".

معنى ذلك أنَ المؤسسة، عندما تقوم بوضع سياسة معينة، فان جميع مصالحها مطالبة بوضع سياسة تكون في النهاية مكمّلة و غير متعارضة مع السياسة العامة و الأهداف المستقبليَة للمؤسسة والعمال-الموارد البشرية- باعتبارهم حجر الأساس لنهوض المؤسسة و جعلها أكثر مرونة، للتَكيف مع الأوضاع الجديدة ولنبيّن مدى صدق هذه الفرضية، اعتمدنا على بعض **المؤشّرات** المتمثّلة في:

أ- تغيير البنية التسييرية.

ب- دور مصلحة التكوين في تنمية مهارات الموارد البشرية.

جـ- إدخال آلات جديدة، مما يتطلب كفاءات تسييريّة كفئة .

الفرضية الثانية: "إنَ المشاركة العمالَية في تخطيط برامج التكوين وفقا لحاجة المؤسّسة وحاجة الفرد، يمكّن الموارد البشرية -العمَال- من فهم وإدراك حقيقة التحوُّلات التي تعرفها المؤسَسة".

معنى هذا، أنَ المشاركة العمَاليَة في إعداد مخطط التكوين، عامل مهم في إدراك المورد البشري التحوّلات التي تعرفها المؤسسة، و أنَ نجاعة المؤسسة الاقتصادية، تتطلب بالأساس اتخاذ سياسة ضمن لجنة المشاركة، فيما يخص مشاركة العمال في تخطيط البرنامج التكويني. فلابد من تغيير الأفكار ورفـــع الكفاءات، وهذه الأخيرة لن تكون إلا بالتَكوين الجيّد حسب الحاجات. و اعتمدنا على **المؤشّرات** التالية:

أ-عدم فهم العامل للوضع الراهن، أو عدم تمييزه بين نجاعة المؤسسة من جهة والخطوات الواجب اتخاذها من جهة أخرى.

ب- الاستعداد القوي للعامل -الرغبة الشديدة- في المشاركة في إعداد مخطط التكوين لتعزيز مكانته و انتمائه الاجتماعي داخل المؤسسة.

جـ- سيطرة الذهنيّة البيروقراطية على بعض المسيرين "الرافضون للمشاركة العمالية في التسيير".

3 . أهداف الدراسة:

لاشك أن أي بحث علمي يسعى لتحقيق أهداف معينة سواء في الجانب النظري أو التطبيقي وفيما يخص هذه الدراسة تهدف لتحقيق مجموعة من الأهداف لعل أهمها:

التعرف على عناصر و خصائص القيادة الإدارية الفعالة باعتبارها مطلب ضروري لتطوير المدير إلى مدير قائد.

التعرف على النمط القيادي الذي يجب أن يتبناه القائد لتنمية المهارة في المؤسسة.

- إبراز النمط القيادي السائد في المؤسسة العمومية وأثره على تنمية المهارة فيها.

4 . أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها العلمية من خلال إتباعنا المنهج العلمي الذي يثري المعرفة العلمية في مجال الأنماط القيادية و تأثيرها على المهارة، ومن تمّ إنتاجيتهم لتحقيق أهداف المؤسسة، والمتمثلة في النجاعة الاقتصادية.

كما نأمل أن تؤدي هذه الدراسة إلى إضافة علمية تساعد الباحث في الحقل الأكاديمي للتعرف على النمط القيادي الذي يساعد الموارد البشرية ويدفعهم نحوى تقوية استعدادهم للتكوين وتنمية مهاراتهم الفنية و التقنية.

أما بالنسبة إلى الأهمية العملية فتنبثق من أهمية الدور القيادي ، وتأثيره على أداء المؤسسات واستمرارها، حيث أنها تحتاج في ضل التحديات و التغيرات المتلاحقة إلى قادة عمليون يشجعون التكوين بقصد رفع مستوى المهارة في المؤسسة وبقصد مواكبة التغيرات و التي تستلزم نمط معين من القيادة لتحقيق ذلك.

وهدفنا هو الكشف عنه من خلال الدراسة الميدانية.

الإطار النظري للدراسة:

يتناول هذا الجزء من الدراسة المصطلحات الأساسية، تعريفا وشرحا موجزا وهي:

القيادة الإدارية وأنماطها، المهارة وتنميتها، أثر أنماط القيادة الإدارية على تنمية المهارة.

أولا:القيادة الإدارية وأنماطها:

1. **تعريف القيادة الإدارية:** إن العناصر القيادية الإدارية في المصنع تحتل أوضاعها الوظيفية بطريقة تدل على وجود تدرج هرمي، نجد على قمته رئيس مجلس إدارة، وفي قاعدته العمال، وبين القمة والقاعدة المستوى القيادي الأول والثاني. وإن لكل وضع وظيفي منها نطاق اختصاص محدد، يلتزم شاغله بأداء واجبات عمل محدد و مسؤوليات يناط بها، تعينها اللوائح وقوانين العمل بالمصنع، وفي مقابل هذه المسؤوليات، يتمتع كل مستوى قيادي بقدر من السلطة.

وفي ظل هذا التدرج الهرمي يخضع كل منصب أو وضع أقل لإشراف وضبط المنصب الأعلى منه ولوحظ أن سلوك الذين يشغلون هذه المناصب محكوم بقواعد ومعايير فنية، وهم على دراية أكثر بجوانب واجبات هذه المناصب مدربون على أدائه، فالقيادة الإدارية هي توجيه سلوك الأفراد وتنسيقها بغية الوصول بالجماعة إلى تحقيق أهداف المؤسسة بكفاءة عالية.[1]

2. سمات القيادة الإدارية:

يمكن تصنيف أهم السمات القيادية في سمات ذاتية، سمات سلوكية، سمات ذهنية.

1.2 السمات الذاتية: تتمثل في المهارات الذاتية القدرات اللازمة لبناء شخصية الأفراد ليصبحوا قادة[2].

ومن أهم هذه السمات: إدارة الذات، القدرة على المبادرة، سمة الإبداع.

2.2 السمات السلوكية: تعني قدرة القائد على التفاعل و التواصل مع الأفراد و الجماعات بنجاح وقدرته على التأثير في سلوكهم باتجاه تحقيق أهداف المؤسسة [3].

ومن أهمها: المشاركة في صنع القرارات، تفويض السلطة، تمثيل القدوة الحسنة، تمكين المرؤوسين القدرة على الاتصال، مهارة بناء العلاقات الإنسانية.

3.2 السمات الذهنية: إن من أهم السمات الذهنية الواجب توافرها في القائد هي:القدرات العقلية، كالذكاء، المرونة، العقلية، المهارة التحليلية، المهارات الإدارية والسياسية ومهارة تعليم المرؤوسين.

3. أنماط القيادة الإدارية:

1.3 القيادة الديمقراطية: تعتمد القيادة الديمقراطية على وسائل التحفيز الايجابية حيث يقوم القائد بإعداد الأهداف والبيانات بعد مشاركة الجماعة وإصدار الأوامر بناءا عليها، ومشاركة العمال في الجماعة كعضو فيها، وتوضيح خطط العمل المستقبلية لأعضاء الجماعة، وإشراك المرؤوسين في اتخاذ القرارات، والوضوح في

تحديد الثواب والعقاب والاعتماد على الحوافز الايجابية في تحريكهم نحو الهدف، وتشجيعهم على المبادرة والابتكار وتنمية قدراتهم الإدارية مع التركيز على الجوانب الإنسانية وإتباع حاجات الجماعة، فمهمة القائد تنظيمية وتنسيقية أكثر منها توجيهية ووقائية.

2.3 القيادة الأوتوقراطية: وهي تمثل القيادة الدكتاتورية، وفيها تصدر التعليمات والأوامر من الرؤساء إلى المرؤوسين دون أي محاولة توضع في الاعتبار لأخذ أو معرفة آرائهم، وأفكارهم في شيء.

وتعتمد هذه القيادة على الحوافز السلبية مثل: التهديد والعقاب، وتحريك المرؤوسين، حيث يصدر القائد أوامره، وينتظر من المرؤوسين طاعتها، دون مناقشة وتحديد البيانات والأهداف، دون استشارة معاونيه، وطلبهم للعمل طبقا لرؤيته، ولا يقدم لهم أي معلومات عن الخطط المستقبلية والانعزال عنهم معظم الوقت، وعدم الاهتمام بالجوانب الإنسانية والتركيز باهتمام على الإنتاج والتمسك بحرفية القوانين، واللوائح وأنظمة العمل، ويتم الثواب والعقاب للمرؤوسين طبقا لمبادئه.

3.3 القيادة الفوضوية: وهو النمط الذي يعتمد فيه القائد بشكل كبير على الجماعة التي تقوم بنفسها بتحديد الأهداف والتعامل مع المشكلات ووضع تدريب لأعضائها وتوفير النظام الذي يثيرحماستهم للعمل، وبذلك يتجاهل نمط القيادة الفوضويّة دورا لقائد. ويؤدّي بوحدات العمل المختلفة بالعمل في اتجاهات متعارضة أحيانا، ممّا قد يؤدّي إلى الفوضى الشاملة في المؤسسة[4].

ثانيا:تنمية المهارة في المؤسسة:

تمثل المهارة أحد المطالب الرئيسية لتقدم وتفوق المؤسسات ومصدر لتحقيق نجاعتها الاقتصادية، فماذا تعني المهارة؟

1. تعريف المهارة: المهارة في المؤسسة تعني تحكم مواردها البشرية في تبني واستخدام الأفكار و التحكم في التقنية لغرض تقديم خدمة تحقق أهدافها في النمو والتكيف وتجعلها أكثر قدرة على المنافسة.

2. تصنيفات المهارة: إن من أهم تصنيفات المهارة تلك المتعلقة بمجاله و الغرض منه، حيث يصنف إلى مهارة فنية ومهارة تقنية.

1.2 المهارة الفنية: وهو التحكم في استخدام المفاهيم الجديدة القابلة للتحويل إلى سياسات وتنظيمات جديدة تساهم في تطوير أداء المؤسسة، بل أن بعض المفاهيم تتعلق بتطوير عملية المهارة وتنضيمها وإجراءات نقل أفكار جديدة، والهدف النهائي لهذه المهارة ،يتمثل في تحسين استخدام الموارد وتحقيق النتائج الأفضل مقارنة بالفترة الماضية[5].

2.2 المهارة التقنية: وتعني التحكم في التكنولوجيا المستخدمة في مجال عمله والتحكم في الأساليب الفنية الجديدة و الإحاطة بكل تغيرات تكنولوجية ،وتكتمل المهارة التقنية عندما يتم اختبارها في الميدان.

ونتوصل إلى هذه المهارة عن طريق دورات تكوينية داخل المؤسسة أو خارجها، من خلال تداخل كل أشكال النشاطات العلمية والتكنولوجية والتنظيمية والمالية.

3.2 مهارة التواصل: ويشار إليها أيضا ، بالمهارات البشريّة، أو بمهارات التّواصل وهي المهارات التي يستخدمها أيّ شخص ويوظّفها مع الآخرين، وتشمل هذه المهارات: مهارة الإقناع، مهارة الاستماع الفعّال، مهارة التّفويض والقيادة والقدرة على حلّ المشكلات والتفكير الفعّال.

ويستخدم مصطلح المهارات الشّخصيّة، غالبا في سياق النّصوص الاقتصادية والتي تعنى بإدارة الأعمال. وتشير إلى مقياس قدرة الشّخص وأدائه، من منظور تواصله الاجتماعي وتفاعله مع الآخرين في ضلّ المؤسّسة التي يعمل بها[6].

3. دور المهارة في تعزيز نجاعة المؤسسة اقتصاديا:

إن نمو المؤسسة وتحقيقها للنجاعة مرتبط ارتباطا وثيقا بقدرتها على تنمية مهارات مواردها البشرية من خلال التكوين. فالانفجار المتزايد في عدد المؤسسات

والذي صاحبه الانفجار التنافسي على المستوى العالمي، أدى إلى تصاعد الاهتمام بتنمية مهارات المورد البشري، والتركيز عليه و أصبحت القدرة على توفير دورات تكوينية للعمال وفق استعداداتهم ووفق احتياجاتهم الحقيقية مصدرا متجددا للميزة التنافسية، وأصبح هذا الدور – تنمية المهارة- مهمّا في تدعيم الاستراتيجيات وتعزيزها في المؤسسة. فالمؤسسة التي تتحكم في المهارات الفنية والتقنية يمكنها تخفيض تكاليف الإنتاج وتحقيق أرباح إضافية ويمكنها إنشاء تشكيلة واسعة من المنتجات الجديدة ذات جودة عالية تمكنها من كسب عوائد مالية وهذا لانفرادها بميزة المنتجات الجديدة.

ثالثا: مساهمة القيادة الإدارية في تنمية المهارات الفنية والتقنية لدى الموارد البشرية:

يرتبط موضوع المهارة في المؤسسة ارتباطا دلاليا مع موضوع القيادة الإدارية ودورها في إحداث دورات تكوينية للعمال وتجاوزها للأساليب المألوفة في قيادة المؤسسات. فعدم تعامل القيادات مع القرارات الانتقالية التي تمر بها بفكر مكوّن و مؤهل، قادر على تشخيص وفحص الواقع ومتغيراته سوف يؤدي بهذه القيادات أمام أزمة مفاجئة. فالقائد الإداري هو العنصر الأساسي و الأكثر احتكاكا بمفردات العمل التنظيمي و السلوك الإنساني داخل أيّة مؤسسة ،فضلا عن كونه حلقة الوصل بين الميدان والمواقع المشروعة للقرارات والمهارات [7].

اختلفت الدراسات المتعددة في تبيان تأثير القيادة الإدارية في المهارات داخل المؤسسة، وقد ركّزت الدراسات المبتكرة بشكل متكرر على مدى أخذ القيادة الإدارية بعين الاعتبار في التكوين حاجات العمال منه واستعداداتهم الحقيقية له. كما ركّزت الدراسات على الخصائص الشخصية للقائد[8].

والنمط القيادي من أهم العوامل المؤثرة في اكتساب المهارات في المؤسسة، وينبع ذلك من خلال تأثير القائد في سلوكيات عماله، باعتباره السلطة العليا التي تكافئ وتعاقب. فالقائد يمكنه المساهمة في تنمية القدرات الفنية و التقنية لعماله، من خلال:

1- تشجيعهم على حل المشاكل و التّصدي لها.
2- و من خلال إشراكهم في وضع الأهداف وصنع القرارات بطريقة تجعلهم يطرحون أفكارهم وانشغالاتهم واحتياجاتهم من التكوين، ومن تم يكون التكوين وتنمية المهارات للموارد البشرية، وفق الاحتياجات والاستعدادات الحقيقية لهم، وهذا الفعل يقلّل من عناء الجهود التي تكلّل بلا فائدة. فالعامل الذي يكون استعداده قوي لرفع مهاراته، ويكون تكوينه وفق النقص التقني أو الفني الذي يخصه من المؤكد أن تكلل جهود التكوين – تنمية المهارة- بالنجاح والذي يؤدي إلى تحقيق أهداف المؤسسة وتنميتها.
3- القائد لا بد أن يكون قدوة في التفكير المتجدد.
4- القائد يشجع التنافس بين المرؤوسين في رفع مهاراتهم.
5- القائد يشرف على أعمالهم، ويناقشهم فيها ويطالبهم بالتطبيق الجيد لها.
6- القائد يعمل على توفير الإمكانيات المادية والتحفيزات المعنوية.

وتتراوح أنماط القيادة الإدارية بشكل عام فيما يتعلق باتخاذ ها للقرارات واستخدامها للسلطة بين النمط الأوتوقراطي و النمط الديمقراطي.

وتوضيح الدراسات المتخصصة في مجال التكوين وتنمية المهارات، آن **النمط الديمقراطي** المهتم بالعمل و العاملين معا هو أكثر الأنماط فعالية سواء فيما يتعلق بمستوى الأداء أو مستوى التجديد و الإبداع[9].

وكشفت دراسات متعددة أن المؤسسات ذات **النمط الأوتوقراطي** غير فعالة في البيئة الديناميكية، وتعيق تدفق الجهد الإبداعي لأنها تعمل على إبقاء الحالة القائمة واستمرارها[10].

الإطار العلمي للدراسة: يتناول هذا الجزء تعريف الإجراءات المنهجية و أدواتها وعرض نتائج الدراسة ومناقشتها.

1. منهج الدراسة: دراسة الحالة هوالمنهج الذي يتم من خلاله جمع البيانات المتعلقة بوحدة البحث مهما كانت صنفها (فرد، مجتمع، نظام، مؤسسة،... الخ) البيانات تساعدنا بطريقة أو بأخرى في التعميق في الوحدة و التعرف على عموميتها[11].

2. مجتمع وعينة الدراسة : يتمثل مجتمع الدراسة في القادة الإداريين و المرؤوسين بالمؤسسة العمومية ملبنة إيدوغ عنابة.

3. أداة الدراسة: إعتمدنا الاستمارة باعتبارها أهم الأدوات التي يلجأ إليها الباحث لجمع المعلومات وتعرَف على أنها تضم مجموعة من الأسئلة بهدف الحصول على معلومات تدور حول موضوع أو موقف أو مشكلة معيَنة [12].

ولغرض تحليل البيانات وتفسيرها ومناقشتها تمّ استخدام الأساليب الإحصائية التالية:التكرارات، النسب المئوية، لوصف مفردات الدراسة وتحديد إجاباتهم بغرض وصف خصائص المجتمع المدروس.

4.عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

على ضوء ما تقدم من تحليل و تفسير بيانات التحقيق الميداني بالمؤسسة العمومية ملبنة ايدوغ عنابة LEA تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نلخصها كما يلي:

- نجاح التسيير العام للمؤسسة العمومية.
- الاعتقاد ببقاء المؤسسة عمومية هو الحل.
- عدم اطلاع الموارد البشرية على الأهداف.
- الوضع المالي للمؤسسة في حالة من العجز المستقر (الوضع بقي على حاله لم يزد و لم ينقص).
- المؤسسة لها اهتمام بالجانب التكويني للموارد البشرية، و في الغالب يكون داخلي وخارجي معا لمدة 06 أشهر إلى سنة.

- السياسة العامة للتكوين لا تستجيب لحاجات العمال للتكوين وفق احتياجاتها الحقيقية.
- استجابة قيادة المؤسسة لأكبر نسبة تقوم بطلب تكوين.
- نمط الإشراف ديمقراطي.
- التخطيط للتكوين بمعية الموارد البشرية لكن هناك أمور لا ينبغي تدخل مشاركة العمال فيها.
- تناقض في تصريحات العمال بين التي تقول بديمقراطية الإشراف و التي تقول بعدم تقدير القيادة لجهود العمال و عدم ترقية العمال وفق جدارتها.
- العمال على دراية بوجود ميزانية خاصة بالتكوين.
- وجود الاتصال نازل (إعلامي من القيادة إلى الموارد البشرية)
- الموارد البشرية مفتقدة لعامل الترقية في المؤسسة لدرجة تطمح فيها، للتنازل عن جزء من أجرها، يستعمل لتدريبها ثم بلوغ مقصها في الترقية.
- تفضيل التكوين الخارجي عند الخواص.
- المشاركة تعني الأخذ بعين الاعتبار احتياجاتهم.
- مشاركتهم في القرارات الخاصة بتنمية الموارد البشرية غير معتبرة.
- المشاركة في تخطيط تنمية الموارد البشرية. تكون على أساس العمل في الإدارة أولا ثم الاقدمية فالعضوية بالنقابة و أخيرا الكفاءة الإنتاجية.
- بنسب متقاربة تصرح فئة البحث وجود و عدم وجود جهاز للجنة المشاركة (ما يوضح عدم وجود إعلام شامل لأمور المؤسسة).
- المؤسسة لها امكانيات تخول لها الوصول الى ذروة النجاعة، لكن ذلك مرتبط بتغيير المستشارين أو تغيير ذهنياتهم.

أسفرت نتائج الدراسة على صدق فرضيتي البحث حيث اتضح:

وعي الموارد البشرية للمؤسسة بأن التغيير الذي طرأ عليها منذ منتصف التسعينات (من ظروف اقتصادية) لابد أن يصاحبه تغيير في السياسة العامة لتنمية الموارد البشرية عن طريق التكوين، المشاركة، ...

الموارد البشرية في المؤسسة العمومية LEA مدركة لحقيقة التحولات (الايجابيات والسلبيات)، و ذلك لمشاركتها في التخطيط ما يعني ،ديمقراطية النمط القيادي و نجاعتها اقتصادياً .

الإجابة على تساؤلات البحث:

- **التساؤل الأول**: الموارد البشرية في المؤسسة مدركة لحقيقة التحولات الطارئة على المؤسسة العمومية الجزائرية LEA(منافسة، انفتاح على السوق العالمي، أزمة مالية، ...).
- **التساؤل الثاني**: المؤسسة ملبنـــة ايدوغ عنابة LEA تهتم بتنمية المهارات لمواردها البشرية، لعلمها بمدى تأثير هذا الجهاز على تحقيق النجاعة من عدمها.
- **التساؤل الثالث**: الموارد البشرية تساهم في رسم السياسة العامة لتنمية مهاراتها (المشاركة).
- **التساؤل الرابع**: رغم التحولات الطارئة على محيط المؤسسة الجزائرية و الذي أدى إلى هيكلتها و تسريح عمالها، إلا أن نجاعتها اقتصاديا محققة.
- كون المؤسسة منتجة لأكبر مـــادة حيوية يتم استهلاكها مـــن طرف المواطن الجزائري عموما، و تسويقها للمنتوج رغم المنافسة و الانفتاح على العالم لكن إنتاجها مسوق لأنه خاضع للمعايير الدولية.

الإجابة على التساؤل المركزي تبين من خلال البحث أن:

القيادة الإدارية للمؤسسة العمومية ملبنة ايدوغ عنابة LEA تاثر إيجابا في تنمية مهارات العمال،وذلك محقق من خلال احترام المعايير الدولية و المسار الصحيح المنتهج في المؤسسة من ناحية الاهتمام بالموارد البشرية و رفع كفاءتهم و يرجع ذلك إلى عدة عوامل منها:

- ✓ تطبيق النظريات التقليدية بطريقة سليمة (نظرية ماكس فيبر).
- ✓ شعور الموارد البشرية بالانتماء لمشاركتهم في وضع القرار.
- ✓ وجود مساحة إعلامية لا بأس بها.

❖ **هوامش البحث:**

(1) طارق عبد الحميد البنوي: **أساسيات في علم إدارة القيادة،** عمان، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع 2002 ص ص29، 28.

(2) ماهد محمد صالح حسن، **القيادة أساسيات و نظريات ومفاهيم**، دار الكندي، 2004، ص90.

(3) عبد الفتاح الصيرفي، **مبادئ التنظيم و الإدارة**، عمان دار المناهج ،2006 ص 22.

(4) حامد عبد العزيز الفقي: **سيكولوجية الفرد في المجتمع**، دار القلم الكويت 1984 ص ص 251-162.

(5) نجم عبود نجم **الإبتكار الإداري محاولة من أجل التفسير و التقييم**، المجلة الدولية للعلوم الإدارية، المجلد رقم 11،العدد 4، ديسمبر2006 ص229.

(6) le negard- assayag emmanulle, mancean delphine, marketing des nouveaux produits paris, 2005 p 21.

(7) محمد الطعامنة، طارق شريف يونس، **الإبداع، مقوماته ومعوقاته، دراسة لآراء عيّنة من القيادات الإدارية في إطار عربي**، مجلة التحديات المعاصرة الإبداعية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية 2006 ص83.

(8) نيجل كنج، نيل أندرمون، **إدارة أنشطة الإبتكار و التغيير**، دار المريخ للنشر، 2004 ص198.

(9) المرجع السابق، ص 48.

(10) نجم عبود نجم: مرجع سبق ذكره، ص135.

(11) عمار بوحوش، **مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995،ص 120.

(12) أحمد عبد الله الدحدح، مصطفى محمود أبوبكر، **البحث العلمي تعريفه، خطواته، مناهجه، المفاهيم الإحصائية**، الدار الجامعية،دون ط، الإسكندرية 2001- 2002، ص 369.

الدراسات الفلسفية

الحداثة الغربية في ميزان النقد العربي عبد الوهاب المسيري -أنموذجا-
(دراسة تحليلية مبنية على مقاربة منهجية و فكرية)

الأستاذ.الدكتور: أحمد ملاح، جامعة وهران، الجزائر
الأستاذة : برتيمة وفاء، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

يعد "عبد الوهاب المسيري " من بين المروجين فكريا لفلسفة الثنائيات المتقابلة في الفكر العربي المعاصر ، وذا ما تجلى في مشروعه الحداثي الذي طالب فيه بتأسيس حداثة على أساس العقل والدين، تقوم على التفاهم والانفتاح بين الحضارات والحوار والتسامح، وضرورة النقد والمراجعة لأي قوة إبداعية في مسار الحداثة، تجنبا للوقوع في هامش الحداثة المادية الغربية المنفصلة عن القيمة المدمرة للإنسانية.

وطبيعة هذا النقد تتوقف- حسب رأيه- على الاجتهاد والإبداع بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية، وعقلانيتها الخاصة بها والمنفردة والتي تراعي مصالح الإنسانية في شموليتها.

Abstract:

"Abdel Wahab El-Messiri" among promoters intellectually philosophy opposite diodes in contemporary Arab thought, that manifested in the modernist project, which required the establishment of novelty on the basis of reason and religion, based on mutual understanding and openness among civilizations, dialogue, tolerance, and the necessity of criticism. Review any creative force in the path of modernity, in order to avoid falling into the margins of Western modernity material separate from the destructive value to humanity.

The nature of this criticism depends -According to his opinion- on the diligence and creativity in accordance with Islamic law. Rationality and their own individual and which takes into account the interests of humanity in its comprehensiveness.

مقدمة:

إن تقصي "**عبد الوهاب المسيري** " لإشكالية الحداثة الغربية من خلال رصده لمجالاتها وسلبياتها، ونقائصها التي خلقت عوائقا صلبة تحول دون تحقيق التوافق بين العالمين الغربي والإسلامي، شكل لديه دافعا نقديا وتقومينا إزاءها، حيث وضع الحداثة الغربية كتصور غربي ومنتجا فكريا له خصوصياته الحضارية في مخبر التشريح شكليا وضمنيا، إذ أفرزت عملية تفكيكه لهذه الإشكالية وتفسيره، وتحليله موقفا متميزا يطعن في جذورها التأسيسية، لذلك حاول تقديم نظرة بديلة عن هذا التصور الغربي المتحيز للتفسير المادي والعنصرية، مع بعض التعديلات في مبادئها التي أفرطت في المادية كأس وغاية.

وهذا ما تجسد في مشروعه النهضوي البديل الذي لم يكتف فيه بالوقوف عند الخلل الغربي لتصور فكرة الحداثة، من كل جوانبها المعرفية والحضارية بل تعدى هذا الأمر إلى ممارسة النقد داخل الفكر العربي، من خلال الوقوف على بعض أبعاد المشاريع النهضوية السابقة عنه، محاولا الكشف عن مآزقها التي أحدثت تصدعا واغترابا في وحدات العالم الإسلامي، وفكره وقيمه، فما مدى توفيق "**المسيري**" في مشروعه ؟، وهل فضحه لنقائص المشروع الحداثي الغربي يمكن الحكم عليه بالاكتمال، أو النضج معرفيا وحضاريا؟، وإلى أي مدى يمكن جعله مشروعا إنسانيا عاما؟.

وهل قدم في مشروعه هذا حلولا جديدة، مقارنة بغيره من المفكرين المعاصرين أم تعذر عليه ذلك؟.

هذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال نقد وتقييم مشروعه، وذلك من ناحية المنهج الذي اتبعه ومارسه، كذلك من ناحية الأفكار التي طرحها ودافع عنها.

1.من ناحية المنهج : بني "**عبد الوهاب المسيري**" منهجه بناءا على تحليله لمجموعة من المبادئ والقيم والمفاهيم، والمعايير التي رأى أنها سبب في تأزم الوضع العالمي

كالحداثة الغربية، فأعاد فيها النظر وفق منهج تفكيكي، اعتمد فيه على التشكيك في المعتقدات والمنظومات المعرفية والمفاهيمية، حاول بذلك فضح المستور منها، وأهمية هذا المنهج التفكيك تبرز من خلال استخدامه من قبل بعض الفلاسفة الذين سبقوا "**عبد الوهاب المسيري**" إليه، أمثال"**جاك دريدا**" **(jacques Derrida)** إذ أن "**دريدا**" قد طبق التفكيك كإستراتيجية لتحليل مركزية العقل، أي تفكيك العقل الذي نظرت إليه كما نجد ذلك عند "**هيجل"(Hegel)** وهي نظرة رفضها "**جاك دريدا**" ورأى أن: «**الواقع والحقيقة الفيزيقية، قد تجاوزا العقل الذي أنتجته الميتافيزيقا الدينية، والفلسفية**»[1].

وقد عمل "**المسيري**" بدوره على تفكيك بعض إدعاءات القائلين بأن هناك معنى مادي نخضع لإرادته، وهو المسؤول عن التطور والتنمية، مثل مقولة (تسلع المادة أو السوق الإمبريالية، الصراع القوة...)، إذ رأى فيه نوعا من الجمود والخضوع يستخدم التفكيك باعتباره رؤية للكون.

وقد أراد بمنهجه التفكيكي نقد وتحليل الخطابات الحداثية، وإعادة قراءتها وسعى بهذا إلى استحضار ما وراء اللفظ والمصطلح، أو ما هو مغيب عن ظاهر المفهوم أو النص، وهذا ما يستدعي تعدد التفسيرات واختلاف التأويلات حول المفهوم الواحد، حيث تتعدد المعاني والقراءات وتختلف الفهوم والدلالات، فالاختلاف والتنوع في الفهم يعتبر من أهم مقولات التفكيكية، التي طرحها "**المسيري**" من خلال نماذجه الإبداعية الاجتهادية التي تعمل على دراسة الفكرة وتفكيكها، وتحليلها وتفسيرها ثم إعادة صياغتها في نموذج جديد أو سياق – مشروعه الفكري– فعمد إلى نقد الحداثة الغربية، وبين أن المفاهيم الغربية لا تعبر دوما عن معاني محددة، بل كثيرا ما تحمل أبعادا لا يصرح بها أصحابها، تضمر ضمن الخلفيات الإيديولوجية.

وهذه محاولة جديدة قام بها من أجل الوقوف على المعاني المبهمة في الخطابات الغربية، بهدف الكشف عن مكبوتات مروجيها الذين يعملون دائما على إيصالها للمتلقي بطريقة خفية.

وهذا الفضح يؤدي إلى التشكيك في الحقائق، وتجنب النظرة التقديسية لها بحيث يعيد النظر في صدق هذه الحقائق، وفي مركزية هذه المصطلحات المنسوبة للحضارة الغربية.

وبهذا يكون "**المسيري**" قد فتح آفاقا جديدة لفهم المفاهيم، والمصطلحات وتطويرها بخلق قراءات موضوعية مستقلة عن خلفياتنا الثقافية، والدينية المتعصبة وجعلها أكثر انفتاحية، كما تدعو إليه الروح الإسلامية.

إلا أن ما يمكن أن يشكل عائقا أمام منهج "**المسيري**" التفكيكي هو صعوبة تطبيقه على النصوص الدينية المقدسة، كالآيات القرآنية مثلا، لأنها حقائق ثابتة صالحة لكل زمان.

وإلى جانب المنهجية التفكيكية التي استعملها في تشخيصه لأزمة المجتمع المعاصر، فقد عهد إلى التركيب لكي يتجنب التشتت والانقسام في ظل التعدد والاختلاف الموجود بين الثنائيات الضدية، كما بين الثقافات والهويات، والأديان السماوية والنماذج المعرفية الغربية، ويظهر لنا ذلك من خلال ربطه المنهجي والفكري المتغير، والمتحول عن طريق الابتكار للأفكار والمقولات التي تفيدنا في حياتنا، بعد استغلالها عمليا بالفكر التركيبي الذي يعني الجمع بين ما هو متعدد ومختلف، قصد الوصول إلى التقارب والتعايش كما هو موجود في المنظومة الإسلامية.

ويبدو لنا تطبيق المنهج التركيبي والتحليلي، والتفسيري في مشروع "**المسيري**" الحضاري الشامل في عدة مواضيع، وبعد أن فكك مفاهيم ومقولات الحداثة الغربية وقارنها بواقعها الراهن من أجل تحقيق الموضوعية في نقده لها، والكشف عن تهافت المدافعين عنها، قام بالتحليل والتركيب وشخص مشكلاتها، وحدد مجالاتها وقام بصياغات جديدة للواقع، وللنماذج الحضارية والمعرفية وفق ما يتماشى مع مصالح الإنسانية عامة.

2. من ناحية الأفكار:

لقد أسس "**المسيري**" مشروعه الفكري الإنساني، انطلاقا من تناوله للعديد من المشكلات التي رأى ضرورة إعادة النظر فيها، ومن أبرز هذه المشكلات نجد مشكلة الحداثة التي درسها وحللها العديد من المفكرين المعاصرين، سواء من الغرب أو من العرب، الذين سنحاول معرفة موقفهم منها لتقييم على ضوء ذالك موقف "**المسيري**" فمن بين الذين يقتربون مع "**المسيري**" في وجهة نظره للحداثة الغربية، ودعوته لتأسيس حداثة إنسانية شاملة تولي اهتماما كبيرا للتراث، والقيم الأخلاقية والدين، فإذا كان "**المسيري**" يؤكد ضرورة الانطلاق من التراث والاجتهاد فيه، لفهم قواعده وإعادة تكييفها مع واقعنا المعاصر: «**لإعادة القرآن والسنة، ولقرأت التراث الحضاري**»[2].

نجد المفكر المغربي "**محمد عابد الجابري**" الذي يرى أن الحداثة ليست بالضرورة رفضا للتراث، أو تجريدا من ماضينا، وثقافتنا التي تراكمت بفعل توالي الأزمنة والحقب التاريخية، وإنما هي تطوير في نظرتنا إلى الموروث، وكيفية التفاعل معه واستغلاله بما يتماشى مع التطورات التي سيشهدها العالم، في مختلف المجالات حيث يقول: «**فالحداثة -في نظرنا- لا تعني رفض التراث، ولا القطيعة مع الماضي، بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة، أعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي**»[3].

كما أنه يتفق مع "**المسيري**" في تأكيده أن:«**العقل الغربي هو الذي قام بحربين عالميتين مدمرتين، بفعل العقل الحد اثوي الغربي، الذي لم تلجمه لا القيم ولا الوجدان، ولا الضمير ولا القيم الأخلاقية**»[4] فالحداثة الغربية تخلو من هذه القيم حسب "**الجابري**"، كما أنه يرى أن: «**الحداثة تتم بإعادة كتابة تراثنا بروح نقدية، ورؤية عقلانية تأريخية، وهذا ليس بهدف امتلاك تراثنا، والتحرر من ثقل حضوره فحسب، بل أيضا من أجل إعادة التربة الصالحة الضرورية، لاستتباب أسس التقدم والتطور، في فكرنا وثقافتنا المعاصرة، وهذا هو الشرط الضروري لتأصيل "المعاصرة فينا"، أعني تحويلها من معاصرة قائمة على التبعية والنقل،**

والاستنساخ إلى معاصرة قائمة على المواكبة على المساهمة إنتاجا وإبداعا»[5]، إن الحداثة اليوم كما يرى "**الجابري**" هي: «**ديدن الحياة في كل مجال فالحداثة الفكرية ضرورية لإنتاج المعرفة، وللتجديد والاجتهاد، وأما تراثنا وإن كان يزخر بأنواع من الحداثة شاهدتها فترات من ماضينا، فهو لا يكفينا لتحقيق الحداثة المطلوبة في عصرنا، فهو مفيد لنا على صعيد ربط الحاضر بالماضي، ولكنه يحتاج إلى تجديد في سبيل ربط الحاضر بالمستقبل، وذلك المستقبل الذي ننشده، والذي نكون فيه من رواده وقادته**»[6].

وهذا لا يعني كما يقول "**الجابري**" أن نعرض عن تراثنا اعتراضا، ونرتمي بكليتنا في الحضارة المعاصرة وكأننا كائنات لا تراث لها بل أن تأسيس الحداثة فينا وعندنا يتطلب الانتظام في تراثنا، إعادة بناء علاقتنا به بصورة حداثية أن:«**الحداثة تبدأ باحتواء التراث وامتلاكه، لأن ذلك وحده هو السبيل إلى تدشين سلسلة من "القطائع" معه، إلى تحقيق تجاوز عميق له، أي تراث جديد نصنعه**»[7]، فنحن نفهم من خلال نصه هذا وكأنه يريد أن يرسم لنا خطة عمل نطبقها في تجديد التراث، ليواكب تطورات العصر إذ يجب علينا أولا أن نحتوي التراث ونمتلكه، وذلك بدراسته ووعيه لنستخرج منه المعقول واللامعقول، بكل روح نقدية وعقلانية موضوعية، ومن ثم نحصل على تراث جديد صغناه بأنفسنا، وهو تراث قادر على مواجهة تحديات عصر الحداثة الغربية.

كما أن "**المسيري**" فقد قدم رؤية جديدة للحداثة، إلا أنه مع ذلك حاول تقديم مفهوم يتماشى مع هذا التغيير، فرأى بأنها إبداع متواصل في الرؤى والأفكار والمبادلات، وذلك ليس من أجل التوصل إلى نتائج وحلول نهائية ومحددة، بل هي إنتاج مستمر على مستوى الفكر، ثم على مستوى العمل، أي استثمار أفكارنا في الممارسة التطبيقية، ولا يكون هذا إلا بالابتعاد عن الوثوقية والذاتية عن طريق إعادة قراءة مسلماتنا وبديهياتنا، ويتضح ذلك في معنى قوله الحداثة هي: «**مفهوم إنساني مشترك، يقوم على الاجتهاد في إعادة الاعتبار في قيمة الإنسان، وقيمه**»[8].

ويتبين لنا مما سبق أن "**المسيري**" يشترك مع "**الجابري**" في بعض المسائل المتعلقة بأهمية التراث في تطورنا من خلال إعادة قراءته وتمحيصه، ومفهوم الحداثة كتركيزها على أولوية نقد الأفكار والذهنيات، والمعايير العقلية في كيفية تعاملنا مع التراث ولكن يبدو أنهما يختلفان معا مع رؤية "**علي حرب**" للحداثة على أنها: «**عملية خلق مستمر لا يمكن القبض عليها وتجسيدها في قالب جاهز، وثابت**»[(9)].

بينما رأى "**المسيري**" و"**الجابري**" بأنها مشروع ورسالة، أي نموذج وقالب يمكن أن يحتذي به في إطار احترام الهوية والتراث ومجمل القيم الإنسانية، رغم أن "**المسيري**" في دعوته لجعل الفكر الإسلامي فكرا عالميا شموليا وكونيا، - كما أشارنا لذلك في مشروعه- نجده يشترك مع "**علي حرب**" في فكرة جعل الفكر الإسلامي فكرا كونيا، من خلال دعوته إلى عدم تجنيس الأفكار، حيث يقول: «**إن التعامل مع التوراة والإنجيل والقرآن، فهي كتب بلغة الغيب لكي توجه إلى الإنسان، ولا داعي لأن تحتكرها طائفة أو فرقة، فهي سلع رمزية توضع برسم التدوال للجميع**»[(10)]، وبذلك يصبح الفكر الديني فكرا كونيا لجميع الناس.

يميز "**المسيري**" نوعين من الحداثة، **حداثة سلبية** وهي الحداثة المادية التي تسيطر عليها التكنولوجيا، والتقنية المنفصلة عن القيمة، **وحداثة إيجابية** تتمثل في الجانب الفكري، حيث يرفض "**المسيري**" الأولى ويبقي على الثانية التي من شأنها تنمية القيم الإنسانية، وفي تصنيفه هذا نجده يتفق مع "**محمد أركون**" الذي يميز بين حداثة مادية وحداثة عقلية، فالحداثة المادية (التكنولوجية) فهي متوفرة في المجتمعات الغربية عامة، وفي العديد من المجتمعات الإسلامية العربية خاصة الغنية منها (كالمملكة العربية السعودية).

أما الحداثة العقلية فهي الحداثة الحقيقية -في نظر "**أركون**"- والتي تجسدت في المجتمعات الغربية، وتفتقد إليها المجتمعات الإسلامية، إلا عند نخبة قليلة جدا من مفكريها المثقفين فقط، كما يتفق "**المسيري**" مع "**أركون**" في نقده لمفكري التيار التقليدي الذين رفضوا روح الحداثة الغربية، وجعلوا من الإسلام مفهوما جامدا

ومنغلقا على نفسه، غير قابل لتواصل مع الآخر، رغم أن التواصل مبدأ في الإسلام يجمع بين كل البشر بصور ومعاني متعددة له، كالتعاون مثلا أو التراحم، "**فأركون**" يرجع سبب افتقاد المجتمعات الإسلامية للحداثة الفكرية إلى أن المؤمنين التقليديين يصرون على مواقفهم التقليدية، ويعارضون التطور بل ويطالبون الغرب باحترام اختلافهم[11]، وطبقا لمفهوم هؤلاء المؤمنين للإسلام، كمناخ ديني سكوني، دوغمائي، جوهراني متعالي يعبر عنه شعار: "الإسلام صالح لكل زمان ومكان"، أصبح الغرب يقيم علاقة بينه وبين الإسلام عندما يتحدثون عنه.

وبهذا فإن المؤمنين التقليديين، لا يعرفون أنهم يضرون أنفسهم أكثر مما ينفعونها، فالحداثة الفكرية مرفوضة في المجتمعات الإسلامية، ومفتقدة إليها تحت ضغط رجال الدين الإسلامي الأصوليين، أصحاب العقول المتحجرة في نظرهم الذين رأوا في الحداثة شر لابد من تحاشيه، ويعبر "**أركون**" عن ذلك في قوله: «**ولو انتصرت الحداثة العقلية في أرض الإسلام، ما كان مصيرهم يشبه الحركات الماضوية المتطرفة في البلدان الأوروبية**»[12].

ويعني هذا أنهم يقومون برفض الحداثة في جانبها الفكري، دون جانبها المادي -في نظر "**أركون**"- لكي يحافظوا على مكانتهم، وخير مثال على ذلك هو ردت فعل هؤلاء على "**طه حسين**"، (1889/ 1973)، عندما دعا إلى إدخال المنهج الفينومينولوجي **(phenomenological)** والتاريخي إلى الساحة الثقافية العربية في العشرينيات، وكانت عنيفة إلى درجة أنهم اضطروه لتراجع عما دعا إليه، لأنهم رأوا في دعوته هذه خطر على الرؤية القديمة للأمور، وهذا ما انتقده "**المسيري**" عند ممثلي عصر النهضة والتيار التقليدي .

كما سبق الإشارة إليه في مشروعه البديل-، كما نلمس بعض نقاط التقارب بين "**عبد الوهاب المسيري**" و"**محمد أركون**" في الدعوة إلى تأصيل الحداثة إسلاميا، وهذا ما أراده "**المسيري**" من خلال نقده للحداثة الغربية ومحاولة تأسيسه لحداثة إنسانية مشتركة مفعمة بالروح الإسلامية، فكذلك "**أركون**" في دعوته للحداثة لا يقصد الدعوة إلى الحداثة الغربية، بمساوئها ومحاسنها، بل يسعى جاهدا إلى

تحديث الفكر الإسلامي من خلال حداثة يردها إلى منشئها ومبادئها، وهو التراث الإسلامي، أي من خلال عملية **ترييث الحداثة**.

بمعنى عملية البحث عن جذور فكر الحداثة في التراث الإسلامي لأنه يعتبرها فكرة تعبر عن وعي الإنسان بذاته، ولا يمكن أن تحمل حدودا عرقية، أو جغرافية حيث يقول: «**إن الحداثة ليست حكرا على الغرب أو الشرق، إنها موقف قد يؤخذ في أي عصر، ولدى كل الشعوب**»[13]، إذا كان الغرب يتغنى اليوم بإحدى مقولات الحداثة وهي "**الإنسية**"، فإن "**أركون**" يرى: «**بأن الفكر الإسلامي، قد عرفها قبل اليوم بقرون، بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري**»[14]، يستشهد "**أركون**" على ذلك بشواهد من التاريخ الإسلامي الأصيل، تتمثل في شخصيات عرفت الانفتاح الفكري ومارست التفكير الحر، فيقول :«**ويمكن هنا تسمية نماذج كبرى من المثقفين، الذين مارسوا مثل هذا الموقف الحر، والمستقل... إذ يعتبر الجاحظ والتوحيدي، من أكثرهم جرأة وحداثة**»[15].

وبناءا على هذا يمكن القول بأن الحداثة التي يدعو إليها "**أركون**" ليست المعاصرة أو استعارة الجانب المادي من الحداثة فقط، بل أنها الحداثة الروحية التي تجعل الفكر فعالا لا منفعلا، والتي لا تحدها حدود، فتلك المواقف الحداثية التي شاهدها الغرب، شاهدها العرب والمسلمون قبلهم، ومن هنا كان جديرا بالفكر الإسلامي أن يتحدث بحداثة نشأت في رحمه قبل أن يتحدث بها غيره، وهو ما يهدف إليه "**أركون**" من خلال مشروعه النقدي للحداثة، والذي يتقارب فيه إلى حد بعيد مع موقف "**المسيري**" تجاهها.

كما نجد "**عبد الوهاب المسيري**" في دعوته التجديدية للفكر العربي والإسلامي المعاصر انطلاقا من إعادة النظر في الكتاب والسنة، يقترب مع ما ذهب إليه "**محمد عمارة**" الذي يتحدث عن ضرورة التجديد خاصة في مجال الدين، والفكر الديني فالتجديد لا يمس الأصول، بل يشمل التفسير والفهم للدين: «**لأنه السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل، وثوابته إلى الميادين الجديدة والأمور المستحدثة، والضمان لبقاء "الأصول" صالحة دائما، لكل زمان ومكان**»[16]، فتجديد

الفكر الإسلامي ضرورة ملحة في العصر الحالي، حتى لا تكون هناك حجة على الإسلام في كونه يدعو إلى التخلف والركود، و يضيف "**عمارة**" بأن :«**أعدى أعداء هذا "التجديد"، هو "التقليد" فالتقليد للنماذج الحضارية الغربية الوافدة، يعطل ملكة الإبداع والابتكار ... ولن يتأتى ذلك، إلا إذا آمنت بأن لها في النهضة مشروعا متميزا عن المشاريع الأخرى للحضارات الأخرى**»[17].

فالتجديد إذا لا يتأتى من خلال تقليد نماذج أخرى أكثر تطورا بل يجب أن يكون مستوحى من الأصول، ولا يجب أن يخرج عنها كما أن هذا التقليد يقتل ملكة الإبداع في أفراد الأمة، و"**محمد عمارة**" وإضافة إلى قوله بضرورة الوعي بأهداف الغرب، وضرورة توحد صفوف المسلمين أمام تحديات الغرب التي من بينها الحداثة، وكذا دعوته إلى التجديد يقترح علينا مشروعا للتعامل مع الآخر، وتقديم صورة للإسلام بشكل منظم وموضوعي، والذي يتمثل في مشروع "**ألف كتاب**" الذي أراد من خلاله اختيار كتب من فكر الإحياء والاستنارة على مدى القرنين الماضيين للنهوض بالعالم الإسلامي، والوقوف على مخاطر الغرب.

أما بالنسبة "**لبرهان غليون**" فإنه يركز أكثر على الآخر، أي الغرب في مسألة التحديث، فالحداثة بالنسبة إليه هي نقل مظاهر الحياة الحضارية الأوربية إلى بلادنا، على اعتبار أن الغرب هو من يمتلك التكنولوجيات المتطورة، والأفكار المتجددة، ومنه فهو المعيار الذي يتبين من خلاله مدى تحضرنا وتحدثنا، إذ يقول: «**يعني التحديث جعل مظاهر الحياة الاجتماعية، ووظائفها مماثلة في البلاد العربية لمعايير الحياة الاجتماعية العالمية، وبالتالي لأنماطها السائدة في الغرب، باعتباره مصدر التجديدات العلمية والتقنية، والأدبية ومقياسها أيضا**»[18].

وإذا كان "**برهان غليون**" قد ركز على أهمية الآخر في صناعة حداثتنا، فإن "**المسيري**" يوازن بين أهمية الأنا والآخر من خلال دعوته للإنسانية المشتركة، من حيث أننا ننفتح على العالم ونشتغل أيضا على الذات بخلقها وتطويرها، وبهذا فإننا بقدر ما نغير أنفسنا بقدر ما نتفاعل مع الآخر، وبهذا يتفق مع رؤية "**محمد محفوظ**" الذي رأى ضرورة تغيير النظرة نحو ذواتنا، حيث يقول: «**ينبغي أن يكون**

المنظور كيف تنظر الأنا إلى ذاتها هل ينظر إليها باعتبارها هامشية ...، أم ينظر إليها باعتبارها مجموعة من الإمكانات والقدرات»[19]، أي ضرورة الاتجاه أكثر إلى ذواتنا، والتركيز عليها بتجديد البحث في عقلياتنا الجامدة المبنية على إقصاء الآخر، وهذه نقطة نلمسها أيضا عند "**علـــي حرب**".

يبدو مما سبق أن "**المسيري**" قد تطرق إلى العديد من المسائل التي بحث فيها غيره من المفكرين العرب المعاصرين، إلا أن أفكاره وأرائه لم تكن مجرد إعادة لما توصلوا إليه، وإنما كانت بحثا منهجيا، ملما بالجوانب المختلفة للمشاكل التي تعاني منها المجتمعات العربية المعاصرة.

فاهتمامه بدور الآخر في تنميتنا هو نابع من دراية "**المسيري**" بمدى عجز الدول العربية والإسلامية في مختلف الميادين، خاصة ما يتعلق بالتطورات التكنولوجية الحديثة، وحرصه على ضرورة تطويرها والوصول بها إلى ما وصل إليه الغرب، مع المحافظة على هويتها الخاصة.

وإذا كان مفهوم الحداثة مرتبطا بعلاقة الأنا بالآخر، فإن التطرق إلى علاقة هويتنا بالآخر المختلف عنا، والتي جعلها "**المسيري**" إحدى آليات تحقيق الإنسانية المشتركة التي تنعكس على ضوئها رؤانا وأفكارنا الحداثية، فالتعامل مع الهوية لا يكون بالتقوقع على الذات، بل بالانفتاح على الآخر والتفاعل معه بما يضمن التعاون والتبادل في ظل اختلاف الهويات، والاشتراك في القيم الإنسانية النبيلة، ولهذا فغيرنا ليس خطرا على خصوصياتنا، بل هو وجهنا الآخر.

كما نجد أن "**عبد الوهاب المسيري**" في نظرته العدائية لليهودية والصهيونية والتي تتمحور في أن كليهما تشكل إمبريالي علماني، من نتاج المنظومة الحداثية يتفق مع "**طه عبد الرحمان**" في دعوته للنهوض بالعالم الإسلامي، ومعاداته لليهودية من أجل الحفاظ على هويتنا وبقائها، لذلك يقول "**طه عبد الرحمان**": «**فلا مفر إذن من أن ننهض إلى التفلسف بما يختص بنا لكي نحيا، لا بما يختص بعدونا لكي نموت...، وليس قصدنا هنا إلا أن نفكر على قدر الطاقة في كيف نتفلسف**

من أجل أنفسنا، حتى ندفع عنا ما يحمله هذا الفضاء المتهود من أسباب الموت»[20].

ويبدو من هذا حرص "**طه عبد الرحمان**" على الدفاع عن هويتنا ومقدساتنا الثقافية والدينية، من خطر الفكر المتهود بالإبداع والتفكير، لأن الفلسفة أصبحت تتحكم فيها العنصرية اليهودية الرامية إلى القضاء على المقدسات الإسلامية، وكما يرى "**المسيري**": «**أن العنصرية والصهيونية، واليهودية أوجه الحداثة الغربية**»[21].

كما نجد أيضا تشابها بين آراء "**المسيري**" والمفكر الألماني "**هابرماس**" **(Habermas)** في فكرة نقده للحداثة الغربية وتسلطها المادي، حيث حاول بناء مشروع يقوم على التعدد والحوار بما يحقق التقارب والتبادل، والتعايش بين الأفراد والجماعات العالمية، وذالك بإعادة النظر في المفاهيم والأفكار، وهذا ما نجده في النظرية التواصلية "**لهابر ماس**" التي تقوم على الحوار والتفاهم بين الأشخاص والمجتمعات قصده: «**تحطيم بنيات الاتصال اللاعقلانية التي تميز العالم المعاصر، والمقصود بالبنى اللاعقلانية أبنية العقل المتحجرة المعيقة للحوار والتواصل، في ظل الاختلاف الاجتماعي والثقافي، وهذا يتجاوز عقلية التمركز حول الذات بعقل تواصلي يربط مع الآخرين علاقات متعددة، وذلك بالاعتراف بإمكانية الوقوع في الخطأ، واعتباره مبدءا من مبادئ المناقشة والحوار، إذ يتعين على الجميع المساهمة في الحوار، وفي خلق معاني الرموز والأشياء**»[22].

ويتبين مما سبق أن "**هابرماس**" أيضا قد ركز على فكرة الحوار بين جميع أفراد المجتمع، وعلى مشاركتهم في تطوير وخلق تفاسير وقراءات مختلفة للنصوص والمفاهيم قصد التجديد والتعايش، فهو يشترك مع "**المسيري**" في دعوته إلى ضرورة عقلنة العلاقات الإنسانية ومناهضة عصره، والمنادي لتنوع الحوار بين الحضارات والثقافات.

وما يمكن أن نستشفه مما تقدم هو مدى اهتمام "**المسيري**" بالمشكلات والأزمات التي يعيشها المجتمع الدولي عموما، والمجتمع العربي الإسلامي بالخصوص، حيث عمل على تشخيص أسباب الأزمة، وحاول تقديم البديل المتمثل في الرؤية الإنسانية المشتركة، الشمولية والكونية للعالم التي تراعي القيم الأخلاقية والدينية وضرورة احترامها.

وقد مارس في تشخيصه لعوامل التأزم المنهج التفكيكي الذي استعمله من أجل تحرير الفكر، والمعنى من تلك السلطة التي يسعى أصحاب الفكر المتعصب إلى فرضها على الجميع، وذلك بكسر الحواجز وفتح المجال لتعدد المعنى بقراءة النصوص وإعادة بناء المفاهيم بما يتماشى مع خصوصية الأديان، وكيفية التعامل مع الهويات.

ولذلك تبدو أهمية التفكيك من خلال الكشف عن قصور المقولات والأفكار بممارسة النقد والتشكيك، وبذلك فهو يحرر الفكر من الأوهام والانغلاق، ويؤسس للانفتاح والتعدد بما يحقق الغنى والثروة في التفسيرات والقراءات للمفاهيم.

حسب –"**المسيري**"– لا يتوقف عند التشكيك فقط، لأن ذلك يجعلنا نستمر في بحث يفضي بنا إلى العدمية، بل يتعداه إلى ممارسة الفعل التحليلي والتركيبي، وهو العمل بصورة خلاقة ومتجددة على التواصل، والإبداع في الأطروحات والمنتجات.

وقد أراد بهذا التفكيك والتركيب الوصول إلى مشروع إنساني مشترك إسلامي الذي يعتبره تصورا جديدا، يرتكز على مجموعة من الأفكار أهمها إعادة امتحان مصداقية المفاهيم الحداثية، وأهداف المشاريع الغربية من خلال كتاباته، حيث بين المشكلات التي وقعت فيها الحضارة الغربية في نموذجها الحداثي المعرفي والحضاري، وهذا النقد بإمكانه أن يغير من نظرتنا اتجاه الغرب، وذلك بألا نتعامل معهم كحماة لنا، أو يملكون حق التفكير نيابة عنا في حلول مشاكلنا، –وإن كان

من الصعب على الصعيد الواقعي-، لأن الخصوصية الإسلامية لهويتنا كفيلة بتقديم الحلول الناجعة لمشاكلنا.

وتجدر الإشارة إلى أن "**عبد الوهاب المسيري**" يتقارب في رؤيته العالمية للكون، وطرحه الإنساني من الفيلسوف الألماني "**إيمانويل كانط**" **(immanuelkant)** رغم أن فكرة الكونية أو العالمية موجودة في الديانة الإسلامية، والمسيحية كحل إنساني أخلاقي لمشاكل البشرية، إضافة إلى أن "**المسيري**" يقترب من "**توماس كوهن**" **(Thomas Kuhn)** الأمريكي و"**كلود ليفي ستراوس**" في فكرة النموذج كمصطلح من حيث الاستعمال الشكلي، أما عن المضمون فإن "**توماس كوهن**" قاربه بالمنظور العلمي أو المفهوم المعرفي، في حين "**كلود ليفي ستراوس (cloude lévi strauss)** أخضعه للدراسات الاجتماعية والبنيوية، أما "**عبد الوهاب المسيري**" فقد قرنه بالدراسات الحضارية والعقائدية التاريخية، للإلمام بالمسائل الإنسانية في شموليتها الكونية.

خـــاتمة:

نخلص من هذا المقال إلى مايلي:

إن النقد لا مفر منه للحداثة، فهو خاصية أساسية حتى يتمكن الحداثي من أن يبلغ حداثته على الوجه الأكمل، فالنقد لم يعد عيبا فيها، وإنما هو ميزة لها من الإيجابيات ما يجعل الحداثة ذاتها تستطيع الاستمرار إلى الأمام، فناقد الحداثة هو الحداثي الحق، ومن هنا فإن البديل الذي أعطاه "**المسيري**" لإنقاذ الإنسانية وقيمها من الانعدام يتمثل في نظريته الإنسانية والمؤسسة على أصول الدين الإسلامي، التي تحمل في باطنها معايير أخلاقية وإنسانية، قصد تكوين عقلانية متوازنة تجمع بين الجوانب المادية والجوانب الروحية، أي بين التنظير والعمل والتطبيق.

وذلك لإثراء الجانب الإنساني الذي كان مهملا عند الحداثيين الغربيين، المفرطين في ماديتهم-، أي العلاقات المادية مثل التسلع، التشيؤ، المركزية ...إلخ، محاولا إعادة الثقة للإنسان العالمي بقيمه وإرادته، ونقد بذلك كل من يحاول تهديم الإنسانية وأسسها لمجرد وقوع العقل في مأزق (أخطاء)، ولهذا فإن "**المسيري**" يرى أنه لابد من مواجهة الحداثة بقوة إبداعية لا بالاستسلام، أي ليس بالرفض لها، وإنما امتلاك النقد كوسيلة لمهاجمة الحداثة بغية إصلاحها.

وعلى هذا الأساس رفض بتاتا سيادة الواحدية المادية لأنها تدعو إلى فرض نمط عيش معين، خاص بالنموذج الحداثي الغربي يحاول فرضه على جميع الشعوب بالقوة والعنف.

- إن مشروع "**المسيري**" هو مشروع نظري، ومحل جملة من الانتقادات من طرف الفلاسفة والمفكرين، لكن رغم هذه الانتقادات الموجهة له إلا أنه يمثل مفكر هذا القرن بما أبدعه من نظرة جديدة شمولية، تتجاوز الطرح الذري لمسائل العالم على خلاف معاصريه، فقد أراد أن يعيد الثقة في القيم الإنسانية من خلال

موازنته بين القيم المادية والروحية، وبناء حداثة إنسانية مشتركة قادرة على حل المعضلة الاجتماعية والحضارية الراهنة.

وعلى العموم إنه مجهود نظري كبير قام به "**المسيري**" في الفكر الفلسفي المعاصر عامة، قد يصادف الإخفاق أو قد يكون نصيبه النجاح، والتاريخ (المستقبل) سيثبت ذلك.

❖ **هوامش البحث**

(1) فريدة غيوة، **اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة**، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، 2003، ص 185.

(2) عبد الوهاب المسيري، **إشكالية التحيز رؤية معرفية، ودعوة للإجتهاد، المقدمة فقه التحيز**، ط3، ص 109.

(3) محمد عبد الجابري **التراث والحداثة، دراسات ومناقشات**، لبنان، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1991، ص 15.

(4) عبد الوهاب المسيري، **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**، مصدر سبق ذكره، ص 120.

(5) محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت، حزيران، 1986، ص 47.

(6) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، **حوار المشرق والمغرب، نحوة إعادة الفكر القومي العربي**، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، بيروت، 1990، ص 75.

(7) المرجع السابق، ص 74.

(8) عبد الوهاب المسيري، **إشكالية التحيز رؤية معرفية، ودعوة للإجتهاد، المقدمة فقه التحيز**، ط3، مرجع سبق ذكره، ص106.

(9) علي حرب، **الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة**، بيروت: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 241.

(10) علي حرب، **العالم ومآزيقه، منطق الصدام ولغة التداول**، المغرب: المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 2002، ص 174.

(11) محمد أركون، **الإسلام أوربا الغرب**، ترجمة هاشم صالح، (ط1؛ لبنان: دار الطليعة بيروت، 2004)، ص 286.

(12) محمد أركون، **القضايا في العقل الديني**، ترجمة هاشم صالح، بيروت: دار الطليعة، 2004، ص 226.

(13) محمد أركون، **الفكر الإسلامي، نقد وإجتهاد**، ترجمة هاشم صالح، (ط3؛ لبنان: دار الساقي بيروت، 1998)، ص 264.

(14) محمد أركون، **نزعة الأنسنة للفكر العربي الإسلامي، جيل بن مسكويه والتوحيدي**، ترجمة هاشم صالح، لبنان: دار الساقي بيروت، 1997، ص 228.

(15) محمد أركون، **نزعة الأنسنة للفكر العربي الإسلامي، جيل بن مسكويه والتوحيدي**، مرجع سبق ذكره، ص 228.

(16) محمد عمارة، **تجديد الخطاب الديني، سنة وأمريكا تشن حرب، استباقية لغزو العالم** ، **www.aliwidha.com**.

(17) محمد عمار، (**النظام العالمي الجديد رؤية إسلامية**)، **مجلة العربي**، العدد 443، أكتوبر 1995، ص 33.

(18) برهان غليون، **إغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، المغرب، لبنان: الدار البيضاء، بيروت، 2004، ص 183.

(19) محمد محفوظ ، **الإسلام والغرب وحوار المستقبل**، مرجع سبق ذكره، ص 56.

(20) طه عبد الرحمان، **الحق العربي في الإختلاف الفلسفي**، مرجع سبق ذكره، ص 66.

(21) عبد الوهاب المسيري، **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**، مرجع سبق ذكره، ص 126.

(22) استفتاء من أجل دستور أوروبي (**حوار في الفلسفة والسياسة – حوار مع الفيلسوف الألماني، يورغن هابرماس**–)، ترجمة محمد الأشهب، المغرب، www.annaba.com

الدراسات النفسية والتربوية

تطور بنية العائلة الجزائرية وفق مفهومي العمودية والأفقية

الأستاذ الدكتور: نصر الدين جابر، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحث: خيذر عمارة ، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

سنحاول في هذا المقال تتبع تطور العائلة الجزائرية بداية من المرحلة قبل الاستعمارية إلى غاية الآن، معتمدين على باحثين نذكر منهم **لهواري عدّي، مصطفى بوتفنوشت، نور الدين طوالبي- ثعالبي وبيير بورديو** (Pierre Bourdieu).وسيتم تناول هذا التطور ضمن مفهوم نسقي يتمثل في "البنية" (La structure) ووفق مفهومي العمودية والأفقية، كي نصل في الأخير إلى تحديد خصائص العائلة جيدة البنية.

Abstract:

We're going through this article, follow the evolution of the Algerian family since the pre-colonial phase until today, referring to researchers as Lhouari Addi, Boutefnouchet Mustafa, Nour Eddine Toualbi-Thaâlibi and Pierre Bourdieu.

Please note that our conception of the Algerian family will also be treated according to the systemic concept of "structure" and the notions of verticality and horizontality. To finally get to determine the characteristics of a well-structured family.

مقدّمة:

"لا وجود في الواقع لرضيع بمفرده"[1] « Mais un bébé seul, ça n'existe pas »، هذه العبارة صدرت عن **وينّيكوت** (Winnicott) سنة 1940 خلال اجتماع علمي للجمعية البريطانية للتحليل النفسي؛ ويؤكد من خلالها على أنه لا يمكن دراسة وفهم الرضيع إلا من خلال السياق العام لوجوده، الذي يتطلب في هذه الحالة وجود الأم (البيولوجية أو البديلة).

من خلال نفس توجه **وينّيكوت** يمكن القول أيضا أن العائلة لا وجود لها بمفردها في الواقع، وإنما هناك عائلة ضمن مجتمع. لذلك لا يمكن دراسة وفهم هذه العائلة إلا من خلال فهم السياق الاجتماعي الذي تتواجد فيه، أي المجتمع الذي تنتمي إليه هذه العائلة. وهذا ما يتوافق مع آراء **عدّي**[2] عندما يؤكد على أنه من الصعوبة بمكان فصل وعزل العائلة من المجموع الاجتماعي الذي تندرج فيه، وذلك لكونها أول منتج للمعنى وللرابطة الاجتماعية من خلال اللغة والثقافة اللتين تنقلهما إلى الأبناء.

لقد تم تناول دراسة العائلة من وجهات نظر مداخل معرفية متعددة، نذكر منها على وجه الخصوص الأنثروبولوجية، الإثنوغرافية والسوسيولوجية؛ غير أننا سنحاول هنا التطرق إلى مفهوم تطور بنية العائلة الجزائرية معتمدين بالإضافة إلى المقاربة السوسيولوجية، على مقاربتي النسقية (Systémique) والتحليل النفسي (Psychanalyse). فمن وجهة النظر السوسيولوجية إن دراسة وفهم العائلة يمر حتما بدراسة وفهم المجتمع، فمهما كانت دقة وقيمة أي دراسة للظاهرة العائلية، فإنه لا يمكنها أن تدّعي قدرتها على تفسير الحركية والتفاعلات داخل هذه العائلة من دون وضعها في سياقها الاجتماعي.

انطلاقا من نفس الرؤية السابقة فإننا من أجل تناول بنية العائلة الجزائرية في هذا المقال، سنقوم أولا بتقديم نظرة حول المجتمع الجزائري بداية من المرحلة قبل الاستعمارية إلى الوقت الحالي معتمدين على دراسات باحثين من بينهم **نور**

الدين طوالبي – ثعالبي، لهواري عدّي، مصطفى بوتفنوشت وبيير بورديو (Pierre Bourdieu). كما نرى أنه من الضروري في البداية توضيح مفهومي العمودية والأفقية، حتى تتوضح أكثر المفاهيم اللاحقة الخاصة بالمجتمع الجزائري وبنية العائلة الجزائرية.

1 . مفهوما العمودية والأفقية:

في البداية يجب التأكيد على أن هذين المفهومين لا يختصان بعلم النفس فقط، وإنما هناك مجالات وتخصصات أخرى تم استعمالهما فيها، ففي الأدب مثلا نجد الكاتب اللبناني **أمين معلوف** في كتابه "الهويات القاتلة" يصرّح على أنه يودع لدى كل فرد منا نوعان من الإرث، أحدهما عمودي: يأتيه من الآباء، من تقاليد شعبه ومن طائفته الدينية؛ والآخر أفقي يأتيه من عصره، وممن عايشوه[3].

وإذا رجعنا إلى الدراسات السوسيولوجية، السيكولوجية، السيكوسوسيولوجية أو الأنثروبولوجية، فإننا نجد أن مفهومي العمودية و الأفقية قد استعملا في العديد من الأبحاث التي تناولت دراسة العائلة. وكانا يعبران دوما عن نوعية العلاقات السائدة بين أفراد العائلة، حيث أن مفهوم العمودية كان يرمز إلى العلاقات العمودية والتي كانت تعني بدورها تلك النوعية من العلاقات التي تربط بين الآباء من جهة والأبناء من جهة ثانية؛ بينما مفهوم الأفقية كان يرمز إلى العلاقات الأفقية والتي كانت تعني تلك النوعية من العلاقات التي تربط بين الإخوة فيما بينهم.

بما أنّ مفهوم العائلة يتناول تلك العلاقات التي تُنظم على المستويين العمودي والأفقي، أي بين الآباء والأبناء وبين الأبناء فيما بينهم؛ فإننا ارتأينا الرجوع إلى هذين المفهومين طوال هذا المقال في دراستنا لتطور بنية العائلة الجزائرية، إلا أننا لن نتوقف عند حدود العمودية والأفقية، وإنما سنتجاوزهما لنصل إلى تحديد العائلة جيدة أو سيئة البنية انطلاقا من هذين المفهومين.

إذا عدنا إلى بدايات التحليل النفسي، فإننا نلاحظ سيطرة مفهوم العمودية عند **فرويد**؛ وكمثال على ذلك رسالته لصديقه **فليس**(Fliess) (في المخطوطة A بدون تاريخ في نهاية (1892) شرح فيها فكرته حول "النروتيكا" (La neurotica) حيث أوضح أن الأمر يتعلق بصدمة جنسية يتعرض لها الطفل قبل سن الرشد من قبل قريب راشد. إذن يتعلق الأمر بشيء يحدث على مستوى لا تماثلي (Asymétrique) بين شخصين يختلفان في السن والنضج وهذا ضمن علاقة عمودية بحتة. حتى وإن تخلى **فرويد** بعد ذلك عن "النروتيكا" في رسالة أخرى كتبها لـ**فليس** بتاريخ 21- 09- 1897 يخبره فيها أنه لم يعد يعتقد بفكرته السابقة "يجب أن أفضي إليك بالسر الكبير الذي انكشف لي ببطء خلال هذه الأشهر. أصبحت لا أؤمن إطلاقا بالنروتيكا. إلا أنه لم يتخل كليا عن الفكرة الأساسية لنظريته، بل كل ما قام به **فرويد** هو تحويل المشهد العمودي من مشهد واقعي إلى مشهد هوامي[4].

إن مفهوم العمودية لم ينقطع ولو للحظة من الفكر الفرويدي، إذ يتواجد هذا المفهوم في التقنية العلاجية التي تعتمد على قوة نفوذ المعالج وقدرته على التأثير في المفحوص، العلاقة التحويلية والتي لها علاقة بوضعية معاشة في مرحلة الطفولة وصلة اللاتماثل بين المُحلِّـل والمُحلَّـل. كما يتواجد هذا المفهوم أيضا في تاريخ تطور التحليل النفسي ومؤسساته، ويشهد على هذا الصراع الدائر بين **فرويد** ومساعديه وتلامذته.

فيما يخص مفهوم الأفقية فإنه لم يأخذ مكانة مهمة في التحليل النفسي الفرويدي، ماعدا بعض المحاولات البسيطة في حياة **فرويد**، وهذا راجع لمقاومته ضد كل ما يمسّ بالنواة الصلبة للتحليل النفسي والذي يتمثل في الأوديب، هذا الأخير الذي يمثل مفهوم العمودية بامتياز. وسنذكر بعض المحاولات التي قام بها تلامذة **فرويد**، الذين نظّروا ضد مفهوم العمودية؛ من بين هؤلاء **آدلر** (Adler) و**فيرنتزي** (Ferenczi)، فالأول ابتعد عن النظرية الفرويدية لكونه لم يتقبل فكرة

إعطاء **فرويد** مكانة كبيرة لعقدة الأوديب في نظريته كمنظم للحياة النفسية، وبحث عن معنى آخر للحياة، للعمل النفسي واختلالاته[5].

ففي علم النفس الفردي أعطى **آدلر** مكانة كبيرة لغريزة حب الجاه وحب الظهور وكل ما تولّده من عقدة نقص أو تفوق – والاستعلاء بالنسبة للآخرين في علاقة تماثلية. وكل المشاكل التي قد تصيبنا في حياتنا لها علاقة إما بموقفنا نحو المشابهين لنا، في المهنة، أو الحب، حيث أن كل هذه الأشياء تدور حول نظرتنا لأنفسنا وللعالم المحيط بنا[6]. كل هذه الاعتبارات تنتمي لما أسماه **آدلر** بتطور الإحساس الاجتماعي؛ وهنا تتجلى أولوية النظرة الأفقية في نظرية **آدلر**.

أما **فيرنتزي** فقد تطرّق إلى المفهوم الأفقي فيما يتعلق بالإطار العلاجي وذلك لرفضه ما أسماه **فرويد** بالحياد أثناء العلاج . بالنسبة لـ**قرين** (Green) فإن موقف الحياد الذي اتخذه **فرويد** كان أحد الأسباب التي أدّت إلى ردّة فعل **فرنتزي** والتي ألحقت الضرر بمفهوم العمودية في النظرية الفرويدية. السبب الآخر تم شرحه من قبل **فرنتزي** عام 1932 في كتابه "غموض اللغة بين الراشدين والطفل" (Confusion de langue entre les adultes et l'enfant) أين حاول **فرنتزي** شرح التحويل على أساس كونه أحد أشكال التكرار الناجم عن الصدمة الطفولية. وهذه الصدمة تكون ناجمة عن اعتداء نفسي، أي عدم فهم لغة الأطفال أوالتبعية المفرطة لرغبات الأولياء أو أيضا الحرمان من الحب؛ وهذا لجهل الأولياء لرغبات الطفل[7].

وبهذا فإن الحياد الموجه نحو تحويل المفحوص أثناء العلاج يعتبر كحادث صدمي ثاني يحدث أثناء النكوص، واختلاط اللغة الذي عاشه المفحوص أثناء طفولته اتجاه الراشدين يتكرر ثانية في العلاج التحليلي عند مواجهته حياد المحلّل النفسي. حسب **فرنتزي** فالحياد الذي يتبناه المحلّل النفساني سيعقد الأمور وسيحفز ظاهرة التكرار المرضي أثناء العلاج، وهذا ما يعني المقاومة وفشل سير العلاج. هذا التفسير جعل كل من **فرنتزي** و**رانك** (Rank) يعوّضان تقنية الحياد بتقنية أكثر فعالية أثناء العلاج والتي تفترض أن يكون حضور وتدخلات المحلّل النفساني أكثر

توجيها وهذا ما سيمنع ظهور العصاب التحليلي ومعاودة معايشة البعد العمودي للأوديب[8].

2 . نظرة حول خصائص المجتمع الجزائري:

كما ذكرنا سابقا فإنه لدراسة وفهم البنية العائلية، فلا بد من فهم البنية الاجتماعية حيث تأخذ العائلة من هذه الأخيرة معطياتها ومواردها؛ وتتم هذه العملية من خلال نشاط وديناميكية التفاعل بين الفرد وعائلته ثم بين الأسرة والمجتمع بمعناه الواسع. وهذا ما يؤكده **عدّي** حيث يرى أنه من الصعب فصل وعزل العائلة عن المجتمع الذي انبثقت منه، فهي المنتج المباشر للمعنى والروابط الاجتماعية عن طريق اللغة والثّقافة التي تنقلها للأطفال[9].

نظرا لهذه الاعتبارات كان لابد علينا الرجوع إلى خصائص المجتمع التي من خلالها تطورت العائلة الجزائرية؛ علما أننا سنحافظ خلال تقديمنا لهذا الجزء من المقال على نفس النظرة التي سنعالج بها القسم الذي يخص البنية العائلية وهذا حسب مفهوم العمودية والأفقية.

لقد كان الواقع الاجتماعي أثناء مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي يتّسم بازدواج نمط الحياة الحضري والبدوي، غير أن الحياة الحضرية لم تكن بالمعنى المتعارف عليه حاليا، بل ريفية إلى حد كبير، بحيث أن البلد ريفي مع وجود دائم لتجمعات سكنية حضرية. وتعتبر القبيلة بمثابة الإطار الاجتماعي السياسي داخل المنطق الاجتماعي؛ ذلك أن نمط السكن، وعدم جواز تقسيم أرض الجماعة القبلية النابع من إرادة المجموعة في التكيف مع المعطيات الطبيعية، كل ذلك يثبت وجود نظام يمفصل بنى لا معنى لها إلا داخل منطق هذا النظام، الذي هو المنطق الاجتماعي[10].

كما ساد المجتمع الجزائري في ذلك الوقت تطور ثقافي، يعود إلى بقاء التعليم حرّا من سيطرة الحكام والدولة؛ فقد كان سكان كل قرية ينظمون

بطرقـهم الخاصة ووسائـلهم الذاتـية تعلـيم القرآن الكريم والحديث والعلوم الإسلامية[11].

غير أنه مع بداية الحقبة الاستعمارية أصبح المجتمع الجزائري خاضعا لثقافتين مختلفتين، أولها ثقافة جزائرية تقليدية وهي التي كانت سائدة في المجتمع قبل الاستعمار، وثقافة أوروبية غربية جاء بها المستعمر الفرنسي، ألصقت بها الكثير من الدراسات خاصة الأنثروبولوجية منها صفة الحداثة.

إن التقاء هاتين الثقافتين – الجزائرية التقليدية والفرنسية الغربية الحديثة – لم ينتج عنه تحديث للثقافة الجزائرية التقليدية من قبل الثقافة الغربية الحديثة، بل حدث تصادم بينهما ولعل من بين أسباب هذا التصادم هو أن الالتقاء أو الاحتكاك بين الثقافتين لم يكن طبيعيا ولا إراديا، بل كان بصورة قهرية، بقوة السلاح وبقانون القوة؛ وهذا ما ينتج عنه حسب **باستيد** (Bastide) "ظاهرة تثاقف" دون اكتساب خصائص ثقافية (Phénomène d'acculturation)[12].

رغم محاولات بعض الدراسات خاصة الأنثروبولوجية منها إظهار جوانب إيجابية للاستعمار الفرنسي للجزائر وللاستعمار بصورة عامة، كالتحضر، التمدن والحداثة. إلا أن الاستعمار يبقى استعمارا ترفضه الطبيعة البشرية السوية رفضا مطلقا؛ فمن يحاول تبرير الاستعمار أو إبراز بعض "محاسنه" (إن وجدت)، كمن يتباهى بذكر تحلية قطعة سكر لماء المحيط المالح، أو كمن يضيف عسلا إلى جرعة سمّ قاتل طمعا في تحلية مذاقه، فإنه لن يحوله إلى عسل بل يبقى هذا السمّ سمّا قاتلا لكل من يتناوله.

بعد الاستقلال أخذ التحديث معنى آخر يختلف عن ذلك الذي أخذه خلال المرحلة الاستعمارية، فالتحديث لم يعد مفروضا من قبل الثقافة الفرنسية الاستعمارية، بل أصبحت تضطلع به الدولة الجزائرية الوطنية. غير أن هذه العملية لم تكن بدون مشاكل حيث يرى **طوالبي- ثعالبي** في تحليله للمجتمع

الجزائري أن هناك مشاكل عرفتها بلدان المغرب العربي بعد الاستقلال على غرار المغرب، الجزائر وتونس، لها علاقة بالتناقض والغموض في الهوية[13].

إن المجتمع الجزائري وجد نفسه بعد الاستقلال في وضعية تحوّل سريع، ومحصورا بين ثقافتين مختلفتين ومتضادتين، ولهذا كان لزاما عليه تطوير نظام التكيّف التوفيقي (Système d'adaptation syncrétique)؛ ودائما حسب **طوالبي- ثعالبي** فإن هذا المذهب التوفيقي كشف عن انتقال المجتمع الجزائري التقليدي المشبّع بالثقافة الإسلامية إلى مجتمع عصري يرمز للأيديولوجيا الغربية، بحيث يكتشف الفرد فيه أنه مقتلع من جذوره "Déraciné" بصفة مضاعفة. بالنسبة للثقافة الجديدة التي لم يستطع بعد تقبّل القواعد الزمنية التي تفرضها عليه من جهة؛ ومن جهة أخرى فهو لن يجد القيم الأمنية القديمة التي لم يعد يتقاسمها، هذا ما يولّد الشعور بالتشوّه في الهوية والاقتلاع من الجذور الثقافية[14].

قبل المواصلة في مناقشة خصائص المجتمع الجزائري بعد الاستقلال لابد أن نشير إلى كون الثقافتين المتضادتين اللتين تكلم عنهما **طوالبي- ثعالبي** والمتمثلتين في الثقافة الجزائرية التقليدية والثقافة الغربية الحديثة بنموذجها الاستعماري، لا تتعدى كونهما ترمزان لمفهومي العمودية والأفقية. لذلك فالمجتمع التقليدي يمثل العمودية والمجتمع الحديث يمثل الأفقية.

إن هذا الشعور بالتشوه في الهوية والاقتلاع من الجذور الثقافية أدخل المجتمع الجزائري في تناقض أفقده تجانسه (Homéostasie)، ويرجع **طوالبي- ثعالبي**[15] و**عدّي**[16] أسباب ذلك إلى كون البنية - مهما كانت متجانسة - فإنها عندما تعيش تحولات يمكنها أن تعرف اضطرابات وهذا لكونها تقوم بإعادة الترتيب والرّبط بين مختلف العناصر المكونة لها، فالتغيير يغذّيه حاجة المجتمع إلى التطور والإثراء لكنه يتميز بأزمة الانتقال. ولكي ينتقل المجتمع من مستوى تطوري إلى آخر عليه أن يتحمل الانفتاح في محيطه وحدوده حتى يترك المجال لعناصر أخرى تنتمي لثقافات أخرى والتي تعتبر ضرورية في إثراء ثقافته الأصلية؛ هذه المرحلة التحّولية تدعى بـ"ظاهرة التحوّل الثقافي".

يرى **عدّي**[17] أن هناك أسباب أخرى ساهمت في وضعية التناقض الثقافي وأزمة الهوية التي وجد المجتمع الجزائري نفسه فيها بعد الاستقلال مباشرة من أهمها النزوح الريفي، إذ يؤكد على أن القطيعة الحقيقية مع النظام العمودي ظهرت بعد الاستقلال الذي شجع الهجرة من الأرياف إلى المدن، وهذا ما أدى إلى تدهور المجتمع بصفة أخطر ممّا كان عليه وهو تحت وطأة الاستعمار.

لقد ألقينا في هذا الجزء نظرة مختصرة عن بعض خصائص المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة وذلك من أجل مساعدتنا أكثر على فهم خصائص العائلة الجزائرية، هذا المفهوم الذي سنتناوله في الجزء الموالي.

3. تطور بنية العائلة الجزائرية:

لا يمكن الوقوف على حجم وعمق التحولات التي طرأت على بنية العائلة الجزائرية المعاصرة وطبيعة العلاقات بين أفرادها ودور كل واحد منهم دون الرجوع إلى الخصائص السوسيوثقافية للعائلة التقليدية؛ وهذا ما يذهب إليه **سلاطنية ومالكي**[18] حيث يؤكدان على أنه لا يمكن معرفة التحولات التي عرفتها الأسرة الجزائرية المعاصرة دون الإلمام بالخصائص السوسيولوجية للعائلة أو الأسرة التقليدية. لذلك فإننا سنعود إلى مختلف الدراسات والبحوث التي تناولت الأسرة الجزائرية التقليدية رغم قلتها، كما أننا سنتناول هذا العنصر الخاص ببنية العائلة الجزائرية وفق مفهومي العمودية والأفقية.

لقد عرّف **بوتفنوشت**[19] العائلة الجزائرية التقليدية على أنها عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد، الدار الكبرى عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا.

ولقد أجمع كل من درس الثقافة الجزائرية على أنها تتميّز بالتنظيم وفق مفهوم العمودية، إذ يتعلق الأمر بـ" ثقافة النظام الأبوي (La culture patriarcale) الذي ينظم العلاقات داخل العائلة، والذي تحت شعاره يجتمع وينتظم الأفراد في

الإطار العائلي. كما ينظم كل أنواع المعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[20]. وما يميز هذه الثقافة هو أن الأب أو رب العائلة يمثل القانون، الحقيقة وكل ما هو مقدس؛ و ذلك لكونه يحتّل مكانة عالية (لا تماثلية) مقارنة بأفراد أسرته؛ فهو ملزم بتحمل أعبائهم، حمايتهم، وتأمينه لهم مكانا في المجموعة؛ وفي المقابل يطلب منهم الاحترام، الطاعة وحتى التقديس. في هذه الوضعية يتبع الأب ويطاع حتى وإن كان على خطأ. وبالتالي كل ماله علاقة بالديمقراطية، استقلالية الفرد، حرية التعبير والنقد، فهو مرفوض ويعتبر جحودا وارتدادا. من هذا المنظور فأفراد المجموعة لا يمكنها رؤية نفسها خارج الفائدة العامة للمجموعة، التي تتماشى فائدتها مع فائدة رب العائلة.

وفي نفس الوقت فإن العائلة في المجتمع التقليدي لا تتمتع بالحرية الكافية في اختيار طريقة حياتها، إذ يستوجب عليها إتباع وطاعة رب الجماعة (المجموعة العائلية أو القبيلة) وكل محاولة للمقاومة أو النقد تُؤوّل على أنها رفض للخضوع لإرادة المجموعة، يعني لإرادة الحاكم. هذه الوضعية يمكنها أن تكلّف هذه العائلة الطرد وسحب الاعتراف بكل ما يحمله من آلام مادية ونرجسية.

إذا ما تتبعنا تطور العائلة الجزائرية بنفس المنظور الذي تناولنا به تطور المجتمع الجزائري أي من المرحلة قبل الاستعمارية إلى الآن، للاحظنا أن في المرحلة قبل الاستعمارية أين كان المجتمع الجزائري تقليديا كانت أيضا العائلة الجزائرية من النوع التقليدي تماما حسب التعريف الذي قدّمه **بوتفنوشت**، ورغم التدمير الذي أحدثه المستعمر في المجتمع بعد دخوله، بقيت العائلة الجزائرية متمسكة بدينها وتقاليدها؛ وبالتالي استمرار العائلة التقليدية. إن تمسّك الجزائري المفرط بالدين والتقاليد في ذلك الوقت لم يكن اختيارا فقط بل كان قضية حياة أو موت، فهذا التمسّك فقط هو الذي سيمنحه القوة لمقاومة المستعمر وسيحفظه من الزوال والاندثار. وبالفعل استطاع الجزائري الحصول على حريته بعد تضحيات جسام.

إذن مع زوال خطر الاندثار بزوال الاستعمار الغاشم هل استمر الجزائري في المحافظة على تقاليده بنفس الرغبة التي كانت سابقا؟ أي هل بقيت العائلة الجزائرية التقليدية مستمرة حتى بعد الاستقلال؟

من خلال الدراسة الميدانية التي أجراها **بوتفنوشت** نهاية السبعينات من القرن الماضي في كل من الجزائر، وهران وعنابة أين وجد أن نسبة العائلات المحدودة تتساوى تقريبا مع نسبة العائلات المركبة وهي 51,3 ٪ و48,7 ٪ على التوالي؛ والدراسات الميدانية التي أجرتها **أوصديق** سنة 1988 م بالجزائر العاصمة، يمكن تصنيف بنية العائلة الجزائرية حينها إلى نمطين: نمط العائلة النووية وتتشكل من الأب، الأم والأطفال؛ ونمط العائلة المركبة والتي تتشكل من عدة أزواج (Couples) مع الأطفال[21].

نستنتج من دراسات **بوتفنوشت** و**أوصديق** المشار إليها سابقا أنه حدثت تحولات في بنية العائلة الجزائرية بعد الاستقلال، حيث أنها لم تبق عائلة تقليدية موسعة حسب تعريف **بوتفنوشت**، بل تحولت إلى نمطين مختلفين، تمثل الأول في بنية عائلية محدودة (عائلة نووية)، والثاني في بنية عائلية مركبة. غير أن هناك دراسات أخرى ترفض هذا التصنيف ولا تقر بتحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي، إذ ترى هذه الدراسات أنه حتى وإن لاحظنا أن العائلة الجزائرية بعد الاستقلال، لم تعد تحوي نفس عدد الأجيال كما كان الحال سابقا في العائلة التقليدية، إلا أن ذلك لم يجعل حجمها يتقلص بدرجة يسمح لها بالتحول من العائلة الممتدة (الموسعة) إلى العائلة المحدودة (النووية).

ومن بين هذه الدراسات تلك التي قامت بها **لوراس- لوكو** (Lauras-Locoh) حيث أنها عند مقارنتها لمعطيات التعداد السكاني في الجزائر بين عامي 1966 و1977 لاحظت أن متوسط حجم العائلات الجزائرية انتقل من 5,9 إلى 6,6 أفراد على التوالي. مما جعلها ترفض فكرة تحوّل العائلة الجزائرية إلى النمط المحدود (عائلة نووية). وهي ترى أن العائلة الجزائرية تتحول إلى عائلة نووية موسعة، تتشكل من نواة عائلية مركزية ينضم إليها أفراد آخرون من الأقارب[22].

وإذا عدنا إلى التحقيق الميداني الذي أنجزته المديرية التقنية المكلفة بالإحصاءات الاجتماعية والمداخيل عام 2011 نلاحظ أن متوسط حجم العائلة الجزائرية على المستوى الوطني هو 06 أفراد، وهو قريب من الرقم المتحصل عليه في إحصاء 1977 الذي هو 6,6، كما أن نسبة العائلات الجزائرية التي لا تحتوي على أي شخص يقيم معها في نفس البيت وهو ليس من أفرادها هي 9,8 ٪ فقط، بينما نسبة العائلات التي تحتوي على الأقل على شخص واحد هي 90,2 ٪[23]، وهذا ما يعزّز الفكرة السابقة والتي ترى أن العائلة الجزائرية تتحول إلى عائلة نووية موسعة، تتشكل من نواة عائلية مركزية ينضم إليها أفراد آخرون من الأقارب.

من بين الأسباب المقدمة لشرح ظاهرة عدم تحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي هي أزمة السكن، وما يدعم هذا الطرح هو أنه لوحظ أن أغلب الشباب الجزائري بعد الزواج يبقى في البيت العائلي ولا يستقل بسكن خاص به. كما أن هناك عائلات في المناطق الحضرية تقوم بإيواء أفراد من الأقارب جاءت من الريف أو القرية أو مدينة أخرى بحثا عن العمل. وفي حالة قيام الأم بعمل خارج البيت ونظرا لقلة الهياكل الخاصة باستقبال الأطفال كالروضات، فإن العائلة تضطر إلى استقبال وإيواء أحد الأقارب كالعمة، الخالة أو الجدة للتكفل بالأطفال أثناء عمل الأم.

كما يعتبر تأخر سن الزواج من بين الأسباب الأخرى المقدمة حول عدم تحول العائلة الجزائرية إلى النمط النووي. وبالفعل فإن الشباب عادة ما يجبرون على البقاء مع أوليائهم بسبب مواصلة دراستهم العليا أو بسبب البطالة التي يعانون منها. وتؤكد **سيغالن** (Segalen) على أن استمرار هذا النوع من البناء العائلي، لا يعني بأي حال من الأحوال استمرار لوضعية سابقة أي الاستمرار في المحافظة على العائلة التقليدية الموسعة بل بالعكس هو مؤشر على أزمة اقتصادية واجتماعية[24].

إن الجزائر مثلها مثل بقية الدول النامية لم تنج من مختلف التحولات التي تعرضت لها بعد الاستقلال كالنزوح الريفي وآثار التصنيع. هذه التحولات قد

أثرت أيضا على التنظيم العائلي. حيث بينت دراسة **بوتفنوشت**[25] أن البطريقية لم تعد تبدو بنفس المظهر بل أصبحت رمزية فقط. فالأب وبدرجة أقل الجد، لم يعد المالك الوحيد للسلطة مثلما كان عليه منذ وقت قريب. القرارات العائلية أصبحت تتخذ بصورة تشاورية مع الأم (خاصة إذا كانت موظفة) أو مع الأبناء البالغين.

تؤكد **فران** (Graine) على أن هناك مجموعة من الملاحظات يجب أخذها بعين الاعتبار للتمكن من فهم العائلة الجزائرية، فكما أنها متأثرة بالثقافة الإسلامية وبالفضاء المتوسطي أين يسود النظام البطريقي، فهي أيضا متأثرة بسلسلة التغيّرات والتحولات التي أصابت الدول النامية مثل: النزوح الريفي، النمو الديمغرافي وأزمة السكن. ومن وجهة نظرها دائما فإن العائلة الجزائرية لا تجد مكانا لها في النظرة السوسيولوجية التقليدية التي توزع المجموعات السكنية وفق حجمها، من أجل الوصول إلى تصنيف بسيط: "عائلة ممتدة" و"عائلة نووية". وإذا ما استعرنا عبارة (Lauras-Locoh) بخصوص العائلة الإفريقية.

يمكن القول أن العائلة الجزائرية "تصنع الجديد من القديم" "Fait du neuf avec du vieux". نلاحظ بالفعل بروز عائلات مركبة أو عائلات في نصف الطريق بين العائلات الممتدة والضيقة، ميزتها المحافظة على سلوكات التعاون والتضامن بين الأجيال، واستمرار المثل الأعلى للخصوبة المرتفعة ولعديد من السلوكات الأخرى التي كان من المنتظر أن تزول وتختفي. لذلك فإن العائلة الجزائرية تقاوم التغيير[26].

رغم مقاومة العائلة الجزائرية التقليدية للتغيير – حسب وجهة نظر **فران** – فإن **سلاطنية ومالكي** يريان أنه رغم ذلك حدثت تحولات وتغيّرات في بنيتها، نتج عنه بنى أسرية يغلب على بعضها طابع الحرية والتفتح ونبذ التقاليد والعادات؛ وبنى أخرى تميل للمحافظة على التقاليد ورفض المعايير الجديدة، وبنى أسرية أخرى تأقلمت مع نمط المعايير الجديدة مع الاحتفاظ بمجموعة من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والدينية[27].

أما إذا عدنا إلى مفهومي العمودية والأفقية فإن **مكيري**[28] يصنف العائلة الجزائرية المعاصرة وفق هذين المفهومين إلى:

1.3 عائلة أحادية المنظور:

هذا النوع من العائلة إما أنه انغلق على نفسه في العمودية باختياره الرجوع إلى الثقافة التقليدية التي تعمل على إزالة الثقافة الدخيلة؛ وإما أنه تبنى التمرد ضد الشخصيات العمودية، المتهمة بكونها سببا في الاختناق ونقص الحرية والفقر الفكري؛ والانفتاح الكلي على الثقافة الجديدة التي تمثل العلم والعالمية، التطور والتمدن. هذه الأخيرة أرادت محو كل ما له علاقة بالأصل، الدين والتقاليد. وحسب **بوتفنوشت**[29] فإن هذا النظام العصري أحدث قطيعة مع التقاليد لكي يرسّخ المفهوم العقلاني في نظرته للعالم وللحياة، وكأنه تعمّد تعميق الهوّة بينه وبين الأنظمة السابقة.

2.3 عائلة ثنائية المنظور:

وهي العائلة التي تحمل المنظور العمودي والأفقي في نفس الوقت، نستطيع هنا التفريق بين نوعين من التوظيفات التي تنتمي لهذا المنظور:

- **عائلة عمودية - أفقية توافقية:** هذا النوع من العائلات، حاول الخروج من النظام التقليدي الذي ميّز المجتمع الجزائري التقليدي؛ والدخول في النظام المعاصر الذي جاءت به العولمة تحت اسم الحضارة والتحضّر؛ إلاّ أنّ هذه العائلات لم تتمكّن من اللّحاق بهذا الأخير وفي نفس الوقت فقدت مقوّمات النظام التقليدي؛ وبالتالي وجدت نفسها منحصرة بين النظامين المتناقضين، هذه الوضعية جعلتها تعيش في أزمة تحوّل دائمة.

- **عائلة عمودية - أفقية منسجمة:** تعرف هذه العائلات بكونها لم تشهد نفس التجارب التي شهدتها العائلات السابقة، إذ أنها لم تفرض عليها نفس الضغوطات، يعني أنها لم تتعرّض لنفس العوامل التي كانت وراء ظهور العائلة

التوافقية كالهجرة الريفية والتعلّق المفرط للجزائريين بالثقافة التقليدية والدينية إلى حد رفض كل تسوية.

يوضح كل من **بوتفنوشت**[30] **وعدّي**[31] أن هذا النوع الأخير من العائلات رغم أنه كان يعيش في الجزائر إلاّ أنه أخذ الوقت الكافي للتأقلم مع ظاهرة التغيّر ومواكبة العولمة. فبطريقة غير مقصودة كانت تلك العائلات تعيش وفق المنظور الاجتماعي الأفقي دون أن تنسى كونها تنتمي إلى مجتمع يسيّره المنظور العمودي؛ وكذلك دون أن تتخلّى عن عموديتها أي عن دينها وتقاليدها. لقد أخذت هذه العائلات الوقت الكافي للتأقلم والتكيّف مع مناخ يحدّده احتكاك الثقافتين والاستفادة من كليهما على حدّ سواء؛ فما قامت به هذه العائلات هو نوع من التغيّر وليس تحوّل، بحيث أنها حافظت على ميزات الثقافة العمودية باحترام التقاليد والتمسّك بالدّين؛ وفي نفس الوقت انفتحت على الأفقية بالمساواة في المعاملات بين أفراد العائلة وأفراد المجتمع.

بعد تناولنا للبنية العائلية وفق منظوري العمودية والأفقية سنعمل من خلال هذين المفهومين على تحديد خصائص العائلة جيدة البنية؛ والتي لا تتحقق إلا بحضور العمودية والأفقية في العائلة، ونوضّح ذلك في النقاط التالية:

✓ **حضور البنية العمودية:** هذه البنية معرّفة بالزوج (الأب والأم) في نظر الطفل. وبالتالي نتحدث عن الوظيفة الأبوية أو الأمومية والتي يمكن أن تضمن من قبل شخص آخر غير الأم أو الأب البيولوجيين مثل (الخالة، العمة، الجدة أو الحماة...) أو (الخال، العم، الجد أو الحمى...).

✓ **حضور العلاقات وسط البنية العمودية:** نؤكد هنا على أنه لا يكفي حضور الوظيفة العمودية، بالنسبة للطفل ولكن يجب أن يكون هناك علاقات، ممر وروابط بين الوظيفتين(الأبوية والأمومية). عندما نقول روابط، نقول أيضا حدود، وهذا ما يعني ضرورة وجود أفكار (بخصوص الطفل) والتي يتم مناقشتها بين الوظيفتين.

هذا ما يجعل كل وظيفة داخل العائلة تدرك أنه هناك أشياء داخل الأسرة تفوقها وتخفى عنها.

- **حضور البنية الأفقية:** والمقصود هنا بالأفقية الإخوة؛ ولكننا نتحدث عن الوظيفة الأخوية، أي بالإضافة إلى الأخ (من نفس الوالدين)، أخ (من أحد الوالدين)، أخ متبنى، وحتى ابن العم أو ابن الخال المتواجد دائما بالبيت والذي يتقاسم أشياء مع أفراد الأسرة. كل هؤلاء يمكنهم لعب دور الوظيفة الأفقية.
- **حضور العلاقات في وسط الوظيفة الأفقية:** نتحدث هنا عن الروابط والحدود، وبالتالي فإن كل أخ أو أخت تربطه علاقات بباقي الإخوة والأخوات؛ وفي نفس الوقت فإن كل واحد منهم يعلم أنه توجد علاقات مفضلة بين بعض الإخوة ويتقبل وجود هذا النوع من العلاقات.
- **حضور البنيتين العمودية والأفقية في نفس الوقت:** وهذا ما يبعث إلى بنية العائلة الكاملة، وهذا لكون وجود البنية العمودية دون الأفقية أو العكس يولد توظيفا مستقيما أي أحادي الاتجاه؛ وهذا النوع من التوظيف عادة ما يكون صلبا ولا يمتاز بتنوّع دفاعاته.
- **حضور العلاقة بين البنية الأفقية والعمودية:** هنا يمكننا الحديث عن الوظيفة البنيوية (la fonction structurante) للعائلة؛ تعرّف هذه الوظيفة بسلسلة من النشاطات تشكّل فيها العلاقات وتحترم الحدود؛ مع العلم أنه لا قيمة للعلاقة في ضلّ غياب الحدود.

خاتمة:

تشير جميع الدراسات التي تناولت العائلة الجزائرية أنها كانت خلال المرحلة قبل الاستعمارية عائلة تقليدية، من النمط الممتد حسب تصنيف علم الاجتماع، تخضع للثقافة البطريقية. ومع دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر بثقافته الغربية الاستعمارية ازداد تمسك الجزائري بهذا التنظيم العائلي التقليدي، حيث اعتبره الوسيلة الوحيدة التي تسمح له بمقاومة الزوال والاندثار وبالتالي الاستمرار في الوجود.

بعد الاستقلال في بداية الستينات، الجزائر مثلها مثل باقي المجتمعات النامية التي تحصلت على استقلالها حديثا، بدأت تحدث فيها تحولات عميقة أثرت على مختلف مناحي الحياة. رغم مقاومة العائلة الجزائرية التقليدية لتلك التحولات إلا أنها لم تبق محافظة على نفس النمط الممتد الذي كان معروفا سابقا، وفي نفس الوقت لم تتحول إلى النمط النووي، بتلك الخصائص التي يتفق عليها السوسيولوجيون. لذلك ظهرت تصنيفات جديدة مثل عائلة نووية موسعة، عائلة مركبة وعائلة متحولة لتعريف العائلة الجزائرية المعاصرة.

ومن أجل فهم أكثر للعلاقات بين أفراد العائلة تم اللجوء إلى مفهومي العمودية والأفقية، ومن خلالهما تم تقديم العائلة الجزائرية التقليدية على أنها عائلة تخضع للمفهوم العمودي، ومن أجل أن تكون العائلة جيدة البنية يستوجب عليها في نفس الوقت حضور الوظيفتين العمودية والأفقية دون غياب الحدود.

❖ **هوامش البحث:**

(1) Winnicott, D.W (1989). **L'angoisse liée à l'insécurité. (J. Kalamanovitch, trad.)**. *in De la pédiatrie à la psychanalyse* (pp. 198-202). Paris : Payot.

(2) Addi, L. (1999). *Les mutations de la société algérienne, Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine.* Paris : La découverte.

(3) Mekiri, K. (2011). *Adolescent et traumatisme de guerre : résilience et liens familiaux. Rôle des représentations familiales dans le processus de résilience.* Thèse de Doctorat en psychologie clinique et psychopathologie, Université de Rouen, Rouen.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

(6) Adler, A. (1975). *Le sens de la vie ; étude de psychologie individuelle.* Paris : Payot.

(7) Green, A. (1990). *La folie privée*. Paris : Gallimard.

(8) Mekiri, K. Op.cit.

(9) Addi, L. (1999). Op.cit.

(10) Addi, L. (1985). *De l'Algérie précoloniale à l'Algérie coloniale, Economie et société.* Alger : ENAL.

(11) خروف، حميد. (2002): **سياسة التنمية في الجزائر رؤية سوسيولوجية**. *مجلة الفكر السياسي*، (17)، 186 – 205.

(12) Cuche, D. (2010). *La notion de culture dans les sciences sociales* (4e éd.). Paris : Editions la découverte.

(13) Toualbi-Thaâlibi, N. (2001). L'identité au Maghreb : L'errance (2e ed.). Alger : Casbah éditions.

(14) Toualbi-Thaâlibi, N. (2001). Op.cit.

(15) Ibid.

(16) Addi, L. (1999). Op.cit.

(17) Addi, L. (1999). Op.cit. p. 21.

(18) سلاطنية، بلقاسم، ومالكي، حنان. (2012، مارس). **أساليب التربية المتغيرة في الأسرة الجزائرية.** *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، (01)، 65 – 86.

(19) Boutefnouchet, M. (1984). *La famille algérienne, évolution et caractéristiques modernes*. Alger : OPU.

(20) Addi, L. (1999). Op.cit. p. 12.

(21) Addi, L. (2005). Femme, famille et lien social en Algérie. *in* A. Kian-Thiébaut & M. Ladier-Fouladi (Ed.). *Famille et mutations socio-politiques. L'approche culturaliste à l'épreuve* (pp.71-88). Paris : éditions de la maison des sciences de l'Homme.

(22) Graine, L. M. (2006). *Etre une femme en Algérie, action sociale*. Thèse de doctorat en sociologie, Université Paris 8, S^{t} Denis (93), Paris.

(23) Office National Des Statistiques (2014). *Enquête sur les dépenses de consommation et le niveau de vie des ménages 2011. Dépenses de consommation des ménages algériens en 2011.* Collections Statistiques N° 183. Série S : Statistiques Sociales. P. 21.

(24) Graine, L. M. Op.cit.

(25) Boutefnouchet, M. (1979). *Les travailleurs en Algérie*. Alger : S.N.E.D.

(26) Graine, L. M. Op.cit.

(27) سلاطنية، بلقاسم، ومالكي، حنان. مرجع سبق ذكره. ص 66.

(28) Mekiri, K. Op.cit.

(29) Boutefnouchet, M. (2004). *La société algérienne en transition.* Alger : OPU.

(30) Boutefnouchet, M. (1984). Op.cit.

(31) Addi, L. (1985). Op.cit.

فاعلية برنامج إرشادي قائم على فنيات التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعياً

الدكتور: محمد على حسن إبراهيم
جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية

الملخص:

هدف البحث الحالى إلى التحقق من فاعلية استخدام برنامج إرشادي قائم على فنيات التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين ذوى الإعاقة السمعية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى، أعمارهم ما بين (14 – 16) عاماً، لديهم فقدان سمعى متوسط مابين(56-70) ديسيبل، وتم تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية، وبرنامج التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية ومقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية، واستخدم الباحث إحصائيا اختبار "ويلكوكسون" لاختبار دلالة الفروق للمجموعات المرتبطة.

Abstract:

Objective current research to verify the effectiveness of the use of a guiding program based on the techniques of communication kidney to improve the efficiency of mental life in a sample of adolescents with hearing disabilities, , they have (14-16) age, They have audio loss average between(56-70) dB, was applied efficiency psychological life scale, study tools included kidney outreach program to improve the efficiency of the psychological life of adolescents with hearing disabilities; and measure the efficiency of the psychological life of adolescents with hearing disabilities , The researcher used a statistical test "and Wilcoxon" to test the significance differences for groups associated.

مقدمة:

تعد قضية الإعاقة لدى المراهقين من أهم القضايا التي تشغل الساحة الدولية نظرا للعنصر البشري الأساسي المكون للمجتمعات والذي تعتمد عليه الدول لتحقيق التنمية الشاملة، فالمراهق المعاق سمعياً هو إنسان أولا ولديه إعاقة ثانيا، ولابد وان نهتم بما تبقي لديه من قدرات واستحداث الأساليب الاستفادة بهذه القدرات وتنميتها لتحويل هذه الفئة من عالة علي غيرها إلي ان تعول نفسها لتساهم في تنمية مجتمعها، وذلك بالنظر للقدرات المتبقية لديهم لتحويلها لطاقة ايجابية [21].

وهناك العديد من المشكلات التي تقابل المراهقين المعاقين سمعياً خاصة أن مرحلة المراهقة مرحلة عدم اتزان في الشخصية وتعتبر في حد ذاتها مشكله، كما يعانى المراهقون ذوى الإعاقة السمعية من عدم وجود علاقة تربط بينهم وبين أسرهم ومعلميهم لعدم وجود لغة حوار بينهم، علاوة على أن نظام التعليم الحالي لا يساعد على الحوار أو علاج مشكلاتهم، وحيث أن المعاقين سمعيا من المراهقين غير متصلين بالمجتمع المحيط تعد مرحلة المراهقة عند المعاقين سمعياً مرحلة انتقالية وفاصلة في تحديد شخصيتهم إما بالسلب أو بالإيجاب، لذا فإن تلك الفئة تحتاج إلى اساليب خاصة لاكتساب اللغة الاستقبالية والتعبيرية تختلف عن الفرد العادي [5] .

وهنا يبرز دور فنيات التواصل الكلى يهدف لوضع المراهقين المعاقين سمعياً في بؤرة الانتباه ومساعدتهم على التفاعل مع الآخرين، وجعلهم قادرين على التواصل والفهم من خلال تسهيل عملية التواصل اللفظى، وفتح قنوات تواصل رئيسية بالسرعة والفاعلية الممكنة وزيادة مستوى الانتباه، والتواصل مع استغلال البقايا السمعية, وهذا هو الهدف التربوي الأسمى للتواصل الكلى[3].

والنجاح في التواصل الكلى للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية مع المجتمع المحيط أكبر الأثر في رفع درجة كفاءة الحياة النفسية لهم حيث يؤدى ذلك إلى رفع درجة الاتزان الانفعالى لديهم وتنظيم إيقاع حياتهم وعلاقتهم الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين، فى

إطار من التفاؤل والثقة والسعادة، ويمثل ذلك مردود نفسي رائع على توافقهم الشخصي الذاتي [22].

مشكلة الدراسة

تنبع مشكلة الدراسة الحالية من خلال متابعة الدراسات النفسية الخاصة بالمراهقين ذوي الإعاقة السمعية، وكذلك من خلال الإطلاع على البحوث والدراسات السابقة التي تناولت برامج التواصل الكلى، وأخري تناولت كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية حيث توصلت هذه الدراسات إلى أن:

1- شخصية المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية تتأثر سلباً نتيجة القصور الوظيفي المسبب لإعاقتهم السمعية [13].

2- الإعاقة السمعية لدى المراهقين تؤثر سلباً على نموهم النفسي و توافقهم الاجتماعى واكتسابهم للمهارات الاجتماعية اللازمة لحياتهم [6].

3- رغم كثرة الدراسات المؤكدة على توافر الاضطرابات النفسية لدى المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية، إلا أن الخدمات العلاجية والإرشادية المقدمة لهم والقائمة على فنيات التواصل الكلى تكاد لا تذكر، وإهمال الاضطرابات النفسية لدى المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية، وتركها دون علاج يعقد المشكلة، فتتحول إلى اضطرابات نفسية واجتماعية خطيرة يصعب علاجها، ورغم أن العديد من الدراسات أكدت زيادة أعداد المراهقين المعاقين سمعياً كدراسة القطان والنجار وعبد القادر **(11) . (10) , (24)** .

4- إلا أنه توجد ندرة فى الدراسات العربية والأجنبية التى تناولت فاعلية البرامج القائمة على التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين المعاقين سمعياً، وعلى ذلك تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

1- إلى أي مدى يسهم التواصل الكلى فى تحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين المعاقين سمعياً، كما يقاس بمقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية المستخدم بالدراسة.

2- إلى أي مدى يسهم التواصل الكلى فى تحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين ذوى الإعاقة السمعية، بعد فترة المتابعة. كما يقاس بمقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية المستخدم بالدراسة.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن فاعلية برنامج يوظف أسلوب التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين ذوى الإعاقة السمعية، والوقوف على انسب فنيات التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في الكشف عن مدى حدوث الاضطرابات النفسية لدى بعض المراهقين ذوى الإعاقة السمعية ومستوي كفاءة وجودة الحياة النفسية لهم، ومن ثم إعداد برنامج يستخدم أسلوب التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين ذوى الإعاقة السمعية، وهذا الجانب ينطوي على أهمية كبيرة سواء من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية، فمن الجانب النظري: تسهم هذه الدراسة في زيادة رصيد المعلومات والحقائق عن مستوي كفاءة الحياة النفسية، ومدي حدوث بعض الاضطرابات النفسية لدى عينة من المراهقين ذوى الإعاقة السمعية، ومن الجانب التطبيقي: من خلال إلقاء الضوء علي الجوانب النظرية، تقدم الدراسة الحالية أساساً يمكن ان يقوم عليه تصميم برامج إرشادية وعلاجية توظف فنيات التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى المراهقين من ذوى الإعاقة السمعية، وكيفية تقديم الخدمات المناسبة لهم.

مصطلحات الدراسة

1- **التواصل الكلى** Total Communication

هو منهج خاص بـتعليم المعاقين سمعياً بهدف تطوير استخدام عدد من أشكال التواصل كلغة الإشارة والتفاهم بالفم ووسائل مساعدة مسموعة ومكتوبة ومرئية، اعتمادًا على الاحتياجات والقدرات الخاصة للمعاقين سمعياً [15].

وإجرائيا: هي الإستراتيجية التعليمية المركبة التي يتبعها الباحث مع المعاقين سمعيا، والتي تتخذ من الكلام وقراءة الشفاه ولغة الإشارة أساساً لعملية التواصل, مع تنمية الجزء المتبقي من السمع من خلال المعينات السمعية والتدريب السمعي.

2- الإعاقة السمعية Disability Hearing

هي المشكلات التي تحول دون أن يقوم الجهاز السمعي عند الفرد بوظائفه، أو تقلل من قدرة الفرد على سماع الأصوات المختلفة، وتتراوح الإعاقة السمعية في شدتها من الدرجات البسيطة والمتوسطة التي ينتج عنها ضعف سمعي إلى الدرجات الشديدة جدا والتي ينتج عنها صمم [25].

3- **مرحلة المراهقة Adolescence**

تشير إلى تلك الفترة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى الوصول إلى النضج، وهكذا يعرفها ستانفورد ، فالمراهقة إذاً تشير إلى فترة طويلة من الزمن، وليس لمجرد حالة عارضة زائلة في حياة الإنسان، فالمراهقة مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرجولة، وعلى كل حال يجب فهم هذه المرحلة على أنها مجموعة من التغيرات التي تحدث في نمو الفرد الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي [23].

وإجرائيا: المراهقون المعاقون سمعيا هم ذوى الإعاقة السمعية بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى, الذين تتراوح أعمارهم ما بين (14 – 16) عاماً، لديهم فقدان سمعي متوسط مابين(56-70) ديسيبل.

4- **كفاءة الحياة النفسية Psychological quality of life**

هي الإحساس الايجابي بحسن الحال كما يرصد بالمؤشرات السلوكية التي تدل على ارتفاع مستويات الرضا لدى الفرد عن ذاته وعن حياته بشكل عام وسعيه المتواصل لتحقيق أهداف شخصية ذات قيمة ومعني له، مما يسهم في بناء الفرد لحياته بصورة ايجابية، وإقامة علاقات اجتماعية متبادلة مستمرة مع الآخرين؛ وترتبط جودة الحياة النفسية بالإحساس العام بالسعادة والسكينة والطمأنينة [43].

الإطار النظري، والدراسات السابقة

تركز الدراسة الحالية على البرامج القائمة على فنيات التواصل الكلى وفاعليتها لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعياً، كمشكلة نفسية مركبة تحتل مكانة حساسة في مجال التربية الخاصة، وفيما يلي يعرض الباحث بعض الآراء والمفاهيم والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية من خلال أربع محاور رئيسة هي:

التواصل الكلى

هو مصطلح استخدم من أجل البحث عن تحول أساسي في الممارسات التعليمية في مدارس المعاقين سمعياً، لمواجهة الحقيقة الواقعة أن مستوى التحصيل الأكاديمي لدى معظم المعاقين سمعياً لا يمكن قبوله [9]

ويقوم التواصل الكلي على أساس استعمال جميع طرق الاتصال الممكنة والمناسبة لكل حالة من حالات الإعاقة السمعية، أي إعطاء كل معاق سمعياً فرصة تعلم جميع الأشكال الممكنة للاتصال سواء أساليب التواصل اللفظية أو اليدوية [1].

ويساعد التواصل الكلي على المزج بين توظيف البقايا السمعية للمعاقين إن وجدت وقراءة الشفاه ولغة الإشارة وأبجدية الأصابع، مع مراعاة مستوى نمو الفرد وتوافقه العضلي والعصبي، وقدراته العقلية ومهاراته اللغوية لإكسابه المهارات التواصلية والتفاعل الإيجابي منذ الصغر [18].

ويشتمل أسلوب الاتصال الكلي على صورة الأنماط اللغوية والحركات التعبيرية التي يقوم بها المعاق سمعياً من تلقاء نفسه، كي تتاح الفرصة أمامه لتطوير أي جزء تبقى لديه من السمع، ومن خلال المعينات السمعية بمختلف أنواعها، والاستخدام المبكر المستمر لنظام التواصل الكلي يساعد التواصل الكلي على النمو العقلي وزيادة التحصيل الأكاديمي [32].

ولعملية الاتصال الكلى عدة مميزات منها أن الإشارات (Signs) هي أسهل الطرق وأقربها لتمكين المعاق سمعياً من الاتصال بالمعنى الحقيقي للكلمة، فيصبح قادراً على التعبير عن آرائه وأفكاره الذاتية، وعندما يحدث ذلك يلاحظ تغيرات إيجابية في السلوك, والعلاقات الشخصية المتبادلة، كذلك تساعد الإشارات على تقوية قراءة الشفاه وتدعيم السمع، خاصة عندما يقوم المتحدث بإصدار الإشارات والتحدث في وقت واحد؛ فربط الإشارات بالكلام يؤدي نمطاً تركيبياً يقوم المعاق سمعياً بتقليده سواء من الناحية البصرية أو السمعية، وبهذه الطريقة يحسن المعاقون سمعياً من مهاراتهم الملفوظة، كما يحسن الأشخاص من مهاراتهم اليدوية، والنتيجة في النهاية مهارة أفضل في التواصل بين الطرفين [37].

وقدرة المعاق سمعياً على السمع باستعمال المعينات تدعم المهارات السمعية الملفوظة، ويتوقف النجاح في ذلك على قدرته على سماع الكلام الصادر عن الآخرين، كما أن هجاء الأصابع واستخدام لغة الإشارة اليدوية يدعم القراءة الكتابة، ويتطلب هجاء الأصابع نفس المستوى من النضج ومن الخبرات اللغوية المطلوبة للقراءة والكتابة [42].

والتواصل الكلي حق لكل معاق سمعياً لتعلم استخدام جميع الأشكال الممكنة للتواصل حتى تتاح له الفرصة الكاملة لتنمية مهاراته بقدر المستطاع، وجدير بالذكر أن الاستخدام المبكر والمستمر لنظام التواصل الكلي يساعد على النمو العقلي، ونمو التحصيل الأكاديمي، والتفاعل الإنساني؛ لذلك فإن استخدام أسلوب التواصل الكلي يجب ألا يؤجل بطريقة عشوائية؛ كذلك يجب عدم خرق التتابع الطبيعي في العملية النمائية للتواصل [14].

ويمكن تلخيص أهمية عملية التواصل الكلي على أنه يساعد على تدعيم قراءة الشفاه والسمع عندما يقوم الشخص الراشد (معلماً كان أم أباً) بإصدار الإشارات والتحدث في وقت واحد، وعندما يستخدم المعاق سمعياً الأدوات المكبرة للصوت الملائمة لحاجاته الخاصة، فإن الإشارات تدعم قراءة الشفاه, علاوة على أن التواصل الكلى من أسهل السبل لتمكين المعاق سمعياً من التواصل بالمعنى الحقيقي للكلمة ليكون قادراً على التعبير عن آرائه الذاتية؛ وعندما يحدث ذلك نستطيع أن نلاحظ تغييرات إيجابية في السلوك، والعلاقات الشخصية المتبادلة؛ ففي هذه الحالة يشارك المعاق سمعياً في مواقف الحياة الأسرية كعضو كامل [8].

وفي سياق محور التواصل الكلي يشير الباحث إلى بعض الدراسات السابقة ذات الصلة

دراسة: (الحداد, 2013)

والتي هدفت إلي دراسة فاعلية استخدام إستراتيجية قائمة على المدخل الكلي في تدريس القراءة في تحسين مهارات الاستيعاب القرائي لدى طلبة الصف التاسع الأساسي, مقارنة مع الاستراتيجيات المعتادة في تدريس القراءة، وتكونت عينة الدراسة من 123 طالبا وطالبة، وزعوا إلى مجموعتين: تجريبية درست باستخدام إستراتيجية المدخل الكلي للغة، وضابطة درست بالطريقة المعتادة، وتم تطبيق الاستيعاب القرائي من إعداد الباحث، قبل التجربة وبعدها، وحللت البيانات باستخدام تحليل التباين الثنائي، وأوضحت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين أداء طلبة المجموعتين في مهارات الاستيعاب القرائي لمصلحة طلبة المجموعة التجريبية، وأن هناك فروق دالة إحصائيا بين أداء الطلاب و الطالبات في مهارات الاستيعاب القرائي لمصلحة الطالبات، مع عدم وجود فروق دالة إحصائيا تعزي للتفاعل بين الإستراتيجية المستخدمة والجنس.

دراسة (يحيي وآخرون, 2011)

والتي هدفت إلي دراسة فاعلية برنامج تدريبي محوسب لتعليم مهارات القراءة بالطريقتين التواصل الكلي و الطريقة الشفوية لأطفال الروضة المعوقين سمعيا، وتكونت عينة الدراسة من 60 طفلا، وزعوا إلى مجموعتين: تجريبية درست باستخدام إستراتيجية

التواصل الكلي وضابطة درست بالطريقة المعتادة, وتم تطبيق البرنامج من إعداد الباحث، على مدار أربعة أشهر ونصف من خلال 90 جلسة، وحللت البيانات باستخدام تحليل التباين الثنائي للمقارنة بين متوسطات الأداء في الاختبار البعدي على أداة القياس للكشف عن مستوي القراءة للأطفال المعاقين سمعياً، وأوضحت النتائج أن طريقة التواصل الكلي كانت أفضل في تعلم القراءة، لدى الأطفال المعاقين سمعيا، مقارنة بالطريقة التقليدية.

دراسة (بدران، وآخرون، 2011)

وهدفت لبيان فعالية برنامج التواصل الكلي لتنمية القدرات اللغوية لدي الأطفال الصم, وتكونت عينة الدراسة من (16) طفل وطفلة، لديهم فقدان سمعي من (76 ديسيبل فأكثر)، قسموا لمجموعتين تجريبية وضابطة، وتم تطبيق مقياس ستانفورد بينيه للذكاء، ومقياس المستوي الاقتصادي والاجتماعي للأسرة المصرية، والبرنامج التدريبي على أفراد العينة التجريبية، وتم تحليل النتائج إحصائيا باستخدام اختبارات" مان ويتني, ويلكوكسن" وأوضحت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات المجموعتين التجريبية والضابطة، لفئة الصم في التطبيق البعدي على أبعاد مقياس المهارات اللغوية لصالح المجموعة التجريبية، مع عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات المجموعة التجريبية، بعد تطبيق البرنامج في القياس البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس المهارات اللغوية.

دراسة (Daneshmandan, et al, 2009)

التي اشارت لأهمية تنمية معدل الاتصال الشفوي لدى لأطفال شديدي ضعف السمع بعد تلقي تدريبات التواصل الكلي، عن طريق التدخل المبكر للتأهيل السمعي وعلاج النطق للأطفال الذين يعانون من ضعف في السمع شديد إلى عميق، وأجريت دراسة طولية على مجموعة متعاقبة من تسعة أطفال يعانون من الصمم شديد إلى عميق الشديد للأطفال ضعاف السمع العميق تم اختيارهم من 42 حالة، طبقا لمقياس السمع، وبدأت إجراءات الدراسة دون سنتين من العمر لأفراد العينة، لتلقي التأهيل السمعي، وتدريبات الاتصال الشفهي والتواصل باللغة المنطوقة، واستمرت هذه الخدمات المتكاملة لمدة سنة

واحدة، جرى بعدها تقييم مهارات الاتصال الشفوي، وتم تسجيل الاختبار على الشريط الصوتي، وأثبتت النتائج تحسن مستوي الاتصالات الشفوية لعدد (7) من عينة الدراسة بعد تطبيق البرنامج العلاجي عليهم، وأوصي الباحثون باستمرار تقديم الخدمات العامة المتكاملة للتأهيل السمعي وعلاج النطق لأن عددا كبيرا من الأطفال ضعاف السمع لديهم فرصة مواتية للمشاركة في المدارس العادية والاستفادة من التنمية الاجتماعية مع أقرانه بشرط توافر تلك الخدمات.

الإعاقة السمعية

تتعدد أسباب الإعاقة السّمعية طبقا للمرحلة التي حدثت أثنائها الإعاقة كالآتي :

أ- مرحلة قبل الولادة Prenatal Period

وتنتج الإعاقة السمعية بتلك المرحلة نتيجة العوامل الوراثية، أما الأسباب الأخرى فقد أصبحت بفضل تطور الوعي والخدمات الصحية أقل أهمية كتناول الحامل بعض أنواع الأدوية، أو تعرضها للأشعة في الأشهر الأولى من الحمل، أو إصابتها ببعض الأمراض كالحصبة ، والحمى، و التسمم الحملي [28].

ب- مرحلة حول الولادة: Perinatal Period

وتشمل المرحلة ما قبل الولادة بشهرين وما بعد الولادة بشهر، وعوامل الخطر في هذه المرحلة الهامة تنجم عن حالات نقص الأكسجين، والولادات العسرة، وانحلال الدم، وحالات الولادة قبل إتمام مدة الحمل، وقد قلت هذه الأسباب مع تطور الخدمات الصحية [7].

ج- مرحلة بعد الولادة Postnatal Period

وتنجم عن بعض أمراض الطفولة كالحصبة، والنكاف، والتهاب السحايا والدماغ، والحميات الشديدة والحوادث ورضوض الجمجمة، والتسمم ببعض أنواع الأدوية، والتهابات الأذن الوسطى ومضاعفاتها، والتعرض المتواصل للضجيج والتى تؤدي إلى نقص سمع تدريجي خاصة عند الأطفال [27].

الكشف المبكّر للإعاقة السمعية وتأهيل المعاقين سمعياً

أ – الكشف المبكر Early Detection

وهو جزء أساسى من برامج التدخّل المبكّر من أجل تقديم العلاج والتدريب في أقرب وقت ممكن، ومن علامات الصمم في الأشهر الأولى من العمر عدم المناغاة، وعدم الانتباه إلى الضوضاء أو الأصوات العالية أثناء النوم، وإذا ما اقترب العمر من العام لا يتمكن المعاق سمعياً من لفظ بعض الكلمات والمقاطع مثل با، ما (في حالات الصّمم الشديد)، وفي عمر الروضة يتأخر أو ينعدم تطور الكلام ونمو اللغة، ويلاحظ عدم تجاوب الطفل عند الحديث معه، وقد يلاحظ أيضا تراجع التحصيل الدراسى عند ضعيفى السّمع، هذا وتلعب الأسرة دوراً كبيراً في الكشف المبكّر لأي صعوبة سمعية لدى أبنائها، لهذا ليس من الغريب أن تركز برامج التدخّل المبكّر على الأسرة والأم بشكل خاص [26].

ب – العلاج الطبي والجراحي Medical and Surgical Treatment

وله فائدة هامة في أمراض الأذن الوسطى والخارجية، والتى تؤدي إلى نقص سمع خفيف أو متوسط الشدة، ولا تزال نتائج عمليات زراعة القوقعة في مراحلها الأولى، ونتائجها لدى الأطفال الصم لا تزال قيد المتابعة، ويحتاج الحديث عنها إلى الكثير من التفصيل [27].

ج – التربية الخاصة Special Education

ويستخدم فيها إلى جانب البرامج التربوية وسائل خاصة كالتدريب على النطق، ولغة الإشارة، وقراءة الشفاه كما تعتمد أساساً على الحاجات والقدرات الفردية الخاصة بكل طفل على حدة [38].

د – المعينات السمعية Hearing Aids

وتزداد أهميتها عند وجود بقايا سمعية لدى المعاقين سمعياً، وهى تزيد من قدرة المعوق سمعياً على التواصل مع أسرته ومن ثم اندماجه في التعليم والعمل إضافة إلى الأنشطة الاجتماعية المختلفة [30].

هـ – التثقيف الأسري والمجتمعي Family and Public Education

حيث تلعب الأسرة والمجتمع المحلى الدور الكبير في تدريب وتأهيل المعوقين سمعياً من أجل دمجهم في الميادين التربوية والمهنية والاجتماعية وغيرها [20].

الوقاية من الإعاقة السّمعية Prevention of Hearing Disability

يعد وجود إعاقة سمعية وراثية في العائلة من أكثر الأسباب التى تؤدي إلى ولادة أبناء معاقين سمعياً، وهذا يؤكد أهمية الفحص الطبّى الموسّع قبل الزواج وضرورة إجراء الاستشارة الوراثية في بعض الحالات، أما الوقاية بشكل عام من الإعاقة السمعية فتكون عن طريق تجنب زواج الأقارب في العائلات المعروف لديها إعاقة سمعية وراثية، مع طلب الاستشارة الوراثية عند وجود حالة صمم في العائلة وتوفير الرعاية الصحية للأم الحامل والابتعاد عن الأدوية الضارة والأشعة، الولادة الصحية الآمنة في المشفى أو المراكز الصحية المجهزة، الرعاية الصحية للأطفال كالتحصين الشامل، والتغذية والإرضاع الطبيعيان، ومن الضروري الكشف المبكّر لنقص السّمع وأمراض الأذن وتقديم العلاج المناسب [19].

ويمكن تصنيف الإعاقة السمعية تبعا لمرحلة النمو اللغوي إلى:

الصمم ما قبل اللغوي Prelingual Deafness

ويشير إلى حالات الصمم التى تحدث منذ الولادة أو في مرحلة سابقة على تطور اللغة والكلام عند الطفل، ويعتقد أن سن (3) سنوات هو السن الفاصل؛

الصمم بعد اللغوي Poslingual Deafness

ويشير لحالات الصمم التى تحدث بعد أن يكون الطفل قد اكتسب مهارة الكلام واللغة [33].

ويعيش المعاق سمعياً في اضطراب انفعالي بسبب وجوده في عالم صامت خال من الأصوات واللغة، كما أنه معزول عن الرابطة التي تربطه بالعالم الخارجي، وهو في ذلك محروم من معاني الأصوات التي ترمز للحنان والعطف والتقدير، مما يعمق مشاعر النقص والعجز لديه، ولذا يميل إلي العزلة والهروب من تحمل المسئولية، ومن ثم يوصف المعاقون سمعياً بالاضطراب النفسي والانفعالي، فالإعاقة السمعية تؤدي إلي بالمعاقين سمعياً إلى عدم التكيف انفعالياً مع ذاتهم, وبالتالي يتقهقر نموهم الانفعالي عن المعتاد مقارنة بسمات الشخصية لدي أقرانهم عادي السمع مما يؤدى إلى ظهور أعراض سلوكية مضطربة، ومعاناة بمستويات متفاوتة من الاكتئاب والتهور والإذعان للآخرين (41).

مرحلة المراهقة

هي مرحلة انتقال من حال لحال، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية سريعة متلاحقة, وللمراهقة أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد، ففي ضوء ما يلقي الفرد من خبرات بهذه المرحلة يتشكل سلوكه حسب ما هو سائد في بيئته الاجتماعية، سواء كان سلوكاً سوياً أو غير سوي ويتوقف النمو الانفعالي والاجتماعي للمراهق على المحيطين به وعلى الأسرة، والذين يلعبون دوراً أساسياً في تزويد المراهق بالوسائل الأساسية للتعلم والتكيف مع بيئته المحيطة، فما يوجد في البيئة الاجتماعية والأسرية من ثقافة واتجاهات وميول يؤثر في المراهق و يوجه سلوكه ويجعل عملية تكيفه مع نفسه ومع المحيطين عملية سهلة أو صعبة (23).

وتتمثل مطالب النمو في مرحلة المراهقة في وجود نمو مفهوم سوى للجسم وتقبله، وتقبل التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسيولوجي والتوافق معها، وتكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية، واستكمال التعليم، وتكوين علاقات جيدة مع رفاق السن، ونمو الثقة في الذات، وتقبل المسئولية الاجتماعية، وتكوين المهارات والسلوك الاجتماعي المرغوب، واختيار المهنة، وتحقيق الاستقلال اقتصادياً، وانفعالياً عن الوالدين (17).

وتتعدد مشكلات المراهقين كما حددتها النظريات العلمية فهناك مشكلات نفسية: تتمثل في الحساسية والصراعات النفسية، وضعف التوافق النفسي، ومشكلات صحية: تتمثل في قلة النوم، والصراع, ومشكلات مدرسية: تتمثل في صعوبة بعض المواد الدراسية, وتوتر العلاقات مع بعض المدرسين، ومشكلات أسرية تتمثل في ووفاة أحد الوالدين, والتدخل في أمور المراهق ومحاسبته، ومشكلات اقتصادية: تتمثل في ضعف المستوى الاقتصادي للأسرة، وقلة المصروف اليومي، ومشكلات اجتماعية: تتمثل في كثرة أوقات الفراغ، والثورة على الآخرين لأتفه الأسباب، والتعرض للضغوط الاجتماعية [12].

ويتميز النمو الانفعالي بالتقلب والرهافة الانفعالية، ويثور لأتفه الأسباب، وإذا تعرض لإحباط شعر بالحزن الشديد، وينتقل من انفعال لآخر بسهولة، ويحقق في المرحلة المتأخرة من المراهقة قدراً من الثبات الانفعالي، ويتقبل المسئولية والمشاركة الانفعالية والاهتمام بأمور الآخرين، ويعود ذلك إلى نموه العقلي والاجتماعي وتعلمه السيطرة على انفعالاته [4].

وللأساليب الوالدية أهمية كبري كمحدد لسلوك المراهقين وتوافقهم النفسي، فالعامل المهم بالنسبة للمراهق في المنزل هو الدفء والتقبل في مقابل الكراهية والرفض، مما يسهم في إحداث النمو الاجتماعي الانفعالي السوي للمراهق، كما أن للمدرسة أهمية خاصة في تكوين شخصية المراهق، فالمدرسة هي المؤسسة الأولى للتربية المقصودة، فالمراهق يتمرن بها على ممارسة أنواع الحياة الاجتماعية، كما تتيح المدرسة ألواناً مختلفة من الأنشطة المتعددة التي تنمو من خلالها شخصية المراهق [29].

ومن مظاهر النمو الانفعالي في مرحلة المراهقة محاولة المراهق السيطرة على النفس" الثبات الانفعالي"، والاحتكاك بجماعات الكبار، ويكون التفاعل الاجتماعي مع أقرانه على أشده، واكتشاف المراهق لقدراته بمقارنة نفسه بزملائه، ومن الصعب أن نجد من المراهقين من حققوا النضج الاجتماعي دون أن يحققوا النضج الجسمي، كما أن ضبط الدوافع وتعود الصبر هي قدرات نسبية لدي المراهق [31].

ويعرض الباحث بعض الدراسات الخاصة بالمراهقين المعاقين سمعيا

دراسة (الخالدي، 2013)

التي هدفت للكشف عن فاعلية الإرشاد النفسي الجماعي لتحسين التوافق لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية البسيطة, وتكونت عينة البحث من مجموعتيك تجريبية وضابطة، تشمل كل منهما(7) مراهقين ذكور من ذوي الإعاقة السمعية البسيطة، تراوحت درجة سمعهم من (35-55) ديسيبل، وتم تحقيق التجانس بين المجموعتين، وتطبيق مقياس التوافق، والبرنامج النفسي الجماعي على عينة الدراسة التجريبية لمدة 6 أسابيع، ثم إجراء القياس التتبع بعد شهر من نهاية تطبيق البرنامج الجماعي، وأشارت النتائج إلى فاعلية الإرشاد النفسي الجماعي في تحسين التوافق لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية البسيطة.

دراسة (الهبيده، 2014)

والتي هدفت لدراسة بعض المشكلات السلوكية المرتبطة بأبعاد التوافق النفسي لدى مجموعة من المراهقين ضعاف السمع بدولة الكويت، وتم تصميم مقياسين لقياس المشكلات السلوكية، والتوافق النفسي للمراهقين ضعاف السمع طبقا غلي (60) مراهقا من الجنسيين تراوحت أعمارهم من (16-17) عاما، وتوصلت النتائج إلى وجود ارتباطات سالبة ودالة إحصائيا بين المشكلات السلوكية وبين أبعاد التوافق النفسي، وأن الذكور أكثر عدوانا ونشاطا، وأن المراهقات أكثر توافقا.

دراسة (Rostami, et al, 2014)

والتي هدفت لتحديد فاعلية البرامج التدريبية القائمة على مهارات التفكير الايجابي لإعادة التأهيل النفسي وتنمية الشعور بالسعادة لدي عينة من المراهقين المعاقين سمعياً، وقد استخدم الباحثون في هذه الدراسة المنهج التجريبي، واشتملت عينة الدراسة على 24 مراهقا ومراهقة من ضعاف السمع تم اختيارهم من 48 مراهقا ضعاف السمع قسموا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وتم تدريبهم على مهارات التفكير الإيجابي من خلال ثماني جلسات مدة كل منها 45 دقيقة، مرتين أسبوعيا، وتم تطبيق استبيان

أكسفورد لتقييم مستوى السعادة, وأظهرت النتائج عن طريق تحليل التباين الثنائي للمجموعات المستقلة أن التدريب على مهارات التفكير الإيجابي له تأثير إيجابي على زيادة السعادة لدي عينة الدراسة المعاقين سمعياً في المجموعات التجريبية عند مستوى دلالة 0,01 إحصائيا.

كفاءة الحياة النفسية

تعد من أهم المصطلحات الحديثة في مجال علم النفس, وتعتبر اليونسكو أن كفاءة الحياة النفسية مفهوم شامل يضم كل جوانب الحياة كما يدركها الفرد، للوصول إلى مستوى الصحة النفسية الايجابية، ويمكن تحديد ستة أبعاد لمفهوم كفاءة الحياة النفسية هي: (الاستقلالية، الكفاءة البيئية، النمو الشخصي، العلاقات الايجابية مع الآخرين، الحياة الهادفة، وقبول الذات [39].

ويستخدم مفهوم كفاءة الحياة النفسية أحيانا للتعبير عن مدي إدراك الأفراد على إشباع حاجاتهم المختلفة، وثمة ثلاثة اتجاهات رئيسة في تعريف جودة الحياة وهى الاتجاه الاجتماعي والطبي والنفسي حيث يعرف أصحاب الاتجاه الاجتماعي جودة الحياة من منظور يركز على الأسرة والمجتمع، وعلاقات الأفراد والمتطلبات الحضارية والسكان والدخل والعمل، وضغوط الوظيفة والمتغيرات الأخرى [28].

أما الاتجاه الطبي فقد اعتمد على تحديد مؤشرات جودة الحياة بتعزيز ورفع جودة الحياة لدى المرضى من خلال توفير الدعم النفسي والاجتماعي لهم, بينما يركز الاتجاه النفسي على إدراك الفرد كمحدد أساسي للمفهوم وعلاقة المفهوم بالمفاهيم النفسية الأخرى، وأهمها القيم والحاجات النفسية وإشباعها، وتحقيق الذات ومستوى الطموح لدى الأفراد [44].

ويري الباحث أنه كلما انتقل الإنسان إلى مرحلة جديدة من النمو فرضت عليه متطلبات وحاجات جديدة لهذه المرحلة تلح على الإشباع، مما يجعل الفرد يشعر بضرورة مواجهة متطلبات الحياة بالمرحلة الجديدة فيظهر الرضا «في حالة الإشباع» أو عدم الرضا «في حالة عدم الإشباع» نتيجة لتوافر مستوى مناسب من جودة الحياة، وفى جودة الحياة

يتطلب الاستمتاع بالأشياء بشكل تراكمي أن يفهم الإنسان ذاته وقدراته، ويحقق اهتماماته وطموحاته في تفاعل يمكنه من التغلب على مشكلات حياته.

وفي سياق محور كفاءة الحياة النفسية يشير الباحث إلى بعض الدراسات السابقة ذات الصلة:

دراسة (القطاوي, 2013)

للتعرف على فاعلية برنامج تدريبي باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" في تحسين جودة الحياة النفسية لدي عينة من المراهقين الصم، بالدراسة على (24) مراهقا أصما، قسموا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، أعمارهم ما بين (14 -16) عام, تم تطبيق مقياس جودة الحياة للمراهقين الصم, وكذلك برنامج تدريبي باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" في تحسين جودة الحياة النفسية لهم, بواقع (12) جلسة خلال (6) أسابيع، وأوضحت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات المجموعتين التجريبية والضابطة، لفئة المراهقين الصم في التطبيق البعدي على أبعاد مقياس جودة الحياة النفسية لدي عينة من المراهقين الصم لصالح المجموعة التجريبية، كما أوضحت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات المجموعة التجريبية، بعد تطبيق البرنامج في القياس البعدي والتتبعي على أبعاد مقياس جودة الحياة النفسية للمراهقين الصم.

دراسة (الأحمد, 2013)

والتي هدفت لقياس مستوى جودة الحياة عند الأشخاص المعاقين سمعيا وغير المعاقين في المملكة العربية السعودية في مجالات (جودة الصحة العامة، جودة الحياة الأسرية والاجتماعية، الحياة الوظيفية، جودة العواطف، جودة الصحة النفسية، جودة شغل الوقت وإدارته), من خلال فقرات محدده للكشف عن مستوى جودة الحياة، وأسئلة لإجراء المقابلة, وتم التحقق من صدق الأداة عن طريق صدق المحتوى. والتحقق من ثباتها باستخدام معامل الاتساق الداخلي, وقام الباحثان بتطبيق أداة الدراسة على عينة مكونة من (90) شخصا معاق سمعيا، و(90) شخص غير معاق، وذلك وفق متغيرات الدراسة (شدة الإعاقة، المستوى التعليمي، الجنس، الحالة الاجتماعية)، تبين وجود دلاله

إحصائية بين المعاقين وغير المعاقين في جميع أبعاد جودة الحياة وكذلك وفقاً لجميع متغيرات الدراسة المستقلة وذلك لصالح الأشخاص غير المعاقين، كما تبين أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بحسب المستوى التعليمي لصالح الجامعيين، وفي الحالة الاجتماعية لصالح المتزوجين، ولم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الجنس سوى في بعد الشعور بالقناعة ولصالح الذكور، ولم يكن هناك فروق في بقية الأبعاد، في مقارنة جودة الحياة للمعاقين سمعيا حسب متغيرات الدراسة. وبناء على نتائج الدارسة، قدم الباحثان مجموعة من التوصيات هدفت إلى رفع مستوى جودة الحياة لدى المعاقين في شتى المجالات الاجتماعية والصحية والنفسية.

دراسة (أحمد, 2009)

حول جودة الحياة وأساليب مواجهة الضغوط, وعلاقتهما بقلق الموت والاكتئاب لدي المسنين؛ وهدفت الدراسة الحالية إلي فحص العلاقة بين جودة الحياة وكل من أساليب مواجهة الضغوط وقلق الموت والاكتئاب لدي المسنين، ومعرفة أي أساليب المواجهة التي تنبئ بجودة الحياة لدي المسنين ،وما إذا كان يمكن التنبؤ بجودة الحياة من مستوى قلق الموت والاكتئاب لدي المسنين، كما هدفت إلي معرفة مدي الفروق في جودة الحياة وأساليب المواجهة وقلق الموت والاكتئاب بين المسنين الذكور والإناث، وكذلك الفروق بين المسنين الذين يعيشون بمفردهم والذين يعيشون مع قرينهم (الزوج أو الزوجة) في متغيرات الدراسة, وذلك علي عينة مكونة من (150) مسن ومسنة بمحافظة الشرقية، تراوحت أعمارهم بين (60-79) عام (متوسط أعمارهم 68.75 سنة، وانحراف معياري5.37) وبلغ عدد الذكور المسنين(75)، وكذلك عدد الإناث المسنات بلغ (75) طبق عليهم مقياس جودة الحياة للمسنين (إعداد الباحثة) ومقياس أساليب المواجهة من إعداد لازاروس وفولكمان " Folkman&Lazarus (ترجمة وتقنين الباحثة)، ومقياس قلق الموت من إعداد (عبد الخالق، 1996)، وقائمة "بيك" المختصرة للاكتئاب, (إعداد غريب، 1985), وقد أشارت نتائج الدراسة إلي وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين جودة الحياة وأساليب مواجهة الضغوط وقلق الموت والاكتئاب لدي عينة الدراسة، كذلك لم تجد فروق بين المسنين الذكور والإناث في جودة الحياة، ما عدا الصحة الجسمية

حيث وجدت فروق دالة إحصائيا وكانت الفروق لصالح الذكور, وكذلك لم تجد فروق دالة إحصائيا بين المسنين والمسنات في أساليب المواجهة, في حين وجدت فروق دالة إحصائيا في قلق الموت والاكتئاب، حيث أشارت النتائج إلي أن الإناث كانت أعلي في قلق الموت والاكتئاب, كما توصلت الدراسة إلي وجود فروق دالة إحصائيا بين المسنين الذين يعيشون بمفردهم والمسنين الذين يعيشون مع قرينهم (الزوج أو الزوجة) في جودة الحياة وكانت الفروق لصالح المسنين الذين يعيشون مع قرينهم ، كما وجدت فروق بينهم كذلك في أساليب المواجهة وكانت لصالح المسنين الذين يعيشون مع قرينهم؛ قد أشارت نتائج الدراسة إلي أن أساليب مواجهة الضغوط التي تركز علي المشكلة تنبئ بمستوى جودة الحياة لدي المسنين بنسبة مساهمة 63 ٪، كما أنه يمكن التنبؤ بقلق الموت من أساليب مواجهة الضغوط التي تركز علي الانفعال وذلك بنسبة مساهمة 32٪، كما أثبتت كذلك القدرة علي التنبؤ بالاكتئاب لدي المسنين من أساليب المواجهة التي تركز علي المشكلة، وذلك بنسبة مساهمة 22٪؛ كما توصلت الدراسة إلي أن جودة الحياة لدي المسنين وأساليب مواجهة الضغوط سواء التي تركز علي المشكلة أو علي الانفعال أو علي الاثنان معاً والاكتئاب تشكل نموذجاً سببياً مفسراً للعلاقات البينية المتبادلة بينهم.

دراسة (عبد الرحمن , 2008)

التي اكدت على استخدام استراتيجيات التعايش في تحسين جودة الحياة لدى المعاقين سمعياً, نظراً لإحساس المعاقين سمعيا بانخفاض مستوى جودة الحياة أو الرضا عن الحياة مشكلات عديدة في حياتهم كالقلق، والعزلة الاجتماعية، والوحدة النفسية بالإضافة إلى الافتقار للعلاقات الاجتماعية، وعدم الاتزان الانفعالي، والتمركز حول الذات، والقصور في التواصل الاجتماعي, واشتملت الدراسة على استراتيجيات التعايش مثل:" إعادة البناء المعرفي - تحسين الاستبصار- أسلوب حل المشكلات- والتدريب على التواصل الاجتماعي- المساندة الاجتماعية, واشتملت أدوات الدراسة على مقياس جودة الحياة، وتأثير الإعاقة السمعية على جودة الحياة, ومفهوم استراتيجيات التعايش (المواجهة).

دراسة (منصـور, 2005)

حول جودة الحياة وعلاقتها بالذكاء الانفعالي وسمة ما وراء المزاج والعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية والقلق وهدفت الدراسة إلي تحديد الفروق بين النوع، والتخصص، والسن كل علي حدة في أبعاد مقياس جودة الحياة، وفحص الفروق بين منخفضي ومرتفعي جودة الحياة في متغيرات الدراسة، وتحديد العلاقات الارتباطية بين أبعاد مقياس جودة الحياة وأبعاد متغيرات الدراسة.

ومدي إسهام هذه المتغيرات في تفسير مقياس جودة الحياة، وقد أجريت الدراسة علي عينة بلغ قوامها (403) طالب وطالبة بكلية التربية بالعريش بجامعة قناة السويس من السنة الثانية إلي الرابعة، بالقسمين العلمي والأدبي، وبلغ عدد الطلاب في السنة الثانية (115)، و في السنة الثالثة (123)، وفي السنة الرابعة (165) . وتم تطبيق أدوات الدراسة الآتية علي عينة الطلاب: مقياس جودة الحياة. (إعداد الباحث)، مقياس الذكاء الانفعالي (إعداد: سليمان محمد، عبد الفتاح رجب، 2002) مقياس سمة ما وراء المزاج (للمراهقين والراشدين) إعداد: بيتر سالوفي وآخرون،1995)،قائمة العوامل الخمسة الكبرى في الشخصية (إعداد: توم بيوتشانان، 2001)، قائمة القلق الحالة – السمة، (إعداد : سبيلبيرجر وآخرون،1983) وانتهت نتائج الدراسة إلي وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب الإناث والذكور في أبعاد مقياس جودة الحياة :علاقات إيجابية مع الأسرة،علاقات إيجابية مع الآخرين،الرضا الأكاديمي، والدرجة الكُلية؛ ووجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطي درجات مجموعتي طلاب القسم العلمي والأدبي في أبعاد مقياس جودة الحياة :الدقة والاستمتاع بالحياة، والرضا الأكاديمي، والدرجة الكُلية؛ ووجود فروق دالة إحصائياً بين درجات مجموعات الطلاب تبعاً لاختلاف أعمارهم الزمنية في بُعدي الرضا عن الحياة، وعلاقات إيجابية مع الآخرين؛ ووجود فروق دالة إحصائياً بين الطلاب منخفضي ومرتفعي جودة الحياة في متغيرات الدراسة؛ ووجود علاقات ارتباطيه دالة إحصائياً بين درجات الطلاب في أبعاد مقياس جودة الحياة ومتغيرات الدراسة؛ كما تتباين الإسهامات النسبية لأبعاد متغيرات

الدراسة في أبعاد مقياس جودة الحياة، وكذلك لأبعاد متغيرات الدراسة في الدرجة الكُلية لمقياس جودة الحياة؛ وكذلك

تعقيب على الدراسات السابقة

استعرض الباحث فيما سبق بعض الدراسات التي تناولت عدة محاور رئيسة متعلقة ببرامج التواصل الكلي وأهميتها في حياة المعاقين سمعياً ببعض الاضطرابات النفسية لدى المراهقين المعاقين سمعياً، وبفاعلية بعض البرامج العلاجية الإرشادية في تخفيف حدة تلك الاضطرابات لديهم، وبالإعاقة السمعية ومشكلاتها لدى المعاقين سمعياً، وكفاءة الحياة النفسية لديهم؛ ويرى الباحث وجود تباين في اهتمامات الباحثين في تناولهم للجوانب الدافعية والانفعالية والبيئية، المرتبطة بأثر الإعاقة السمعية على بعض جوانب الشخصية للمعاقين سمعياً، وما يترتب على هذه الإعاقة من مشكلات نفسية, حيث اهتمت بعض الدراسات بتحديد سمات شخصية المعاقين سمعياً كدراسة **(الهبيده، 2014)**، والتي هدفت لدراسة بعض المشكلات السلوكية المرتبطة بأبعاد التوافق النفسي لدى المراهقين ضعاف السمع **ودراسة (Rostami, et al, 2014)** والتي هدفت لدراسة فاعلية برنامج تدريبي قائم على مهارات التفكير الايجابي لإعادة التأهيل النفسي وتنمية الشعور بالسعادة لدي عينة من المراهقين المعاقين سمعياً، ودراسة **(الخالدي، 2013)** التي هدفت للكشف عن فاعلية الإرشاد النفسي الجماعي لتحسين التوافق لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية البسيطة؛ كما أوضحت بعض الدراسات أن ملامح جودة الحياة النفسية لدى المعاقين سمعياً تتحدد في ضوء متغيرات متعددة سواء كانت متغيرات عقلية، أو معرفية، أو فسيولوجية، أو انفعالية، أو اجتماعية بيئية، والتي تؤثر في جوانب الشخصية لديهم، **كدراسة (أحمد, 2009)** التي هدفت لفحص العلاقة بين جودة الحياة وكل من أساليب مواجهة الضغوط وقلق الموت والاكتئاب لدي المسنين، ومعرفة أي أساليب المواجهة التي تنبئ بجودة الحياة لدي المسنين؛ ودراسة **(Daneshmandan, et al, 2009)** التي هدفت لتنمية معدل الاتصال الشفوي لدى لأطفال شديدي ضعف السمع بعد تلقي تدريبات التواصل الكلي؛ ويشير الباحث إلى بعض الاختلافات بين هذه الدراسات؛ وبين الدراسة الحالية مثل الفئة العمرية في

بعض الدراسات، وبعض المتغيرات الأسرية، والمنهج المستخدم، وأيضاً توجد بعض أوجه الاتفاق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية في انتقاء عينة الدراسة، والاتفاق أيضا في جوانب شخصية المعاقين سمعياً التي تم دراستها نتيجة العوامل المختلفة، وبصورة عامه أوضحت معظم نتائج الدراسات السابقة فاعلية البرامج الإرشادية في علاج بعض مظاهر الاضطرابات السلوكية لدى المعاقين سمعياً؛ ومن هنا استطاع الباحث الاستفادة من هذه الدراسات في الانطلاق خلال الدراسة الراهنة من حيث تحديد عينة الدراسة طبقاً لمقياس كفاءة الحياة النفسية المستخدم في الدراسة، مع وضع برنامج إرشادي علاجي ملائم لأفراد عينة الدراسة يقوم على أساس فنيات التواصل الكلي كأحد الطرق في مجال الإرشاد والعلاج النفسي وتطبيق تلك الفنيات على عينة الدراسة لتنمية كفاءة الحياة النفسية لديهم؛ وخلاصة القول أن المجال بحاجة لمزيد من الدراسات في مجال استخدام البرامج التواصل الكلي لتنمية كفاءة الحياة النفسية لدى المعاقين سمعياً.

فروض الدراسة

1- توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة قبل تطبيق برنامج التواصل الكلي، ومتوسطات رتب درجات نفس أفراد العينة بعد التطبيق في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية في اتجاه انخفاض المتوسط بعد تطبيق البرنامج.

2- لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة بعد تطبيق البرنامج التواصل الكلي، ومتوسطات رتب نفس الأفراد بعد فترة المتابعة في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية.

حدود الدراسة

تدور الدراسة حول فاعلية برنامج إرشادي علاجي قائم على فنيات التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعياً، وتتبع الدراسة الحالية المنهج التجريبي، وتكونت عينة البحث من (10) مراهقين من ذوى الإعاقة

السمعية بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى, تراوحت أعمارهم ما بين (14 – 16) عاماً لديهم فقدان سمعي متوسط مابين(56-70) ديسيبل، ولديهم انخفاض بمستوي كفاءة الحياة النفسية (طبقا للمقياس المستخدم بالدراسة)، وتم اختيارهم لتطبيق البرنامج من عينة للمراهقين المعاقين سمعياً بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى بلغ قوامها (35) مراهقا, وتم تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية (إعداد الباحث) عليهم.

أدوات الدراسة

يستخدم الباحث برنامج التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية (إعداد الباحث)؛ ومقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية (إعداد الباحث).

الأساليب الإحصائية المستخدمة يستخدم الباحث اختبار (ويلكوكسون) لاختبار دلالة الفروق للمجموعات المرتبطة.

مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية (إعداد الباحث)

يهدف المقياس إلى تقييم مستوي الكفاءة النفسية للمراهقين ذوي الإعاقة السمعية، ويتكون المقياس من (36) عبارة موزعة علي (6) أبعاد تمثل في مجملها مفهوم كفاءة الحياة النفسية، حيث اطلع الباحث في إعداده للمقياس على بعض المفاهيم والآراء والدراسات السابقة والأدبيات التي تناولت مفهوم كفاءة الحياة النفسية، كما اطلع الباحث على مجموعة من المقاييس الخاصة بالرضا عن الحياة والجودة النفسية للحياة وتقدير الذات للمعاقين سمعيا، للاستفادة منها في بناء المقياس الحالي، ومن أمثلتها مقياس جودة الحياة لمنظمة الصحة العالمية تعريب (بشري إسماعيل، 2008)، ومقياس **(Batmaz,et al, 2013)** ومقياس **(Mond, et al, 2013)** لقياس معدل كفاءة الحياة النفسية، وطبقا للتراث السيكولوجي والأدبيات المتبعة في بناء المقاييس، أعد الباحث عبارات المقياس الحالي مؤسسا على ستة أبعاد هي(تقبل الذات، معني الحياة، الاستقلال الذاتي، طبيعة النمو الشخصي، التواصل الاجتماعي، الاتزان الانفعالي)،

وصاغ الباحث المقياس الأولى في (41) عبارة، موزعة على أبعاد المقياس الست، ثم تم حذف (5) عبارات لم يتفق عليها السادة المحكمون بنسبة 80٪، وهى النسبة التي رآها الباحث مناسبة للإبقاء على عبارات المقياس, وتتم الاستجابة على المقياس باستخدام المقياس الثنائي (نعم و لا)، وطبق الباحث المقياس بصورته الأولية على (35) مراهقا من ذوى الإعاقة السمعية بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى، للتأكد من صلاحية المقياس، وصلاحية خصائصه السيكومترية، من حيث الصدق والثبات وسلامة وترابط العبارات.

تصحيح المقياس تتم الاستجابة على المقياس وفق ميزان ثنائي (نعم و لا)، حيث تحسب درجة واحدة للوزن (نعم)، وصفر للوزن(لا)، وبذلك تصبح الدرجة العظمي للمقياس (36)، والصغرى(0)، وتشير الدرجة العليا للمقياس بارتفاع معدل كفاءة الحياة النفسية، والدرجة الدنيا بانخفاض معدل كفاءة الحياة النفسية.

الشروط السيكومترية للمقياس

تم التحقق من الشروط السيكومترية للمقياس من حيث الصدق والثبات على عينة استطلاعية قوامها (35) مراهقا من ذوى الإعاقة السمعية بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى, وذلك على النحو التالي:

أولاً: صدق المقياس

صدق المحكمين عرض الباحث المقياس بصورته الأولية على مجموعة من المحكمين، ثم قام الباحث بإعادة صياغة عبارات المقياس التي أشار إليها المحكمون، وقد اختيرت العبارات التي حصلت على تأييد المحكمين بنسبة (80٪ - 100٪)، وتم استبعاد (5) عبارات لم يتفق عليها المحكمون، وأصبح المقياس في صورته النهائية يتكون من (36) عبارة موزعة علي (6) أبعاد، بمعدل 10 عبارات لكل بعد.

الاتساق الداخلي

تم حساب الاتساق الداخلي بحساب معامل ارتباط درجة كل عبارة بالبعد الذي ينتمي إليه، طبقا للجدول التالي:

جدول (1) يوضح معامل ارتباط درجة كل عبارة مع الدرجة الكلية للبعد الذي ينتمي إليه: (ن=35)

البعد(1) تقبل الذات		البعد(2) معنى الحياة		البعد(3) الاستقلال الذاتي		البعد(4) طبيعة النمو الشخصي		البعد(5) التواصل الاجتماعي		البعد(6) الاتزان الانفعالي	
رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0,49	7	0,69	13	0,67	19	0,58	25	0,71	31	0,66
2	0,56	8	0,68	14	0,75	20	0,59	26	0,63	32	0,71
3	0,61	9	0,55	15	0,73	21	0,68	27	0,56	33	0,78
4	0,68	10	0,78	16	0,66	22	0,71	28	0,59	34	0,71
5	0,58	11	0,73	17	0,63	23	0,62	29	0,62	35	0,69
6	0,71	12	0,74	18	0,65	24	0,69	30	0,63	36	0,71

ثم قام الباحث بحساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لكل بعد، والدرجة الكلية للمقياس، طبقا للجدول التالي:

جدول (2) يوضح معاملات الاتساق الداخلي لأبعاد المقياس والدرجة الكلية له (ن=35)

الأبعاد	معامل الارتباط
البعد الأول	0,952
البعد الثاني	0,843
البعد الثالث	0,614
البعد الرابع	0,584
البعد الخامس	0,654

البعد السادس	0,752

الصدق التجريبي

تم استخدام مقياس جودة الحياة للمراهقين المعاقين سمعياً إعداد (حسيب، 2005) كمحك خارجي، حيث تم تطبيقه على العينة الاستطلاعية(ن=35)، بالإضافة إلى المقياس الحالي، وبحساب معامل الارتباط بين الدرجة الكلية لأفراد العينة في المقياسين بلغ(0,844)، وهى قيمة دالة إحصائيا عند مستوى (0,01).

ثانياً: ثبات المقياس استخدم الباحث الطرق الآتية لحساب ثبات مقياس الدراسة الحالية:

إعادة الاختبار

طبق الباحث المقياس الحالي على العينة الاستطلاعية (ن=35)، مرتين بفاصل زمني قدره أسبوعين، وتم رصد درجات الطلاب على المقياس قي التطبيقين وحساب معاملات الارتباط بين درجات المقياس بأبعاده في التطبيقين طبقا للجدول التالي:

جدول (3) يوضح معاملات الارتباط بين درجات أبعاد مقياس كفاءة الحياة النفسية في التطبيقين (ن=35)

الأبعاد		معامل الارتباط	مستوي الدلالة
البعد الأول	تقبل الذات	0,936	0,01
البعد الثاني	معني الحياة	0,862	0,01
البعد الثالث	الاستقلال الذاتي	0,899	0,01
البعد الرابع	طبيعة النمو الشخصي	0,874	0,01
البعد الخامس	التواصل الاجتماعي	0,878	0,01

البعد السادس	الاتزان الانفعالي	0,891	0,01
الدرجة الكلية للمقياس		0,983	0,01

ويتضح من الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط للمقياس في التطبيقين دالة إحصائيا عند مستوي 0.01 وبالتالي تعبر عن قيم ثبات يمكن الاعتماد عليها.

ثبات المقياس بطريقتي الفا كرونباخ, والتجزئة النصفية

جدول (4) يوضح معاملات ثبات المقياس بطريقتي الفا كرونباخ, والتجزئة النصفية

الأبعاد	ن=35	
	الفا كرونباخ	والتجزئة النصفية
1- تقبل الذات	**0,834**	**0,819**
2- معني الحياة	**0,787**	**0,762**
3- الاستقلال الذاتي	**0,760**	**0,781**
4- طبيعة النمو الشخصي	**0,736**	**0,746**
5- التواصل الاجتماعي	**0,811**	**0,790**
6- الاتزان الانفعالي	**0,745**	**0,738**

ويتضح من الجدول السابق أن معاملات ثبات المقياس بطريقتي الفا كرونباخ، والتجزئة النصفية مرتفعة، وبذلك يتضح أن المقياس يتمتع بخصائص سيكومترية عالية في الصدق والثبات، وبالتالي يمكن اعتماده في قياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين المعاقين سمعياً.

برنامج التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية .

الهدف العام للبرنامج

يقوم البرنامج الحالي على أسلوب التواصل الكلى لتحسين كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية.

الأساس النظري للبرنامج

يعتمد البرنامج على الأساس النظري لبرامج التواصل الكلي, بهدف تطوير استخدام عدد من أشكال التواصل مثل لغة الإشارة والتفاهم بالفم ووسائل مساعدة مسموعة ومكتوبة ومرئية، وذلك اعتمادًا على الاحتياجات والقدرات الخاصة لدى المعاقين سمعياً

أهمية البرنامج

تنبع أهمية البرنامج من أهمية الخصائص المتميزة لأسلوب التواصل الكلي بالنسبة للمشكلات النفسية والتي يعانى منها كثير من المعاقين سمعياً, حيث يسهم البرنامج في الاستفادة من جوانب القوة لدى عينة الدراسة للمساعدة في تحسين كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية.

الفنيات المستخدمة في البرنامج

(النمذجة، فنية التواصل اللفظي، فنية التواصل البصري، فنية التواصل الشفهي، التحكم الذاتي، فنية حل المشكلة، التعزيز، فنية التواصل اليدوي بلغة الإشارة، التواصل بالفهم التكرار، الإيماءات، المعينات السمعية لاستغلال البقايا السمعية، التغذية الراجعة، قراءة الشفاه، استثارة الدافعية، الهجاء الإصبعي, المحاضرات، والمناقشات الجماعية، فنية اللغة الاستقبالية، فنية اللغة التعبيرية، الواجبات المنزلية، التعبيرات الوجهية).

الفئة المستهدفة

تم تطبيق برنامج الدراسة على عينة قوامها (10) مراهقين من ذوى الإعاقة السمعية، ولديهم انخفاض بمستوي كفاءة الحياة النفسية- طبقا للمقياس المستخدم بالدراسة-؛ بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى،

تراوحت أعمارهم ما بين (14 – 16) عاماً، لديهم فقدان سمعي متوسط مابين(56-70) ديسيبل , وذلك بعد تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية المستخدم بالدراسة عليهم.

التحقق من صحة البرنامج

تم عرض البرنامج على (9) من السادة المحكمين المتخصصين في مجال الصحة النفسية والتربية الخاصة، وذلك للتحقق من مدى ملائمة البرنامج للهدف الذي وضع من أجله، وفى ضوء آراء السادة المحكمين أصبح البرنامج في صورته النهائية مكونا من (11) جلسة، على مدى (5) أسابيع بواقع جلستين أسبوعيا تقريباً، مدة الجلسة حوالي (60) دقيقة، يتخللها فترات راحة، والجدول التالي يوضح الجلسات والخطوات التنفيذية للبرنامج:

جدول(5) يوضح ملخص الجلسات العلاجية والخطوات التنفيذية للبرنامج

رقم الجلسة	أهداف الجلسة	محتوى الجلسة	الفنيات و الأساليب	نوع الإرشاد	زمن الجلسة
1	التمهيد التعارف بين الباحث وأفراد عينة الدراسة لتكوين علاقة ايجابية بينه وبينهم, والاتفاق على مواعيد الجلسات وكيفيته.	قام الباحث بتقديم نفسه لأفراد العينة مع الحرص على تكوين جو من المودة والألفة معهم والالتزام بآداب الحوار وتحديد موعد الجلسات.	الحوار والمناقشة	جماعي	ساعة
2	تكوين علاقة إنسانية واتجاه ايجابي نحو البرنامج, مع مناقشة مشكلات أفراد العينة وتبادل الآراء بينهم.	قام الباحث بتسجيل المشكلات التي يعانى منها أفراد عينة الدراسة ثم ألقى محاضرة عن مشكلات الإعاقة السمعية والاضطرابات التي يمكن حدوثها.	المحاضرة النمذجة, فنية التواصل اللفظي	جماعي	ساعة
3	تعريف عينة الدراسة بأسس التواصل الكلي, و الهدف الرئيسي	وضح الباحث أهمية برنامج التواصل الكلي, وأنه لا يمكن لأي فرد أن ينسحب في	الحوار بالتواصل البصري, والشفهي	جماعي	ساعة

	للبرنامج.	أي وقت إذا شعر بعدم الاستفادة.			
4	التأكيد على أن كل إنسان يعانى من ضغوط ومشكلات, مع توضيح ذلك بالأمثلة, فالمعاناة قانون سائد بين البشر	شرح الباحث مدى معاناة كل إنسان من المشكلات التي يقابلها في حياته, مع توضيح فنية التحكم الذاتي, وتكليف عينة الدراسة بممارستها	التحكم الذاتي, فنية حل المشكلة, التعزيز وتحمل المسؤولية	جماعي	ساعة
5	التعرف على فنيات التواصل الكلي , والمقصود به.	يطلب الباحث من أفراد عينة الدراسة ذكر المشكلة الرئيسة التي يعانون منها وتصنيف أبعادها, ورأيهم في كيفية التغلب عليها	فنية المناقشة والتواصل اليدوي بلغة الإشارة, التواصل بالفهم .	جماعي	ساعة
6	الاطلاع على المشكلات والاضطرابات النفسية, والتي تعوق رفع معدل كفاءة الحياة النفسية	قام الباحث بمناقشة المشكلات المتعددة لأفراد العينة دون ذكر الأسماء, مع استئذان أصحابها, للبحث جماعياً عن حل للمشكلة وتبادل و الآراء حولها.	النمذجة, الإيماءات, المعينات السمعية, التغذية الراجعة,	جماعي	ساعة
7	التعرف على مواطن الضعف والقوة في شخصية أفراد العينة،	يستعرض الباحث مع أفراد العينة طموحاتهم لتحقيق أهدافهم لرفع مستوي الكفاءة النفسية لحياتهم كي يتخلصوا من أي اضطراب نفسي قد يحيق بهم.	قراءة الشفاه, استثارة الدافعية, الهجاء الإصبعي و العمل الجماعي	جماعي	ساعة
8	مناقشة دور كل فرد في تنمية الايجابيات واستغلالها , والتعرف	قام الباحث بالاطلاع على المشكلات لدى أفراد العينة	المحاضرات, والمناقشات الجماعية,	جماعي	ساعة

	إلى أي مدى تم تحقيق كل فرد لهدفه.	واستجاباتهم المختلفة تجاهها.	فنية اللغة الاستقبالية		
9	قام الباحث بمساعدة أفراد العينة لتقبل نفسه كما هو بمزاياه وعيوبه , مع الاستفادة من برنامج التواصل الكلي وفنياته لمواجهة المشكلات النفسية الخاصة بهم.	الاستجابة الصحيحة لمشكلات أفراد عينة البحث, وإدراك الفرص المتاحة في الحياة.	الحوار و فنية اللغة التعبيرية	جماعي	ساعة
10	إتاحة الفرصة لأفراد العينة لتمثيل مشكلاتهم, واكتشاف الأسلوب المناسب لحلها.	يمثل كل فرد مشكلته بالتعاون مع الآخرين لبيان الاستجابة تجاه هذه المشكلة, ثم تسجيل الاستجابة الصحيحة	الواجبات المنزلية, التعبيرات الوجهية اللوجو دراما	جماعي	ساعة
11	تقييم فاعلية البرنامج من خلال القياس البعدي بتطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية على أفراد العينة مرة أخرى, عقب انتهاء البرنامج, مع التأكيد على تطبيق المقياس بعد مرور شهرين لتتبع أثر البرنامج المستخدم بالدراسة.	إجراء القياس البعدى, على أفراد عينة الدراسة للتأكد من مدى استفادتهم من إجراء البرنامج المعد سلفاً.	تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية	جماعي	ساعة

خطوات الدراسة

1- تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية على عينة من المراهقين ذوى الإعاقة السمعية بالمرحلة الإعدادية والثانوية بمدارس الأمل للصم وضعاف السمع بالقاهرة الكبرى بلغ قوامها (35) مراهقا، لديهم فقدان سمعي متوسط مابين(56-70) ديسيبل

2- اختيار عينة الدراسة (10) من المراهقين المعاقين سمعياً منخفضي الشعور بكفاءة الحياة النفسية طبقاً لمقياس كفاءة الحياة النفسية المستخدم في الدراسة.

3- تطبيق برنامج التواصل الكلى على أفراد العينة.

4- تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية على أفراد العينة مرة أخرى بعد تطبيق برنامج التواصل الكلى عليهم مباشرة، وذلك في الجلسة العلاجية الأخيرة لمعرفة أثر البرنامج المستخدم في الدراسة.

5- تطبيق مقياس كفاءة الحياة النفسية على أفراد العينة مرة أخرى بعد مرور شهرين على الأقل وذلك لتتبع أثر البرنامج المستخدم في الدراسة.

6- المعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام اختبار "ويلكوكسون" لاختبار دلالة الفروق للمجموعات المرتبطة وذلك للخروج بالنتائج وتفسيرها.

نتائج الدراسة وتفسيرها:

قام الباحث باستخدام اختبار "**ويلكوكسون Wilcoxon** " للمجموعات المرتبطة لاختبار صحة الفروض، لملائمته للمعالجة الإحصائية، نظراً لصغر حجم العينة نسبياً.

النتائج المتعلقة بالفرض الأول

الذي ينص على أنه: "توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة قبل تطبيق برنامج التواصل الكلي، ومتوسطات رتب درجات نفس أفراد العينة بعد التطبيق في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية في اتجاه انخفاض المتوسط بعد تطبيق البرنامج"؛ وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باستخدام اختبار **ويلكوكسون Wilcoxon** للمجموعات المرتبطة، لملائمته للمعالجة الإحصائية، نظراً لصغر حجم العينة، طبقا للجدول التالي:

جدول(6) يوضح الفروق بين متوسطات رتب درجات الأطفال في القياسين القبلي والبعدي لمستوى كفاءة الحياة النفسية باستخدام اختبار ويلكوكسون

الأبعاد	الرتب	العدد(ن)	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة
تقبل الذات	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,736	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
معني الحياة	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,750	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
الاستقلال الذاتي	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,723	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
طبيعة النمو الشخصي	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,738	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
التواصل الاجتماعي	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,724	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
الاتزان الانفعالي	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,755	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		
الدرجة الكلية	الرتب السالبة	صفر	صفر	صفر	- 2,736	0,001
	الرتب الموجبة	10	5,5	55		

ويتضح من الجدول السابق وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوي 0,01 بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة قبل تطبيق برنامج التواصل الكلي، ومتوسطات رتب درجات نفس أفراد العينة بعد التطبيق في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية في اتجاه ارتفاع المتوسط بعد تطبيق البرنامج، كما يتضح من الجدول السابق وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة في القياسين القبلي

والبعدي لمستوي كفاءة الحياة النفسية كدرجة كلية من ناحية؛ وكأبعاد لكفاءة الحياة النفسية من ناحية أخري، وهذه الفروق ايجابية لصالح القياس البعدي، مما يؤكد صحة الفرض الأول للبحث، ويفسر الباحث تلك النتيجة من منطلق جدوى برنامج التواصل الكلي في توفير الخبرات والممارسات والأنشطة التي تم توظيفها عبر فنيات البرنامج لرفع معدل كفاءة الحياة النفسية لدى عينة الدراسة من المراهقين المعاقين سمعياً، بطرق واستراتيجيات مختلفة، مما ساعد على إحداث تغيرات إيجابية في الرضا النفسي لأفراد العينة عن أنفسهم من خلال أنشطة محببة لهم تجعلهم يستمتعون بما لديهم من إمكانات، وقدرات شخصية، والتي أمكن توظيفها في إقامة علاقات إيجابية في ظل مناخ من الاستقرار النفسي، ويتفق ذلك مع الدراسات التي قام بها(إبراهيم وآخرون، 2014)؛ و(الخالدي وآخرون، 2013)؛ و(النجار, 2013)؛ وكذلك دراسات:

(Haihua, et al, 2014, p1-15) (Hintermair,2011, pp 254-271) (Sirigatti, 2014, p 429-450)

التي أكدت على أهمية البرامج الإرشادية والعلاجية لتخفيف الاضطرابات السلوكية لدى المعاقين سمعياً؛ كما أكدت على أهمية فنيات التواصل الكلي كأحد الطرق في مجال الإرشاد والعلاج النفسي وتطبيق تلك الفنيات على المعاقين سمعياً لتنمية كفاءة الحياة النفسية لديهم.

النتائج المتعلقة بالفرض الثاني

الذي ينص على أنه: لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة بعد تطبيق البرنامج التواصل الكلي, ومتوسطات رتب نفس الأفراد بعد فترة المتابعة في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية؛ وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باستخدام اختبار **ويلكوكسون Wilcoxon** للمجموعات المرتبطة، طبقا للجدول التالي:

جدول(7) يوضح الفروق بين متوسطات رتب درجات الأطفال في القياسين البعدي والتتبعي لمستوي كفاءة الحياة النفسية باستخدام اختبار ويلكوكسون

الأبعاد	الرتب	العدد(ن)	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوي الدلالة
تقبل الذات	الرتب السالبة	5	5,37	26.85	-0,08 1	غير دالة
	الرتب الموجبة	5	5,62	28.1		
	الرتب المتعادلة	صفر				
معني الحياة	الرتب السالبة	5	3,31	16,55	-0,31 5	غير دالة
	الرتب الموجبة	3	6,4	19.2		
	الرتب المتعادلة	2				
الاستقلال الذاتي	الرتب السالبة	4	2,82	11,82	-0,15 6	غير دالة
	الرتب الموجبة	2	4,18	8,36		
	الرتب المتعادلة	4				
طبيعة النمو الشخصي	الرتب السالبة	4	4,75	19	-0,33 8	غير دالة

	الرتب الموجبة	4	3	12		
	الرتب المتعادلة	2				
التواصل الاجتماعي	الرتب السالبة	5	4,2	21	0,22 – 4	غير دالة
	الرتب الموجبة	4	4	16		
	الرتب المتعادلة	1				
الاتزان الانفعالي	الرتب السالبة	4	3,76	15,04	0,54 – 4	غير دالة
	الرتب الموجبة	3	4,82	14,46		
	الرتب المتعادلة	2				
الدرجة الكلية	الرتب السالبة	6	5,1	30,6	0,33 – 6	غير دالة
	الرتب الموجبة	4	6,17	24,68		
	الرتب المتعادلة	صفر				

ويتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة بعد تطبيق البرنامج التواصل الكلي، ومتوسطات رتب نفس الأفراد بعد فترة

المتابعة في مقياس كفاءة الحياة النفسية للمراهقين ذوى الإعاقة السمعية، كما يتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات رتب درجات أفراد العينة في القياسين البعدي، والتتبعي لمستوي كفاءة الحياة النفسية كدرجة كلية من ناحية؛ وكأبعاد لكفاءة الحياة النفسية من ناحية أخري، مما يؤكد صحة الفرض الثاني للبحث، ويفسر الباحث ذلك في استمرار ممارسة عينة الدراسة للمهارات والسلوكيات التي تتدربوا عليها أثناء تنفيذ البرنامج، مما يؤكد اكتساب عينة الدراسة للمهارات المراد تعلمها، واستمرار تلك الخبرات والمهارات معهم بعد فترة التدريب.

خاتمة

استنادا لنتائج البحث الحالي المؤكدة لفاعلية البرنامج المستخدم في تحسين كفاءة الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين المعاقين سمعياً يقدم الباحث بعض التوصيات التالية:

1- يجب تشجيع المعاقين سمعياً على الاندماج والتفاعل فيما بينهم من جهة وبينهم وبين المجتمع من جهة أخري، إلى أقصى حد ممكن، مع العمل على ضرورة مشاركتهم في أكبر عدد ممكن من الأنشطة، مع أهمية توفير الفرص المناسبة له للمشاركة في أنشطة بديلة عند عدم مقدرتهم على المشاركة في الأنشطة العادية.

2- يحتاج المجتمع المحيط بالمعاقين سمعياً أن يتعلم مهارات التعامل معهم، سواء في البيت أو المدرسة أو المراكز المخصصة لمثل هذه الحالات وذلك من خلال قبول حالته وعدم الشعور بالذنب، ومعاملته دون تمييز أو مبالغة قدر الإمكان، وتوضيح قدراته لأخوته وللأشخاص الآخرين.

3- تشجيع المعاقين سمعياً على أخذ موقف قيادي بين الحين والآخر أسوة بإخوانه لكي يشعر بالثقة وتشجيعه على استغلال ما لديه من بقايا سمعية.

4- إعطاء المعاق سمعيا التفسيرات الكافية للأحداث المختلفة، وتزويده بالمعرفة فيما يتعلق بسلوكه.

❖ **هوامش البحث**

(1) إبراهيم، سمير السيد شحاتة؛ سليمان، محمد سيد؛ رضوان ، محمد محفوظ محمد (2014). **فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتنمية الكفايات التدريسية لمعلمي الصم بمدينة عرعر**. مصر: مجلة التربية الخاصة والتأهيل، 1(3), 142 – 167.

(2) أحمد, بشري إسماعيل(2009). **جودة الحياة وأساليب مواجهة الضغوط وعلاقتهما بقلق الموت والاكتئاب لدي المسنين**. مصر: مجلة كلية التربية بالزقازيق, 59, 135 – 213.

(3) الحداد، عبدالكريم سليم (2013). **فاعلية استخدام إستراتيجية قائمة على المدخل الكلي في تدريس القراءة في تحسين مهارات الاستيعاب القرائي لدى طلبة الصف التاسع الأساسي**. الأردن: مجلة دراسات العلوم التربوية. 40، 480 – 489.

(4) الحميدي، حسن عبد الله (2014). **تطور الأفكار اللاعقلانية بمرحلتي المراهقة المبكرة و المتوسطة لدى المراهقين الكويتيين**. الكويت: مجلة العلوم الاجتماعية. 42 (2)، 49 – 82.

(5) الخالدي، أحمد حاشوش(2013). **فاعلية الإرشاد النفسي الجماعي لتحسين التوافق لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية البسيطة, مجلة كلية التربية**. مصر: مجلة جامعة الأزهر.153(1), 539 – 575.

(6) السيد، سامي عبد السلام؛ مظلوم، مصطفى علي؛ عبد العال، تحية محمد؛ توفيق، صلاح الدين محمد(2011). **فاعلية الذات و علاقتها بمستوى الطموح المهني لدى عينة من المراهقين من ذوي الإعاقة السمعية**. مصر: مجلة كلية التربية. جامعة بنها. 22 (85)، 338.

(7) الشمري، طارش بن مسلم سليمان(2003). **الأسباب المساهمة في حدوث الإعاقة السمعية في المملكة العربية السعودية**، مصر: مجلة الإرشاد النفسي، 17، 97 – 154.

(8) الصايغ، آمال مصطفى منشاوي (2013). **دراسة مقارنة لمهارات التآزر البصري الحركي و مستوى الصلابة النفسية في ضوء متغيري الإعاقة السمعية / السواء لدى عينة من طالبات الجامعة**. مصر: مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. 152(1) , 143 - 164 .

(9) المنيعي, عثمان على؛ الريس، طارق صالح(2014). **الفهم القرائي والتعبير الكتابي لدى الطلاب الصم الملتحقين بكليات المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني في المملكة العربية السعودية**. مصر: مجلة التربية الخاصة والتأهيل. مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل. 1(3)، 82- 112.

(10) النجار، أماني محمد رائد خليل(2013). **فعالية برنامج علاجي قائم على أنشطة اللعب لتخفيف قلق المستقبل وأثره في تحسين مستوى الطموح لدى المراهقات الصغار ضعاف السمع.** مصر: مجلة كلية التربية. جامعة بنها. 24 (94)، 159 - 205.

(11) القطان، سامية عباس؛ الخولي، هشام عبد الرحمن؛ جاب الله، منال عبد الخالق؛ سليم، دعاء محمد (2011). **دراسة لسلوك المشاغبة لدى عينة من المراهقين الصم في ضوء سلوكيات جماعة الأقران**.مصر: مجلة كلية التربية .جامعة بنها. 22(88) 272 - 303 .

(12) الهبيده، جابر مبارك (2014). **بعض المشكلات السلوكية المرتبطة بأبعاد التوافق النفسي لدى مجموعة من المراهقين ضعاف السمع بدولة الكويت**. مصر: مجلة دراسات الطفولة. 16(58)، 30 - 45.

(13) انصوره، نجاة عيسى حسين؛ عبد الخالق ، شادية أحمد (2012). **دراسة مقارنة للشره العصبي لدى عينة من المراهقين المعوقين سمعيا من الجنسين**. مصر: مجلة البحث العلمي في الآداب. كلية البنات. جامعة عين شمس. 13(4)، 799 - 817.

(14) أنيسة, ركاب(2013), **الدمج المدرسي للمعاقين سمعياً.التجربة الجزائرية.** الجزائر: مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية الإنسانية. 10، 45 - 51.

(15) بدران، ميرفت بيومي علي أحمد؛ هاشم، سامي محمد موسى؛ عمر، عمرو رفعت؛ أبو زيد ، أحمد محمد (2011)، **فعالية برنامج باستخدام التواصل الكلي لتنمية القدرة اللغوية لدى الأطفال الصم**، مصر: مجلة كلية التربية ببورسعيد. 9، 178 - 197.

(16) احمد, بشرى إسماعيل (2008). **الذكاء الروحي وعلاقته بجودة الحياة**. مصر: مجلة رابطة التربية الحديثة. 1(2)، 313 – 389.

(17) بغورة، صبحة (2014). **في بيتنا مراهق.** السعودية: مجلة الأمن والحياة. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. 33(383)، 78 – 81.

(18) حمادنة، برهان محمود؛ شرادقة، ماهر تيسير(2014). **الفروق في مستوى فاعلية الذات لدى عينة أردنية من الطلبة المعوقون سمعيا في جامعة اليرموك**. فلسطين: مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية. 2 (5) 177 – 208.

(19) سالم، سري محمد رشدي(2011). **فاعلية برنامج تدريبي لعلاج بعض اضطرابات النطق لدى الأطفال ضعاف السمع الملحقين بفصول الدمج بالمدرسة العادية**. مصر: مجلة الثقافة والتنمية. 44، 210-261.

(20) سوالمة، سامر محمد علي(2010). **فاعلية برنامج تدريبي في تحسين استراتيجيات التواصل لدى الطلبة المعاقين سمعياً**. مصر: مجلة الثقافة والتنمية. 32، 279 – 336.

(21) شاهين، هيام صابر(2013). **الأمل والتفاؤل مدخل لتنمية الصمود النفسي لدى عينة من المراهقين ضعاف السمع**. البحرين: مجلة العلوم التربوية والنفسية. 14(4)، 513 – 653.

(22) عبد الحميد، وائل رمضان (2013). **العلاقة بين نمط التدوين المصغر في مقابل المكبر للمحتويات المصورة عبر الويب والأسلوب المعرفي الكلي في مقابل التحليلي في تنمية التحصيل والاتجاه نحو التدوين الإلكتروني**. مصر: مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر، 155(2)، 13 – 76.

(23) عبد الرحمن العيسوي (2009). **سيكولوجيا المراهق المسلم المعاصر**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(24) عبد القادر، رباب سيد؛ هاشم، سامي محمد موسى؛ بنهان، بديعة حبيب(2011). **بناء وتقنين مقياس مفهوم الذات للمراهقة الصماء**.مصر: مجلة كلية التربية بالإسماعيلية. 21، 235-263.

(25) عبد الهادي، سهير محمد محمد توفيق(2014). **برنامج مقترح لبعض الأنشطة العلمية والمعملية وأثره على تنمية مهارتـــي الاستماع والتحدث لدى الطالبات المعاقات سمعيا بالصفوف الثلاث الأولى من التعليـم الأساسـي.** مصر: مجلة التربية الخاصة والتأهيل. مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل. 1(2), 45- 91.

(26) عطية, محمد (2012). **فعالية برنامج تدريبي قائم على إستراتيجية مساعدة الأقران في تصحيح عيوب النطق لدى عينة من الأطفال ضعاف السمع**. مصر: مجلة كلية التربية بالزقازيق. 74، 1- 93.

(27) عيد، وائل عبد الله محمد (2013). **أنماط التواصل الأسرى وعلاقتها باللغة التعبيرية والتوافق النفسي لدى عينة من الأطفال ضعاف السمع**. مصر: مجلة القراءة والمعرفة. 139، 61- 88.

(28) فيصل، ضياء أبو عاصي (2013). **فاعلية برنامج تدريبي لتحسين جودة الحيـاة للأطفال المعاقيـــن سمعياً.** مصر: مجلة القراءة والمعرفة. 136، 191 - 216.

(29) كفافي, علاء الدين (2005)، **الصحة النفسية والإرشاد النفسي**، (ط2)، الرياض: دار النشر الدولي.

(30) محفوظ، عبد الرؤوف إسماعيل (2012). **فاعلية برنامج علاجي لمعالجة الاضطرابات الصوتية والنطقية في بعض مدارس رياض الأطفال بمحافظة الزرقاء بالأردن**. السعودية: مجلة الدراسات العربية في التربية وعلم النفس. 23, 143 - 172.

(31) مرسي، منى مصطفى فرغلي (2013). **مقياس المهارات الاجتماعية للمراهقات**. مصر: مجلة الإرشاد النفسي. 35، 631 - 657 .

(32) محمد، وائل عبد الله عيد(2013). **أنماط التواصل الأسري وعلاقتها باللغة التعبيرية والتوافق النفسي لدى عينة من الأطفال ضعاف السمع**. مصر: مجلة القراءة والمعرفة. 139, 61 - 88 .

(33) ملكاوي، محمود زايد محمد(2011). **فاعلية برنامج تدريبي لتحسين نطق الأصوات العربية لدى الأطفال المعاقين سمعياً**. سوريا: مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية. 2، 489 - 530.

(34) منصـور, السيد كامل الشربيني، (2005)، **جودة الحياة وعلاقتها بالذكاء الانفعالي وسمة ما وراء المزاج والعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية والقلق**, مجلة كلية التربية بالعريش- جامعة قناة السويس.

(35) يحيى، خولة أحمد؛ ملكاوي، محمود زايد؛ المومني، محمود عاطف(2011). **فاعلية برنامج تدريبي محوسب لتعليم مهارات القراءة بالطريقتين التواصل الكلي والطريقة الشفوية لأطفال الروضة المعوقين سمعيا.** سوريا: مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. 9 (3)، 101 - 134.

(36)

atmaz, İbrahim; Sarıyıldız, Mustafa; Dilek, Banu; Bez, Yasin; Karakoç, Mehmet; Çevik, Remzi (2013). **Sleep quality and associated factors in ankylosing spondylitis: relationship with disease parameters, psychological status and quality of life**. Rheumatology International. 33 (4), 1039-1045.

(37)

unta, Ferenc; Douglas, Michael; Nippold, Marilyn; Joffe, Victoria(2013). **The Effects of Dual-Language Support on the Language Skills of Bilingual Children With Hearing Loss Who Use**

Listening Devices Relative to Their Monolingual Peers. Language, Speech & Hearing Services in Schools. 44 (3), 281-290.

(38)

aihua Bai; Xukui Yang; Temuribagen; Guilan; Suyalatu; Narisu Narisu; Huiguang Wu; Yujie Chen (2014). **A rare novel mutation in TECTA causes autosomal dominant nonsyndromic hearing loss in a Mongolian family**. BMC Medical Genetics ,15 (1), 1-15.

(39)

entermair, M (2011).**Health-Related Quality of Life and Classroom Participation of Deaf and Hard of Hearing Student in General School**. Journal of Deaf Studies and Deaf Education.16 (2), 254-271.

(40)

ond, Jonathan; Mitchison, Deborah; Latner, Janet; Hay, Phillipa; Owen, Cathy; Rodgers, Bryan,(2013). **Quality of life impairment associated with body dissatisfaction in a general population sample of women**. BMC Public Health. 13 (1), 1-11.

(41)

orrix, Linda, W; Velenovsky, David S (2014). **Auditory Neuropathy Spectrum Disorder :A Review**. Journal of Speech ,Language & Hearing Research. 57 (4), 1564 -1576.

(42)

ercy-Smith, Lone; Busch, Georg; Sandahl, Minna; Nissen, Lena; Josvassen, Jane Lignel; Lange, Theis; Rusch, Ea; Cayé-Thomasen (2013). **Language understanding and vocabulary of early cochlear**

implanted children. International Journal of Pediatric Otorhinolaryngology. 77 (2), 184-188.

(43)

yff,C.& Urry, H&Singer,B (2006). **Psychological well-being and Ill-being**. ,Journal of Psychotherapy &Psychosomatics, 75, 85- 95.

(44)

irigatti, Saulo; Penzoa, Ilaria; Giannetti, Enrichetta; Stefanile, Cristina.(2014). **The Humor Styles Questionnaire in Italy: Psychometric Properties and Relationships With Psychological Well-Being**. Europe's Journal of Psychology. 10 (3), 429-450.

اختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية

- دراسة ميدانية بـ (جامعة الجزائر -2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة)-

الدكتور: حسين غريب
جامعة الجلفة، الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة إلى اختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية من خلال بناء مقياس المستويات المعرفية فى ضوء النموذج النظرى المعرفى لـ (Bloom, et al. 1983) واختبار مدى ارتباط درجات الطلبة في المقياس الحالى بنتائجهم في الامتحانات، وقد بلغت عينة الدراسة (430) فردا منهم (295) طالبة و(135) طالبا موزعين على ثلاث جامعات مختلفة من الوطن هى:(جامعة الجزائر-2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة)، وقد توصلنا إلى أن المقياس الذي تم بناؤه يتمتع بالخصائص السيكومترية: (الثبات، الصدق، الموضوعية ، الشمولية، المعايرة).

Abstract:

The objective of this study is the evaluation of the effectiveness of the examinations at the measuring cognitive levels among students, for it was made a test of cognitive levels, also has been discovered the relationship between the degrees cognitive levels of students and their results in the examinations. The study sample consists of (430) members, (295 students) and (135 students) in three different universities in the country that are (University of Algiers-2, University of Djelfa Ouargla University) using the descriptive method (correlation studies), and (SPSS) to treat assumptions We found that the test is characterized by: (reliability, validity, objectivity, comprehensiveness and calibration).

مقدّمة:

"يتوقف نجاح وتصنيف الجامعة دوليا بشكل أساسي على تقييم إنجازاتها العلمية، ففي الوقت الذي تسعى فيه الجامعات الغربية إلى تحقيق براءات الاختراع وتشجيع طلبتها على تطوير التكنولوجيا ومواكبة العصر، نجد أن جامعاتنا الجزائرية مازالت منهمكة في إكساب الطالب المعارف وتحديد مصيره الدراسي هل هو ناجح أم فاشل ؟ ضاربةً بذلك عرض الحائط كل إمكانياته وقدراته ومهاراته التي ألحت عليها أحدث النظريات المعرفية، حيث مازال التقييم في جامعاتنا يعتمد بشكل أساسي على الامتحانات التي تعرضت للنقد بسبب تركيزها على الجانب المعرفي للطالب.

1. إشكالية البحث:

تفشل الامتحانات النظامية في قياس عدة جوانب من الأداء الدراسي مثل المهارة في حل المشكلات، القدرة على التفكير المنطقي، القيم، الاتجاهات النفسية السليمة للطالب والتي تتفق مع المعايير الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع، كما تركز على تحديد مستوى نجاح الفرد الذي يحرزه أو يصل إليه في المادة الدراسية أو المجال التعليمي، لكن الأداء الدراسي يرتبط بمدى تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية والتكوينية [1].

لقد اقترح النموذج النظري المعرفي الذي قدمه (Bloom et al, 1983)، حلولا لتجاوز عيوب الامتحانات، حيث يرى أن تطور الأداء الدراسي يمكن وصفه من خلال تغيرات معينة في سلوك الطلاب والتي تظهر في المجال المعرفي من خلال (القدرة على الفهم والاستيعاب، المعرفة، التحليل، التركيب، التطبيق، التقويم) [2].

كما اطلعنا على دراسات سابقة من سنة (1960) إلى سنة (2011) أي منذ حوالي (50) عاما، حيث تبين لنا -في حدود درايتنا- أن الباحثين اعتمدوا

بشكل أساسي على تقييم رصيد الطالب المعرفي ولم يقوموا بتقييم مختلف المستويات المعرفية التي دعى إليها (Bloom et al, 1983).

وبالتالي فإن بناء أداة فعالة تقيس المستويات المعرفية للطلبة أصبحت ضرورة ملحّة من أجل استخدامها في التقييم الفعلي للأداء الدراسي وكذا التحقق بمدى ارتباطها بدرجات الطلبة في الامتحانات ولتحقيق هذين الهدفين نقوم بطرح تساؤلين هما:

1. هل يتمتع مقياس المستويات المعرفية الحالي بالخصائص السيكومترية اللازمة ؟
2. هل ترتبط درجات مقياس المستويات المعرفية الحالي بدرجات الامتحانات النظامية لدى طلبة العلوم الاجتماعية ؟
3. **الفرضيات:**

1. يتمتع مقياس المستويات المعرفية الحالي بالخصائص السيكومترية: (الثبات، الصدق، الموضوعية ، الشمولية، المعايرة).
2. ترتبط درجات مقياس المستويات المعرفية الحالي بدرجات الامتحانات النظامية لدى طلبة العلوم الاجتماعية.

4. أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية دراستنا في كونها تسعى إلى اختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية ، وذلك من خلال بناء مقياس المستويات المعرفية لدى طلبة العلوم الاجتماعية بناءً على النموذج النظري المعرفي لـ (Bloom et al, 1983)، ونتبع في بناء هذا المقياس خطوات علمية دقيقة، انطلاقا من الاطلاع على البحوث و الدراسات التي تناولت الموضوع ثم تحليل الخاصية إلى وقائع سلوكية و من ثم تقسيم الخاصية إلى أبعاد فرعية مرورا بدراسته السيكومترية وصولا إلى تقنينه وتطبيقه النهائي ميدانياً على عينة الدراسة ثم قياس العلاقة الارتباطية بين درجات الطلبة في المستويات المعرفية ودرجاتهم في

الامتحانات النظامية لمعرفة مدى قياس تلك الامتحانات لمستويات الطالب المعرفية.

5.حدود الدراسة:

تختص دراستنا بتقييم جانب مهم في المسار الدراسي للطالب وهو المستويات المعرفية ، وذلك من خلال بناء أداة تقيس تلك المستويات المعرفية لدى طلبة العلوم الاجتماعية في قسم التدرج، وهم من ثلاث جامعة مختلفة من الوطن هي: (جامعة الجزائر -2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة) خلال السنة الدراسية (2012/ 2013)، حيث تتراوح أعمارهم بين (18 و 30) سنة فهم طلبة خارجيون و داخليون و يختلفون فيما بينهم في الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و الأسرية و النتائج الدراسية.

6.مفاهيم البحث:

أ- المستويات المعرفية:

عرفها (Bloom.B) بأنها المستويات التي يكتسب فيها الطالب معرفة عقلية وذهنية تتعلق بمعلومات ونظريات وحقائق وغيرها من المعرفة إما التي تتطلب منه الذاكرة وتشغيل العقل والتفكير ومثال ذلك أن يقرأ الطالب، أن يحلل، أن يقرأ، أن يفترض، أن يفسر، أن يقارن، أن يصمم، أن يكتشف، وكل ما يندرج ضمن أهداف النمط المعرفي الإدراكي. (3)

- **التعريف الإجرائي للمستويات المعرفية:**

هي مجموعة القدرات التي يتمتع بها الطالب وهي القدرة على الفهم والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم والمعرفة خلال القيام بنشاطاته الدراسية. والتي تقاس بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب عند اجابته على بنود المقياس المعد في البحث الحالي.

ب- مفهوم التحصيل الجامعي:

هو الدرجة التي تحدد مستوى نجاح الفرد الذي يحرزه أو يصل إليه في المادة الدراسية أو المجال التعليمي. (4)

- **التعريف الإجرائي للتحصيل الجامعي:**

نقصد بالتحصيل الجامعي في دراستنا، النتائج التي تحصل عليها طلبة العلوم الاجتماعية في امتحان السداسي الأول من السنة الدراسية (2012/ 2013).

ج- الامتحان النظامي:

هي أداة تقييم بيداغوجية تُطبق مرة أو أكثر في كل سنة جامعية بهدف جمع بيانات حول قدرات ومعارف الطلاب في مادة دراسية معينة، فهي تعتمد على طرح أسئلة مفتوحة تتطلب إجابة قصيرة أو مطولة، كما يمكن أن تتضمن أسئلة مغلقة تعتمد على اختيار الإجابة الصحيحة (5).

د. النموذج النظري المعرفي لـ (Bloom et al, 1983):

أكد (Bloom) أن أبعاد الأداء الدراسي يمكن وصفها من خلال تغيرات معينة في سلوك الطلاب والتي تظهر في مجالات، أهمها : المجال المعرفي من خلال ما يقوم به الطالب من عمليات معرفية كالإدراك والحفظ والتذكر وما يظهره الطالب من قدرات كالقدرة على الفهم والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم خلال إنجاز نشاطاته الدراسية (6).

4. الدراسات السابقة:

1) دراسة (لورد وبافيسكار) (Lord & Baviskar,2007):

أجرى الباحثان دراسة تحليلية على طلبة الدراسات العليا في كلية العلوم في "نيويورك" الأمريكية، حيث وجدوا أن فهمهم وتطبيقهم لما تعلموه في مواد العلوم وهم في المرحلة الجامعية أقل بكثير مما يسترجعوه من حقائق ومعلومات جزئية في هذه المواد، وعزا ذلك إلى أن مادة العلوم في الجامعات

تدرس بطريقة تركز على الحقائق والتفاصيل والتعريفات، وأن المدرسين يقيمون الطلاب بناءً على قدرتهم على استرجاع هذه المعلومات وتلخيصها، وكنتيجة لذلك فالطلبة في دراستهم يركزون على حفظ المصطلحات والتعريفات، في حين يقضون وقتا أقل في تطبيق المعلومات وتحليلها والاستفادة منها ولتصحيح هذه المشكلة، يقترح الباحثان على أن يستخدموا في اختباراتهم أسئلة تقيس عمليات عليا، ومتوسطة في التفكير، وليس فقط الدنيا، حيث أن مثل هذه الأسئلة ستحفز الطلبة على الدراسة بشكل مختلف من شأنه أن ينمي عندهم المستويات العليا من التفكير كما تكلم عنها " بلوم".[10]

2) دراسة (لعابدين، 2007):

هدفت إلى تحليل الأهداف السلوكية الواردة في الخطط الدراسية اليومية التي يضعها المعلمون في" أكاديمية القاسمي "لإعداد المعلمين في مدينة" باقة الغربية "في فلسطين مستعينين بتصنيف" بلوم"، لمستويات الأهداف ووجد نتيجة التحليل أن (٧٤%) من الأهداف انحصرت في المجال المعرفي، وأن (٤.١٨ %) انحصرت في المجال الوجداني، في حين أن (٦.٧ %) فقط تعلقت بالمجال النفس – حركي، كما وجد أن (٦.٨٢ %) من الأهداف المعرفية كانت تتعلق بمستويات التفكير الدنيا كالتذكر، مقابل (٤.١٧ %) تتعلق بمستويات التفكير العليا كالتحليل، والتركيب، والتقويم.

3) دراسة (وانج وَ فارمر) (Wang & Farmer,2008):

حاول الباحثان التحقق فيما إذا كان معلمو برامج التعليم المستمر في الجامعات الصينية يدرّسون بطريقة تنمي المستويات الدنيا من التفكير أم العليا وذلك بالرجوع إلى تصنيف" بلوم " للأهداف المعرفية، وقد اقترح الباحثان بناءً على ذلك، تنظيم حلقات دراسية تدرب المعلمين على كيفية تنمية التفكير الناقد لدى طلبتهم والمستويات العليا وذلك عن طريق إتاحة الفرصة لهم بالانخراط أكثر في عملية التعليم، ومن ثم التعلم بطريقة منفتحة وبحرية أكثر. [11]

4) دراسة (أفنان، دروزه 2011) (Afnan Darwazeh):

قامت الباحثة بدراسة "درجة مراعاة المعلمين في مدارس محافظة "قلقيلية" لمستويات "بلوم" للأهداف المعرفية في تخطيطهم للتدريس"، وكانت أهم النتائج التي أظهرتها هي أن المعلمين يراعون مستويات "بلوم" للأهداف المعرفية بنسبة جيد جدا (٨٠.٨٠%) ، وقد حظي مستوى التذكر بأعلى النسب، يليه على التوالي وبفرق له دلالة إحصائية مستوى الفهم، فالتحليل، فالتطبيق، فالتركيب، فالتقويم، ولم يظهر فرق إحصائي بين مستويي التذكر والتحليل، ولا بين التركيب والتقويم، كما وجدت الدراسة أن معلمي المرحلة الثانوية يراعون مستويات "بلوم "للأهداف المعرفية بشكل أفضل من معلمي المرحلة الأساسية، وبفرق له دلالة إحصائية، وأن الذين التحقوا بعدد دورات تأهيلية تراوحت من ست إلى عشرة دورات راعوا هذه المستويات بشكل أفضل من الذين التحقوا بأقل من عشرة دورات، وبفرق له دلالة إحصائية، هذا وجاءت النتائج ضمن مناقشات وتوصيات لدراسات مستقبلية لاحقة.[13]

5) دراسة (Christopher M. Estepp et al, 2013):

قام الباحثون بدراسة بعنوان: "فحص أنشطة التعلم، المستوى المعرفي للتعليم، لدى المدربين الناجحين في كلية الزراعة"

وكشفت النتائج أن المدربين استخدموا بنجاح المحاضرة معظم الوقت، كما تم تطبيق مجموعة متنوعة من أنشطة التعلم مثل التعلم التعاوني، والمناقشة، والجدال، والتطبيق الفردي، وهذا يندرج في تعليم المدربين على المستويات المعرفية الدنيا، ما عدا عند استخدام التعلم التعاوني وعلاوة على ذلك، أظهرت النتائج أن هؤلاء المدربين أظهروا بنجاح السلوكيات الإيجابية الفورية للتدريس. [14]

كما اهتم أيضا منظرون بالمستويات المعرفية، فقد دعى (بلوم وبرودر، 1958) إلى ضرورة اعتماد التفكير والتذكر كمعايير تقييم لأداء الطالب لأنها تساعد حقا على اختراق أسرار الصندوق الأسود المتمثل في اتقان الأداء الدراسي

(Bloom, B. & Broder, L. 1958)، وقد أعطى "بلوم" أهمية كبيرة للفروق الفردية بين الطلاب إلا أن ذلك لم يمنعه من التشديد على ضرورة توحيد أهداف التعليم التي يجب أن يحققها كل الطلاب لأنها محكات نصدر على أساسها مستوى الأداء الدراسي ومن ثم النجاح أو الفشل الدراسي [15]، كما قام "كراثوول" بتقسيم المعرفة إلى معرفة واقعية ومفاهيمية وإجرائية [16].

بينما أكد "بلوم" أنه يمكن قياس المهارات المعرفية على خط ممتد من البسيط إلى المعقد في شكل هرم يتكون من ستة مستويات متزايدة التعقيد وهي: المعرفة والإدراك والتطبيق والتركيب والتقييم والتحليل [17].

7. منهج الدراسة:

استخدمنا المنهج الوصفي الارتباطي التي تهتم بدراسة العلاقات الارتباطية بين المتغيرات في وضعها الطبيعي لتكشف عن أهمية المتغيرات التي لها دور في تفسير ارتفاع وانخفاض الظواهر المدروسة ومن ثم استخلاص حقائق علمية تساعد على إزالة الغموض وتفسير التغيرات، ونستخدم هذا المنهج لأنه يتناسب مع أهداف دراستنا، حيث نقوم ببناء أداة لقياس المستويات المعرفية بناءً نظرية "بلوم"، كما نقوم بدراسة مدى ارتباطها بدرجات التحصيل الجامعي لدى طلبة العلوم الاجتماعية.

8. مجتمع الدراسة:

يقصد بمجتمع الدراسة جميع العناصر التي لها علاقة بالمشكلة المطروحة والتي يسعى الباحث إلى تعميم نتائج دراسته عليها [18].

نجري دراستنا على مجتمع طلاب وطالبات العلوم الاجتماعية بجامعات جزائرية حيث يزاولون دراستهم في طور التدرج ويتوزعون على (03) ثلاث جامعات من الوطن هي: (جامعة الجزائر-2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة) ويبلغ عددهم أكثر من(4300) أربعة آلاف وثلاث مئة طالبا وطالبة، وهم طلبة داخليون وخارجيون من ولايات الوطن ويختلفون فيما بينهم في الظروف البيئية

والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والنتائج الدراسية، وقد اختيرت تخصصات العلوم الاجتماعية لأنها تشترك فيما بينها في طرق التدريس والنشاطات الدراسية والوسائل المستخدمة في تقييم الأداء الدراسي للطلبة.

ونمثل مجتمع الدراسة الحالية في الجدول الآتي:

جدول رقم (1): توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب الجامعات والجنس

الجامعات / الجنس	جامعة الجزائر -2-	جامعة الجلفة	جامعة ورقلة	كل الجامعات	النسبة المئوية
عدد الذكور	398	780	175	1353	% 31.43
عدد الإناث	1414	840	697	2951	% 68.57
المجموع الكلي	1812	1620	872	4304	%100
النسبة المئوية	% 42.10	% 37.63	% 20.27	%100	/

الشكل البياني رقم (1): توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب الجامعات والجنس.

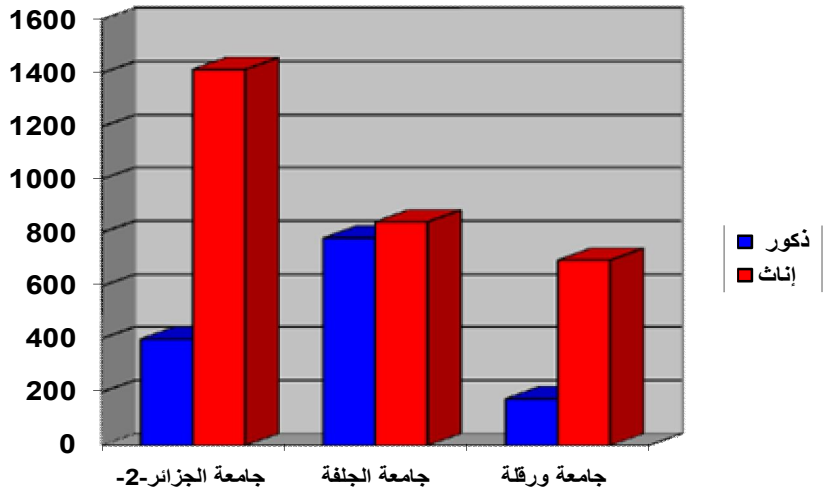

عينة الدراسة:

تعرف العينة على أنها جزء مشتق من المجتمع المراد دراسته بشرط أن يكون هذا الجزء يحمل نفس خصائص المجتمع [19].

نجري الدراسة على عينة من طلبة العلوم الاجتماعية بجامعات جزائرية مختلفة هي: (جامعة الجزائر-2-، جامعة الجلفة، جامعة ورقلة)، وركزنا على الطلبة الذين يداومون على الحضور أو على الأقل غياباتهم قليلة، وتتراوح أعمارهم تقريبا بين (18و30 سنة)، فهم طلبة خارجيين وداخليين ويختلفون فيما بينهم في الظروف البيئية والاقتصادية والاجتماعية والنتائج الدراسية.

- **طريقة اختيار العينة:**

بما أن طلبة العلوم الاجتماعية موزعين على جامعات متفرقة، فإن طريقة اختيار العينة التي تناسب دراستنا هي المعاينة العشوائية الحصصية.

حيث يعرفها "حسن منسي" بأنها عينة احتمالية يكون فيها لكل عنصر في المجتمع نفس الفرصة لاختياره مع باقي عناصر المجتمع، يقوم فيها الباحث بتقسيم المجتمع إلى حصص صغيرة فرعية وفق درجة تمثل خصائص المجتمع، ثم يحدد عدد العناصر في كل حصة، ثم يختار العينات الفرعية بحيث تكون نسبة حجم العينة الفرعية إلى حجم العينة كنسبة حجم المجتمع الفرعي إلى حجم المجتمع الكلي، وهي موضحة في المعادلة التالية:

حجم العينة الفرعية / حجم العينة = حجم المجتمع الفرعي / حجم المجتمع الكلي [20]

لدينا حصص المجتمع هم طلبة كل جامعة من الجامعات، ونحدد نسبة الطلبة في كل جامعة بالنسبة للعدد الكلي لطلبة الجامعات، كما نراعي نسبة الإناث والذكور في كل جامعة.

- **تحديد حجم العينة:**

لقد حددنا عدد أفراد عينة الدراسة بشكل تقديري وبالاستفادة من الدراسات السابقة [21]

- **حجم العينة**

قدرنا عدد أفراد العينة بـ (430) طالبا وطالبة، منهم (295) طالبة و(135) طالبا موزعين على ثلاث جامعات مختلفة من الوطن، حيث تراوحت أعمارهم بين 18 سنة و30 سنة و تم اختيارهم حسب نسب تواجدهم في كل جامعة آخذين بعين الاعتبار نسبة الذكور ونسبة الإناث في كل جامعة، ونمثل عينة الدراسة في الجدول الآتي:

جدول رقم (2): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجامعات و الجنس

الجامعات / الجنس	جامعة الجزائر -2-	جامعة الجلفة	جامعة ورقلة	كل الجامعات	النسبة المئوية
عدد الذكور	16	58	11	85	% 19.76
عدد الإناث	165	104	76	345	% 80.24
المجموع الكلي	181	162	87	430	%100
النسبة المئوية	% 42.10	% 37.63	% 20.27	%100	/

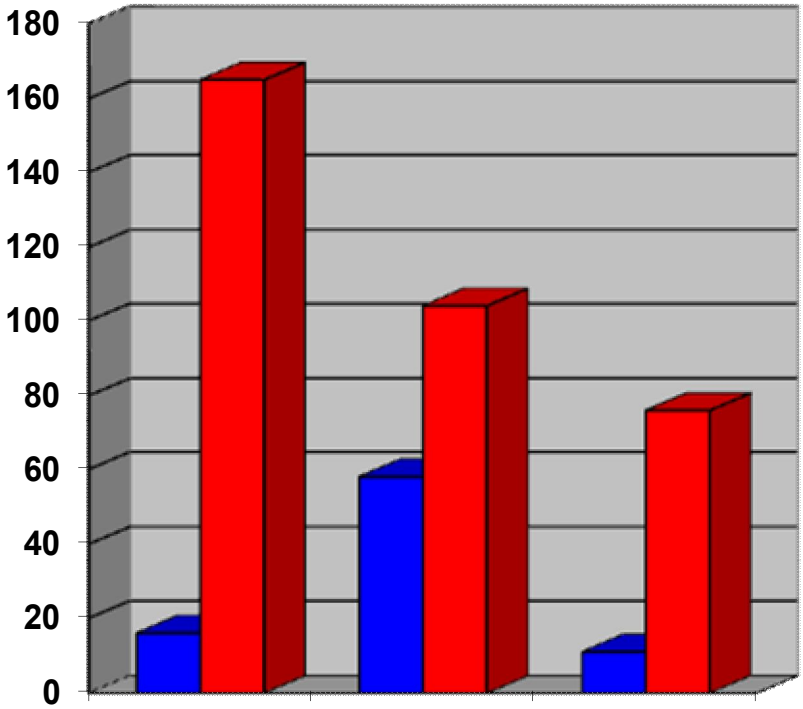

الشكل البياني رقم (3): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجامعات والجنس.

9. **الدراسة الاستطلاعية:**

قمنا بالدراسة الاستطلاعية على عينة مكونة من (160) طالبا وطالبة بغرض بناء أداة البحث وهي: مقياس المستويات المعرفية لطلبة الجامعة، كما تعرفنا على الظروف التي سيتم فيها إجراء البحث وكذا الصعوبات التي ربما تواجهنا في التطبيق النهائي لأدوات البحث على العينة، وقد تأكدنا من استعداد أفراد العينة ورضاهم على الإجراءات الخاصة التي ستتبع معهم.

- **أهداف الدراسة الاستطلاعية:**

- ✓ التحقق من الخصائص السيكومترية (الصدق، الثبات، الموضوعية، الشمولية، المعايرة) لمقياس المستويات المعرفية.
- ✓ التأكد من فهم الطلبة لمختلف جوانب مقياس المهارات الأكاديمية من: (صياغة البنود، صياغة التعليمة، مستويات الإجابة، ظروف التطبيق، طريقة التطبيق،....) بالإضافة إلى فهمهم لأهداف الدراسة واستعدادهم ورضاهم عن إجراءات التطبيق.
- ✓ تحديد الفترة الزمنية التي يستغرقها الطلبة في الإجابة على عبارات المقياس.
- ✓ التعرف على الظروف الملائمة التي سيتم فيها إجراء البحث كالزمان والمكان المناسبين للتطبيق وطريقة التطبيق (فردية أو جماعية) والتأكد من وضوح لغة المقياس.

- **بناء مقياس المستويات المعرفية:**

لقد اتبعنا في عملية بناء المقياس خطوات علمية دقيقة، انطلاقا من الاطلاع على البحوث و الدراسات التي تناولت الموضوع ثم تحليل الخاصية إلى وقائع سلوكية و من ثم تقسيم الخاصية إلى أبعاد فرعية مرورا بدراسته السيكومترية وصولا إلى تقنينه وتطبيقه ميدانياً على عينة الدراسة.

الخطوة الأولى: جمع المادة العلمية الخاصة بقياس المستويات المعرفية

تم جمع المادة العلمية من خلال الاطلاع على نماذج نظرية وكذا الدراسات السابقة التي تم عرضها، أما ميدانيا فقد أجريت في هذه الخطوة اتصالات أولية بالأساتذة الجامعيين الذين يُدرّسون بقسمي علم النفس وعلم الاجتماع، حيث سمحت بمناقشتهم واستبيان آرائهم حول الطرق والوسائل التي يستخدمونها في تقييم أداء طلبتهم وكذا تحديد صفات الطالب والمعايير التي يجب أن يتقيد بها، كما طُلب منهم ذكر الصعوبات التي يواجهونها في التقييم وتوضيح العوامل المسببة

لانخفاض الأداء الدراسي من وجهة نظرهم، بالإضافة إلى اقتراح أساليب وأدوات يرونها فعالة في تقييم الأداء الدراسي الحقيقي.

لقد أجريت المقابلات مع الأساتذة ذوي الخبرة الطويلة بتقديمهم أسئلة مفتوحة إما في قاعة الأساتذة أو قاعات التدريس أو المدرجات بعد الانتهاء من عملهم، حيث استغرقت المقابلة مع كل أستاذ حوالي (20) دقيقة.

الخطوة الثانية: تحليل خاصية المستويات المعرفية إلى وقائع سلوكية وتقسيمها إلى أبعاد جزئية

بعد الانتهاء من المقابلة جمعت إجابات الأساتذة حول الأسئلة المفتوحة، حيث تم تحليل محتواها وتصنيف وترتيب المعلومات الواردة فيها على شكل عبارات تم حساب تكراراتها ورتبت على أساس التكرار وبعد تمحيصها والتأكد منها وإلغاء كل العبارات التي تحصلت على أضعف تكرار تم التوصل إلى (30) عبارة وضعت لهذه البنود خمس اختيارات على طريقة "ليكرت" (Likert) حيث يحدد الطالب مستواه في الأداء الدراسي في كل بند ضمن (5) درجات وهي (1 : لا تنطبق أبدا 2: تنطبق قليلا، 3: تنطبق بشكل متوسط، 4: تنطبق كثيرا، 5: تنطبق تماما)

الخطوة الثالثة: تحكيم مقياس المستويات المعرفية من طرف الخبراء

بعد الإخراج الأولي للمقياس وبهدف التأكد من مدى تمثيل البنود للخاصية المقاسة وسهولتها ووضوحها لغةً وتركيبًا، قدمت الصورة الأولية للمقياس لمجموعة من الخبراء عددهم (08) وهم أساتذة تعليم عالي وأساتذة محاضرين وأساتذة متخصصين في القياس النفسي وبناء الاختبارات والتقويم التربوي وعلم النفس المعرفي والمنهجية، قصد استشارتهم وتحكيمهم لمختلف جوانب المقياس المتمثلة في (صياغة التعليمة، تمثيل البنود، ترتيب البنود، مستويات الإجابة، طريقة التطبيق، مدة التطبيق، سلم التنقيط، لغة المقياس) مع اقتراحهم لبنود يرونها ممثلة للخاصية المقاسة ونلخص توجيهاتهم وملاحظاتهم حول جوانب المقياس.

وقد نتج عن تحكيمات الخبراء تعديل وترتيب فقط لبنود المقياس، حيث بقي عدد بنود المقياس (30) بندا، كما تم تحكيم التعليمة وتحديد خمس(5) مستويات للإجابة على البند يأخذ فيه الطالب درجة واحدة (1) كحد أدنى وخمس درجات (5) كحد أعلى أما المقياس ككل فيأخذ الطالب (30) درجة كحد أدنى و (150) درجة كحد أعلى أما طريقة التطبيق فتكون جماعية تستغرق مدتها (10) دقائق.

- **نتائج الدراسة الاستطلاعية:**

  - تم بناء مقياس المستويات المعرفية لدى طلبة العلوم الاجتماعية.
  - تم التحقق من توفر الخصائص السيكومترية للمقياس وهي: (الثبات، الصدق، الموضوعية، الشمولية، المعايرة)
  - تأكدنا من فهم الطلبة لمختلف جوانب المقياس من: (صياغة البنود، صياغة التعليمة، مستويات الإجابة، ظروف التطبيق، طريقة التطبيق،....) بالإضافة إلى فهمهم لأهداف الدراسة واستعدادهم ورضاهم عن إجراءات التطبيق.
  - تم تحديد الفترة الزمنية التي يستغرقها الطلبة في الإجابة على عبارات المقياس بحوالي (10) دقيقة.
  - تعرفنا على الظروف الملائمة التي سيتم فيها إجراء البحث كالزمان المناسب (أوقات الفراغ) والمكان المناسب (قاعات المطالعة، المدرجات والقاعات بعد نهاية المحاضرات والدروس) وكذا طريقة التطبيق (جماعية) للاقتصاد في الجهد والوقت، كما تم التأكد من وضوح لغة المقاييس.

11 . كيفية جمع البيانات:

قمنا في أشهر (مارس، أفريل، ماي، جوان) سنة 2013 بتحضير بطاقة بيانات شخصية للطالب (الجنس، التخصص، معدل السداسي الأول)، مقياس المستويات المعرفية، نتائج الطلاب، حيث ثبتنا أدوات البحث مع بعضها اقتصادا

للوقت والجهد، ثم قمنا بتوزيعها على الطلبة وهم في شكل مجموعات وفي أماكن مختلفة كقاعات التدريس والمدرجات والمكتبة المركزية الخاصة بالكلية، وذلك بشكل عشوائي وكان هذا التطبيق بمساعدة الطلبة وبعض الأساتذة في نهاية إلقائهم للمحاضرات أو نهاية حصص الأعمال الموجهة، حيث شرحنا مختلف جوانب المقياس، كصياغة التعليمة وتوضيح عبارات المقياس وشرح كيفية الإجابة عليها، بعدها استمعنا إلى مختلف استفسارات الطلبة وأسئلتهم ثم أجبنا عليها.

بعد انتهاء الطلبة من الإجابة على المقياس التي استغرقت حوالي (10) دقيقة، قمنا باستلام أوراق الإجابة مباشرة وبعد التأكد من أن عدد أفراد العينة المطبق عليهم وصل إلى العدد المطلوب وهو (295) طالبة و(135) طالبا، قمنا بحساب حاصل إجابة كل طالب كل المقياس بعد جمع درجات كل البنود، وفي الأخير تم تفريغ البيانات اعتمادا على الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، حيث تم معالجتها إحصائيا حسب متطلبات فرضيات البحث.

12.التقنيات والطرق الإحصائية:

نستخدم في الدراسة مجموعة من الاختبارات الإحصائية إلى جانب طرق إحصائية وإحصاءات وصفية في تحليل البيانات، ونعرضها بشكل موجز كالآتي:

- **معامل الارتباط البسيط: ($r_{x.y}$)** لـ "برافيس بيرسون"(Pearson – Bravis) حيث نقيس به العلاقة الارتباطية بين المتغيرين.
- **المتوسط الحسابي** X: ونستخدمه قصد معرفة الدرجة التي تقترب منها جميع درجات التوزيع وهو المعدل الممثل لهذه المجموعة كما يستخدم لحساب الإنحراف المعياري والدرجة المعيارية.
- **الانحراف المعياري** S : ونستخدمه قصد معرفة معدل انحرافات الدرجات على المتوسط الحسابي كما نستخدمه في حساب الدرجة المعيارية.

- **الدرجة المعيارية Z** : تُستعمل لتحويل الدرجات الخام إلى درجات مكافئة تقوم بتوضيح مركز الفرد بالنسبة للمجموعة، وتعتمد على المتوسط الحسابي والانحراف المعياري كأساس للمعايير وتحدد من خلال المعادلة التالية:

الدرجة المعيارية(z) = الدرجة الخام – المتوسط الحسابي

الانحراف المعياري

- **طريقة صدق الخبراء:** تعرض أدوات البحث على مختصين بغرض تحكيم مختلف جوانب المقياس ونكتفي بنسبة اتفاق تقدر بـ (80%).

- **طريقة الصدق التمييزي:** نجري فيها مقارنة طرفية بين طرفي الخاصية (العليا والدنيا) ثم نحسب إمكانية وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات المجموعتين باختبار T للفروق.

- **طريقة الاتساق الداخلي للاختبار (ألفا كرونباخ)** –الصيغة الثانية–: تعتمد على قياس الارتباطات المختلفة الممكنة بين البنود وذلك بحساب نسبة التباين لكل بند على التباين الكلي للاختبار، أي أنها تربط ثبات الاختبار بثبات بنوده فزياد نسبة تباينات البنود بالنسبة إلى التباين الكلي للاختبار يؤدي إلى انخفاض معامل الثبات، وقد طبقنا الصيغة الثانية لمعامل α (Crombach) التي تستخدم مع البيانات العادية والتي يكون فيها إعطاء الدرجات لأكثر من مستويين.

13. عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

1. عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

"يتمتع مقياس المستويات المعرفية الحالي بالخصائص السيكومترية: (الثبات، الصدق، الموضوعية، الشمولية، المعايرة).

تمت معالجة هاته الفرضية بعدة تقنيات إحصائية، حيث تم التحقق من ثبات المقياس باستخدام طريقة الاتساق الداخلي، وتم حساب الصدق بطريقة المقارنة الطرفية، كما تمت معايرة النتائج بالدرجة المعيارية (Z) في حين تم التأكد من

موضوعية المقياس باتخاذ تدابير ضرورية كعدم ذكر الأسماء واستخدام البيانات الكمية والابتعاد عن الذاتية والالتزام بتعليمات المقياس، أما الشمولية فقد اجتهدنا نظريا وتطبيقيا في جمع كل ما يتعلق بمستويات الطالب المعرفية وفيما يلي نشرح المعالجات الإحصائية للفرضية :

1. ثبات المقياس:

- **طريقة الاتساق الداخلي للاختبار:**

قمنا بحساب معامل ثبات المقياس عن طريق معامل α (Cronbach) الذي يعتمد على قياس الارتباطات المختلفة الممكنة بين البنود وذلك بحساب نسبة التباين لكل بند على التباين الكلي للاختبار، أي يربط ثبات الاختبار بثبات بنوده فازدياد نسبة تباينات البنود بالنسبة إلى التباين الكلي للاختبار يؤدي إلى انخفاض معامل الثبات.

بعد الحصول على درجات المقياس طبقنا الصيغة الثانية لمعامل α (Cronbach) التي تستخدم مع البيانات العادية والتي يكون فيها إعطاء الدرجات لأكثر من مستويين، حيث بلغ معامل الثبات 0,67 مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة متوسطة من الثبات.

2. صدق المقياس: بعد تحكيم المقياس من طرف الخبراء في الخطوة السابقة اكتفينا بطريقة في حساب صدق الأداة هي:

- **طريقة الصدق التمييزي:**

استخدمنا طريقة الصدق التمييزي في التأكد من صدق المقياس، فهي طريقة تعتمد على المقارنات الطرفية بحيث تكشف عن مدى قدرة المقياس على التمييز بين طرفي الخاصية، حيث نرتب درجات المبحوثين تنازليا أو تصاعديا في التوزيع ثم يُسحب (27%) من المبحوثين من طرفي التوزيع فيصبح لدينا مجموعتان متطرفتان ثم نقارن بينهما بصفتهما مجموعتين متناقضتين تقعان على طرفي الخاصية من حيث الدرجة إحداهما يطلق عليها مجموعة عليا والثانية

مجموعة دنيا ويستعمل أسلوبا إحصائيا ملائما وهو اختبار (T) لدلالة الفرق بين متوسطين حسابيين [23]

أما قيمة اختبار (ت) (T-TEST) فقد بلغت (T=8.37) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (α =0,01) أي مع احتمال خطأ يقدر بنسبة 1%، لذا نقول أننا متأكدون بنسبة 99% من وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الدنيا والمجموعة العليا لأن $T_T < T_O$ وبالتالي رفض الفرضية الصفرية، وكانت الفروق لصالح المجموعة العليا، ذلك لأن متوسطها الحسابي أعلى من المتوسط الحسابي للمجموعة الدنيا، وعليه نفسر هذه النتيجة بأن مقياس المستويات المعرفية يتمتع بالصدق التمييزي.

3. الموضوعية:

يقصد بالموضوعية في العلوم الاجتماعية غياب الأحكام الشخصية والذاتية من جانب الباحث، ويجب على الباحث أن يحاول جاهدا التخلص من أي تأثير ذاتي على الأحكام التي يُصدرها [24].

من أجل تحقيق الموضوعية، لم نطلب من المبحوثين إدراج أسماءهم ضمن بطاقة البيانات الشخصية المرفقة بالمقياس، وذلك لكي يتسنى لهم الإجابة عن البنود بكل حرية والتعبير عن واقعهم وشعورهم واعتقاداتهم بدون أي إحراج، كما قمنا باقتراح خمس مستويات للإجابة على طريقة (ليكرت) حرصا على الدقة في تحديد درجة انطباق البند عليهم، كما حرصنا على الحصول على البيانات الكمية، فهي الأكثر موضوعية بدلا من البيانات الكيفية التي تصدر عن شخص تعاني أحكامه من الذاتية.

4. الشمولية:

يجب علينا عدم إهمال أحد الخصائص السيكومترية الهامة وهي الشمولية، فأداة القياس الشاملة تكون ممثلة لجميع مكونات القدرة أو الخاصية المراد قياسها [25].

لقد حرصنا على أن تمثل أبعاد المقياس مختلف المستويات المعرفية من خلال الاطلاع على النظريات التربوية التي شرحت المفهوم، وكذلك الاطلاع على الدراسات والبحوث التي حاولت تقييم المستويات المعرفية ، كما استفدنا ميدانيا من خبرات أساتذة جامعاتنا حول طرق ومعايير التقييم التي يستخدمونها وكذا اقتراحاتهم حول آليات تطبيق التقييم الفعّال.

5. المعايرة:

هي عملية تفسير الدرجات المتحصل عليها، أو هي إعطاء معيار يُكسب الدرجات معنى تُفهم في إطاره وترتكز المعايرة على شروط أهمها:

أ- أن يكون للدرجة الواحدة من اختبار إلى آخر معنى موحدا حتى توفر أساسا يمكن به أن نقارن بين الدرجات التي يحصل عليها الأفراد في الاختبارات المختلفة.

ب- أن تكون هذه الوحدات أي المعايير متساوية، بحيث أن العدد المعين من الوحدات وليكن (5) درجات على جزء من الاختبار يدل على نفس الشيء الذي تعنيه (5) درجات على جزء آخر من نفس الاختبار.

ج- وجود نقطة صفر حقيقية، صفر مطلق، تعبر عن انعدام الصفة التي تقيسها.

لقد استخدمنا طريقة الدرجات المعيارية وهي طريقة شائعة الاستخدام، فهي تُستعمل لتحويل الدرجات الخام إلى درجات مكافئة تقوم بتوضيح مركز الفرد بالنسبة للمجموعة، وتعتمد على المتوسط الحسابي والانحراف المعياري كأساس للمعايير وتحدد من خلال المعادلة التالية:

$$\text{الدرجة المعيارية (Z)} = \frac{\text{الدرجة الخام} - \text{المتوسط الحسابي}}{\text{الانحراف المعياري}}$$

فالدرجات السالبة تدل على أداء أدنى من المتوسط والدرجات الموجبة تدل على أداء أعلى منه والدرجة الخام التي تساوي المتوسط تقابل الدرجة المعيارية صفر (0). [26]

ويصبح لدينا ثلاث مستويات في المهارات الأكاديمية (غير كاف، متوسط، جيد) محددة بالدرجات المعيارية نفسر على أساسها درجات الطلبة في المستويات المعرفية.

2. عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

"ترتبط درجات مقياس المستويات المعرفية الحالي بدرجات الامتحانات النظامية لدى طلبة العلوم الاجتماعية".

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام معامل الارتباط "برافيس بيرسون"(Bravis- Pearson) حيث يشترط في تطبيق هذا المعامل استخدامه مع البيانات الكمية وأن تكون العلاقة خطية بين المتغيرين X وY، وللتأكد من خطية العلاقة نلاحظ رسم لوحة الانتشار التي تمثل المسافة الموجودة بين المحورين الممثلين لدرجات المتغيرين بحيث إذا تحصلنا على سحابة على شكل خط مستقيم ذو اتجاه واحد نقول بأن العلاقة خطية. **(بوحفص، ع 2011 ص 409)**، كما يُشترط أن تتوزع درجات المتغيرين توزيعا اعتداليا وأن يُستخدم مع عينة عشوائية من المجتمع بالإضافة إلى استقلالية درجات المتغيرين لحالة عن درجات المتغيرين لحالات الأخرى [28].

بعد التأكد من توفر شروط تطبيق معامل الارتباط قمنا بالمعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) بهدف اختبار طبيعة العلاقة بين درجات الطلبة في المستويات المعرفية ودرجاتهم في التحصيل الجامعي وقد مثلنا العينة والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغيرات في الجدول التالي:

جدول رقم (3): توزيع درجات المستويات المعرفية والتحصيل الجامعي

النتائج المتغيران	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المستويات المعرفية	430	98.02	16.03
التحصيل الجامعي	430	11.15	1.51

بعد المعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام معامل الارتباط "برافيس بيرسون"(Bravis- Pearson)، تحصلنا على نتائج وهي ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم (4): معامل الارتباط بين المستويات المعرفية والتحصيل الجامعي

المتغيران	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
المستويات المعرفية، التحصيل الجامعي	(r= +0,21)	(α= 0,01)

يتضح من الجدول وجود ارتباط موجب بين درجات الطلبة في المستويات المعرفية ودرجاتهم في التحصيل الجامعي، حيث بلغ معامل الارتباط (r= +0,21) وهو ارتباط دال إحصائيا عند مستوى دلالة (α= 0,01) أي مع احتمال خطأ يقدر بنسبة (1%)، لذا نقول أننا متأكدون بنسبة (99%) من وجود ارتباط دال إحصائيا بين درجات المستويات المعرفية ودرجات التحصيل الجامعي لدى طلبة الجامعة لأن ($r_T < r_O$) وبالتالي رفض الفرضية الصفرية، وقبول الفرضية البديلة، ومنه يمكن تعميم النتائج على المجتمع الإحصائي، وقد كان الارتباط بينهما موجباً، أي أنه أي ارتفاع في مستوى المستويات المعرفية للطالب يقابله ارتفاع في درجاته التحصيلية، ومنه نستنتج أن الفرضية الثانية قد تحققت،

أي أن درجات المستويات المعرفية ترتبط بدرجات التحصيل الجامعي لدى طلبة الجامعة.

توافقت هذه النتيجة تقريبا مع ما توصلت إليه دراسات كلا من (Harisson,brindly & Bye , 1989) التي أكدت وجود فروق دالة إحصائيا في التحصيل الدراسي لدى التلاميذ لصالح المجموعة التجريبية والتي اهتم فيها المعلمون بحساب المتطلبات المعرفية اللازمة لكل مستوى معرفي (حسي، انتقالي، شكلي) كما توصلت دراسة (الفرماوي، حمدي علي. 2000) بمصر إلى وجود فروق دالة إحصائيا في أداء افراد العينة من التلاميذ على مقياس (فان هايل) عند كل مستوى من مستوياته تعود لفاعلية أسلوب التناظر المعرفي.

وفي نفس الموضوع لكن مع الراشدين قام الباحثان (Lord & 2007 Baviskar,) بدراسة على عينة من طلبة الدراسات العليا في كلية العلوم في "نيويورك" الأمريكية واقترح الباحثان أن تُستخدم في الاختبارات أسئلة تقيس عمليات عليا، ومتوسطة في التفكير، وليس فقط الدنيا، حيث أن مثل هذه الأسئلة ستحفز الطلبة على الدراسة بشكل مختلف من شأنه أن ينمي عندهم المستويات العليا من التفكير كما تكلم عنها " بلوم" وذلك من أجل الوصول إلى مستوى دراسي أفضل في حين أوضح كل من (Hodges, Stackpole-Hodges, & Cox, 2008) أن الأسلوب المعرفي له قدرة تنبؤية دالة إحصائيا في التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة، بينما لم تكن للتعلم المنظم ذاتياً، والكفاءة الذاتية قدرة تنبؤية بالتحصيل الأكاديمي للطلبة.

ونفسر هذه النتيجة بأن الطلبة الذين لديهم ارتفاع في المستويات المعرفية نجد لديهم ارتفاع في التحصيل الجامعي بعكس الطلبة الذين لديهم انخفاض في المستويات المعرفية، بمعنى أن الطالب الذي لديه القدرة على التطبيق والتحليل والتركيب والتقويم والمعرفة والفهم والاستيعاب، نجد لديه ارتفاع في مستوى التحصيل الجامعي بعكس زملائه الذين يفتقدون لتلك القدرات، لأن ارتفاع رصيد المعلومات لدى الطالب وازدياد قدرته على فهم واستيعاب المفاهيم وكذا

قدرته على تحليل الحقائق العلمية وتطبيق الدروس ميدانيا وكذا تقويم أعماله الدراسية تجعل الطالب يرتقي بمستواه إلى الأفضل فينعكس ذلك في ارتفاع تحصيله الجامعي.

ونوضح العلاقة الارتباطية بيانيا بين المستويات المعرفية والتحصيل الجامعي في الشكل التالي:

شكل رقم (15): لوحة انتشار العلاقة الارتباطية بين المستويات المعرفية والتحصيل الجامعي

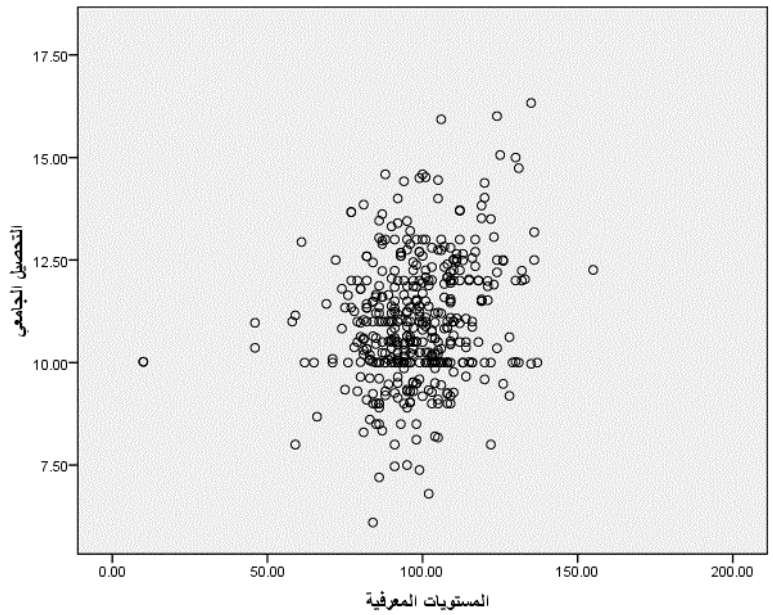

من خلال لوحة الانتشار، نلاحظ تَشكُل سحابة متسعة في المستوي وهذا يدل على ضعف العلاقة الارتباطية بين درجات المستويات المعرفية ودرجات التحصيل الجامعي، والتي قدرت بـ (r= +0,21) ونفسر ذلك بالخلل الموجود في نظام التقييم بجامعاتنا الذي يعتمد بشكل أساسي على الامتحانات النظامية، ونعيب على تلك الامتحانات بأنها تركز على تقييم الرصيد المعرفي للطالب فقط

وتهمل تقييم المستويات المعرفية التي تُعد مكونا أساسيا في الأداء الدراسي وشرطا ضروريا لتحقيق النجاح الدراسي.

لقد أضافت دراستنا إلى الدراسات السابقة أن المستويات المعرفية ضرورية للرفع من مستوى التحصيل الجامعي للطالب وهي متطلبات سابقة لنجاح الطالب في الدراسة، لذا يمكن اعتبار المستويات المعرفية معيارا أساسيا يتحدد من خلاله مستوى الأداء الدراسي لطلبة الجامعة، وعليه فإننا نوصي بضرورة اعتماد المستويات المعرفية في نظام التقييم بجامعاتنا.

خاتمة:

لقد قمنا باختبار فعالية الامتحانات النظامية في قياس المستويات المعرفية، وذلك من خلال بناء مقياس المستويات المعرفية لدى طلبة العلوم الاجتماعية بناءً على النموذج النظري المعرفي لـ (Bloom et al, 1983)، وقد اتبعنا في بناء هذا المقياس خطوات علمية دقيقة، انطلاقا من الاطلاع على البحوث و الدراسات التي تناولت الموضوع ثم تحليل الخاصية إلى وقائع سلوكية و من ثم تقسيم الخاصية إلى أبعاد فرعية مرورا بدراسته السيكومترية وصولا إلى تقنينه وتطبيقه النهائي ميدانياً على عينة الدراسة، حيث تم التأكد من الخصائص السيكومترية للمقياس، كما قمنا بقياس العلاقة الارتباطية بين درجات الطلاب في المستويات المعرفية ودرجاتهم في الامتحانات النظامية.

وقد تحصلنا على علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بالرغم من ضعفها الذي يتضح جليا في اتساع سحابة الانتشار، ونفسر هذه النتيجة بأن الطلبة الذين يمتلكون مستويات معرفية مرتفعة نجد تحصيلهم الجامعي مرتفعا بعكس الطلبة الذين يمتلكون مستويات معرفية منخفضة، لأن ارتفاع المستويات المعرفية تنعكس في قدرة الطالب على الفهم والاستيعاب والتحليل والتركيب والتطبيق والتقويم وبالتالي اكتساب المعلومات بسهولة وبالتالي ارتفاع تحصيله الجامعي، وبهذا تكون دراستنا قد أضافت إلى الدراسات السابقة أن المستويات المعرفية ضرورية للرفع

من مستوى التحصيل الجامعي للطالب وهي متطلبات سابقة لنجاح الطالب في الدراسة، لذا يمكن اعتبار المستويات المعرفية معيارا أساسيا يتحدد من خلاله مستوى الأداء الدراسي لطلبة الجامعة، وعليه فإننا نوصي بضرورة اعتماد المستويات المعرفية في نظام التقييم بجامعاتنا وعدم الاكتفاء بالامتحانات النظامية التي تقيس معارف الطلاب فقط وتهمل المستويات المعرفية.

❖ **اقتراحات:**

- ✓ ضرورة اعتماد المستويات المعرفية كمحددات أساسية لمستوى الطالب وذلك بإدراجها في نظام التقييم الجامعي.
- ✓ عدم الاكتفاء بتقييم الرصيد المعرفي للطالب لأن أداءه الدراسي لا ينعكس فقط في معارفه المجردة.
- ✓ استشارة المختصين في القياس النفسي في بناء الامتحانات واختبارات التحصيل المقننة التي يجب أن تتمتع بالخصائص السيكومترية.
- ✓ الاستعانة بمقياس المستويات المعرفية في تقييم المستويات المعرفية للطالب.
- ✓ وجوب استخدام مقاييس نفسية وشبكة ملاحظة في التقييم إلى جانب الامتحانات النظامية.
- ✓ ضرورة بناء الامتحانات الموضوعية واختبارات التحصيل المقننة وتوحيدها تفاديا للصدفة في الإجابة من طرف المتحَن والذاتية في التصحيح من طرف الأستاذ.

❖ هوامش البحث:

(1) محمد، عبد السلام يونس (2008): "**القياس النفسي**"، دار حامد، عمان، ص 178.

(2) الصمادي، ع والدرابيع، م (2004): "**القياس والتقويم النفسي والتربوي- بين النظرية والتطبيق**"، مركز يزيد للنشر، الأردن.

(3) أفنان، دروزه (2011): "**العلوم الإنسانية**"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد(25) عدد (10)، فلسطين .

(4) محمد، ع (2008): مرجع سبق ذكره، ص 178 .

(5) غريب، حسين (2013): "**نحو قياس سيكولوجي معرفي لأبعاد الأداء الدراسي لدى طلبة العلوم الاجتماعية وعلاقته بنتائجهم في الامتحانات النظامية**" –مجلة تطوير العلوم الاجتماعية-العدد(08)، مجلة دورية دولية محكمة تصدر عن مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات بالجزائر، جامعة الجلفة، الجزائر.

(6) الصمادي، ع وَالدرابيع، مرجع سبق ذكره.

(7) السيد، فؤاد البهي (1997): "**الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة**"،دار الفكر العربي، القاهرة، ص 356.

(8) الفرماوي، علي حمدي" **فاعلية التعليم المتناظر معرفيا في أداء التلاميذ المرحلة الابتدائية على مستويات –فان هايل**-" كلية التربية ، جامعة المنوفية –مصر (2000)(PDF)

(9) Alkhalifa, E. M. (2005) <**Effects of the Cognitive Level of Thought on Learning**> Complex Material. Educational Technology & Society, 8 (2), 40-53

(10) (أفنان، دروزه.2011) المرجع السابق

(11) المرجع السابق.

(12) المرجع السابق.

(13) Christopher, M. Estepp & Christopher T. Stripling & Nathan W. Conner & Aaron Giorgi & T. Grady Roberts (2013) <**An Examination of the Learning Activities, Cognitive Level of Instruction, and Teacher Immediacy**

Behaviors of Successful Instructors in a College of Agriculture> - Journal of Agricultural Education- Volume (54), Number (2), (PDF) p 15-28

(14) BLOOM, B. & BRODER, L. (1958)**< Problem-solving processes of college students**> Chicago, Illinois,University of Chicago Press.

(15) Krathwohl, D. R. (2002) < **A Revision of Bloom's Taxonomy: An Overview**>Theory into Practice, 41 (4) (PDF(

(16) Robbes, Bruno (2009)<**La pédagogie différenciée :historique, problématique, cadre conceptuel et méthodologie de mise en oeuvre**>Université de Cergy-Pontoise/ IUFM de Versailles

(17) منسي، حسن (1999): "**مناهج البحث التربوي**"، دار الكندي، الأردن.

(18) منسي، عبد الحليم محمود حامد (2003): "**مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية و النفسية**"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.ص71.

(19) منسي، حسن: مرجع سبق ذكره، ص .ص94،97،98.

(20) غريب، حسين وَ نهايلي، حفيظة (2010): "**دراسة الدافعية للإنجاز لدى طلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية**"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، العدد (1) جامعة الجلفة، الجزائر.ص 165.

(21) أبو علام، رجاء محمود (أ) (2006): "**مناهج البحث في العلوم النفسية و التربوية**"، ط5، دار النشر للجامعات، القاهرة ص 162.

(22) معمرية، بشير (2007): "**القياس النفسي وتصميم أدواته**"، ط2، منشورات الحبر، الجزائر ص158.

(23) صلاح، مراد وَ هادي، فوزية (2002) ": **طرائق البحث العلمي**" ، دار الكتاب الحديث، الكويت.

(24) الغامدي، سعيد حسن :"**مدى اختلاف الخصائص السيكومترية لأداة القياس في ضوء تغاير عدد بدائل الاستجابة والمرحلة الدراسية" دراسة حالة** –مقياس ليكرت- جامعة أم القرى، السعودية (2003) (PDF) ،ص 13.

(25) أبو هاشم، حسن السيد (2006) "**الخصائص السيكومترية لأدوات القياس في البحوث النفسية والتربوية باستخدام SPSS**" ، مركز البحوث التربوية، جامعة الملك سعود، السعودية، ص ص 30،31.

(26) أبوعلام، رجاء محمود (ب) (2006) "**التحليل الإحصائي للبيانات باستخدام برنامج SPSS**"، ط2، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر.

التواصل البيداغوجي ومتغيراته: مقاربة تحليليةفي ضوء نظريات الإعلام واللسانيات

الأستاذ: مختار بروال

جامعة أم البواقي، الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة إلى بحث مفهوم التواصل - في المجال البيداغوجي خاصة - وتحليل متغيراته الاساسية (الأستاذ-الطالب-المعرفة أو المادة الدراسية) في ضوء نظريات الإعلام واللسانيات؛ من خلال استقراء عينة من النماذج الاتصالية المعروفة في هذا الاطار، وقد انتهت الدراسة إلى الكشف عن بعض التباينات الواقعة بين هذه النماذج في تصورها لهذه المتغيرات من حيث سيرورة وظائفها ومن حيث عددها ودورها ومن حيث محوريتها أو مركزيتها في السلوك التواصلي التربوي.

Abstract:

This study aimed to examine the concept of communication - particular in pedagogical area - and the analysis of key variables (teacher-student-knowledge or subject) in the light of the theories of media and Linguistics; through extrapolation of a sample of communication models known in this context, the study ended to reveal some differences between these models in the perception of these variables in terms of the process and its functions and in terms of the number and role and in terms of centrality or its centrality in the educational communicative behavior.

مقدمة:

يكتسي التواصل أهمية بالغة في حياة الأفراد والجماعات، إذ يعتبر أول سلوك صدر من الإنسان يوم ولد ليعبر من خلاله عن ذاته وحاجياته من طعام وشراب وملبس،... كما أن استمرار وجوده متوقف على تواصله مع بيئته وبني جنسه ومدى تفاعله معهم.وهذا ما جعل جون ديوي يقول :الاتصال أعجب شؤون الإنسان قاطبة [1]، فالصلة هي الأساسوالأصل في حياتنا والانقطاع هو الوضع الشاذ، "والفعل الإنساني في أساسه تواصل مع ما يحيط به من ذوات ،لذلك يعد الاتصال النشاط الرئيس للإنسان "ومقوم أساسي من مقومات وجوده ..ويدرج ضمن الحاجات الأساسية لبني البشر [2]، وأساس حياته اليومية، وسبب تفوقه على غيره من المخلوقات غير العاقلة

وكثيرا ما تعزى أسباب مشكلات الإنسان-النفسية والاجتماعية - اليوم إلى سوء الاتصال [3]. الذي يؤثر حتى على صحته البدنية والنفسية بالمرض والانحراف، وما حالات الاكتئاب المنتشرة بين المنطويين على انفسهم إلا صورة مجسدة لذلك. وفي المقابل " الشخص السوي هو ذلك الشخص الذي يستطيع إقامة اتصالات مستمرة مع الآخرين دون أن تؤدي هذه الاتصالات إلى شقائه أو شقاء الآخرين [4] معه.

وتبدو أهمية التواصل..في كونه عملية شاملة لجميع ظواهر الجماعة لأنه يجسد التفاعل الاجتماعي في معناه العام [5]. ويزود الفرد بالمعلومات الخاصة ببيئته الاجتماعية مما يساعد على التقارب بين الأفراد ودعم التفاعل بينهم وإرساء دعائم التفاهم والترابط والتعاون وتقوية العلاقات فيمابينهم والتماسك الاجتماعي وتوحيد جهودهم في اتجاه تطوير حياتهم الجماعية. كما أن "تحول الانسانية إلى الحياة الاجتماعية يدين في أساسه إلى صفات التفاعل والى قدرات التواصل المتطورة التي يتمتع بها الإنسان بالنسبة إلى سائر الكائنات [6].

وعمليات الاتصال والتواصل أساس وجود واستمرار حياة الإنسان الاجتماعية ؛حيث العلاقات والصلات ومختلف التفاعلات بين بني البشر ، فهي "الحامل للعمليات الاجتماعية ووسيلة يملكها الإنسان لتطويع حياته [7].وتطويرها، ويندر أن يعيش الإنسان وحيدا منعزلا دون أن يتفاعل مع مكونات محيطه وبيئته،بل إن استمرار الجنس البشري في الوجود لا يتم إلا بتكوين علاقات اتصالية إنسانية.

وتتجلى أهمية التواصل أكثر بالنسبة للمجتمعات البشرية، إذ لا يمكن لها نقل تراثها الفكري والثقافي والحضاري من جيل إلىآخر والحفاظ على هويتها إلا من خلال ما تستخدمه من أساليب ووسائل الاتصال الكفؤة. ومنزلة الإنسان وموقعه في الزمان والمكان [8].

تتحدد بما يعقده من اتصالات وصلات تعود عليه بالتخلف عن الركب أو التقدم،خاصة في هذا الزمن الذي يكنى بعصر الاتصالات، حيث" لم يعد هناك فرد أو مؤسسة أو مجتمع يستطيع العيش والعمل في عزلة" [9]. وصار إتقان فن التواصل ضرورة لكثير من المتخصصين في وقتنا الحاضر(الكاتب، المعلم، خبراءالعلاقات الاجتماعية...).

وقدتنبهت المنظمات الدولية الانسانية، كاليونسكو إلى الاتصال بصفته حقا إنسانيا مشروعا للفرد في كل العالم.والتفت المفكرون في كل أنحاءأوربا إلىأهمية الاتصال في معاهد الإدارة العامة والمحاكم والمؤسسات التربوية فعدوه علما اجتماعيا جديدا [10].

ولهذا فإن موضوع التواصل أو الاتصال من المواضيع التي شغلت اهتمام الباحثين والعلماء في مختلف حقول المعرفة الإنسانية(النفسية والاجتماعية، الإعلامية، التربوية، واللغوية) وتعددت الكتابات التي تناولته بالتحليل والدراسة من زواياه المتعددة، وأجريت العديد من الدراسات؛ منها ما هو ميداني تطبيقي، ومنها ما هو نظري، مما أسهم في جلاء معناه وبيان أبعاده بصورة أوضح.

وعلى الرغم من هذه الجهود المضنية التي بذلت في هذا المضمار إلا أن تناول هذا الموضوع من الزاوية البيداغوجية لم يزل محتشما وبطيئا، وقد لاحظ الباحث أن موضوع التواصل البيداغوجي من الناحية التنظيرية ، لم ينضج بعد ولم يتضح أولم تكتمل حلقاته، خاصة من حيث بحث بنيته وسمات متغيراته، فكان ذلك دافعاً ومحفزاً لدراسة هذا الموضوع.

مشكلة الدراسة :

في ضوء ما سبق ، يمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية :

س1 : ما مفهوم التواصل البيداغوجي في ضوء نماذج الاتصال النظرية الإعلامية؟

س2 : ما موقع ودور عناصر أو متغيرات التواصل البيداغوجي في التصور الإعلامي؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى ما يلي :

1. تحديد مفهوم التواصل البيداغوجي من منظور النماذج الاتصالية .
2. الكشف عن موقع ودور عناصر التواصل البيداغوجي في ضوء كل نموذج.

أهمية الدراسة :

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من خلال ما يلي :

1. الأهمية الكبيرة لموضوع التواصل البيداغوجي في تعليمنا المعاصر باعتباره وسيلة أساسية لنجاح العملية التعليمية التعلمية.
2. تعتبر الدراسة محاولة لتأصيل مفهوم التواصل البيداغوجي في منظور النظرية الإعلامية الاتصالية .

3. كما تتجلى أهمية هذه الدراسة من خلال ما يتوقع أن يستفاد من نتائجها، إذ يمكن أن يستفيد منها المشرفون القائمون على متابعة العملية التعليمية والعاملون على تحسينها وتجويدها. والمعلمون الحريصون على تجويد أداءهم، ...

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة أسلوب تحليل المحتوى، كأحد تقنيات المنهج الوصفي، بالوقوف على عينة من النماذج الاتصالية، علها تساعدنا على ادراك وفهم العملية التواصلية البيداغوجية والكشف عن مكوناتها الأساسية.

حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة على :

1. استقراء النماذج الاتصالية .
2. بحث مفهوم ومكونات العملية التواصلية.

هيكل الدراسة: تمت دراسة الموضوع من خلال المحاور التالية :

- ✓ مفهوم التواصل البيداغوجي.
- ✓ عناصر الاتصال والتواصل .
- ✓ متغيرات التواصل البيداغوجي في ضوء النماذج الاتصالية.

أولا: مفهوم التواصل البيداغوجي

1.1: مفهوم التواصل:

تفيد كلمة الاتصال في اللغة العربية كما ورد في في قاموس المصطلحات الإعلامية: انتقال المعلومات أوالأفكارأو الاتجاهات أو العواطف من شخص أو جماعة إلى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز، والاتصال هو أساس كل تفاعل اجتماعي، فهو يمكننا من نقل معارفنا وييسر التفاهم بين الأفراد [(11)].

أما في لسان العرب، اتصل الشيء بالشيء، لم ينقطع...والتواصل ضد التصارم (التقاطع) [12]. وجاء في المعجم الوسيط في مادة وصل "يصل فلان وصولا ويصل الشيء وصولا، ووصله وصلا، أي بلغه وانتهى إليه، والوصلة من الاتصال، ويقال بينهما وصلة" [13].

كما ورد في مختار الصحاح أن كلمة اتصال مأخوذة من الوصل أي البلوغ-وصل إليه وصولا –أي بلغ قال تعالى "إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق" أي يتصلون-وتوصل إليه أي تلطف في الوصول إليه ووصله توصيلا، إذاأكثر من الوصول [14].

وفي اللغة الإنجليزية كلمة الاتصال "Communication" مشتقة من الأصل اللاتيني communis ومعناه Common أي عام أو شائع أو مألوف [15].

وورد في قاموس المصطلحات الإعلامية :أن كلمة "اتصال (Communication) في المفرد وكصفة تستخدم للإشارةإلى عملية الاتصال التي يتم عن طريقها نقل معنى،أما الاتصال في صيغة الجمع(Communications) فتشير إلى الوسائل نفسها أو مؤسسات الاتصال" [16].

أما المعنى الاصطلاحي للتواصل فقد تناوله عدد من الباحثين والمتخصصين واستخدمه علماء التربية الأوائل كجون ديوي J.Dewey وتشارلز كولي C.Cooly، بل من الباحثين من "يرجعه إلى العصر الإغريقي ومنهم الباحث "برنت روبن" الذي يعتبر أن الاتصال كان يدرس باعتباره جزء من العلوم الإنسانية والفنون وهو بذلك يشبه إلى حد كبير دراسة الفلسفة والفنون والأدب، وفي هذا الصدد أدرج الكاتب تعريف أرسطو للاتصال بأنه "عملية تجري بين الخطيب أو المتحدث الذي يبتكر حجة في شكل قول للسامعين أو الجمهور وهدف المتحدث أن يعكس صورة إيجابية عن نفسه وان يشجع أفراد الجمهور على استقبال الرسالة [17].

وعرف نجرؤNigro: الاتصال العملية التي تجعل أفكار الشخص ومشاعره معروفة للآخرين (18).أما ميلرG.Miller: فيرى أن الاتصال يحدث عندما توجد معلومات في مكان واحد أو لدى شخص ما ويريد توصيلها إلى مكان أخرأو شخص آخر [19].

وعرفت جمعية إدارةالأعمالالأمريكية الاتصال بأنه: أي سلوك ينتج عنه تبادل المعنى [20]، أما الجمعية القومية لدراسة الاتصال فتعرفه بأنه: تبادل مشترك للحقائق أوالأفكارأوالآراء مما يتطلب عرضا واستقبالا يؤدي إلى التفاهم بين كافة العناصر بغض النظر عن وجود أو عدم وجود انسجام ضمني [21].

ويلاحظ على هذه التعاريف أنهاتركز على وظائف الاتصال واعتباره عملية ديناميكية يتم بها نقل وتبادل المعلومات أو الرسائل من شخص إلىآخرأو من جماعة إلىأخرى دون أن تشير إلى عناصر ومكونات هذه العملية وآليتها أوإلى أهدافها.

في حين عرفه أندرسون : بأنه النقل والاستلام مع الفهم للخواطر والتعليمات والمعلومات [22]. وعرف سكينر: الاتصال بأنه السلوك الشفهي أو الرمزي للمراسل للتأثير على المستقبل [23].

ويذهب كارل هوفلاند C.Haufland إلى القول بان الاتصال هو العملية التي يقوم بها الفرد الذي يقوم بنقل المثير- وغالبا ما تكون رموز شفهية-لتعديل سلوك الآخرين [24].

ويرى تشارلس موريس أن مصطلح الاتصال حين نستخدمه بشكل واسع النطاق، فانه يتناول أي ظرف يتوافر فيه مشاركة عدد من الأفراد في آمر معين، ولكن موريس يقصر الاتصال على استخدام الرموز لكي تحقق شيوعا ومشاركة لها مغزى [25].

أما محمد الجوهري فيعرفه: بالعملية التي من خلالها ينقل الفرد أو الجماعة(المرسل آو المراسلون) بعض الرسائل الكلامية أساسا وذلك من اجل

التأثير في سلوك أفرادآو جماعات أخرى (المتلقي أو المتلقون) وتغييره. كما عرفه صلاح الشنوانى بأنه: إيصال المعلومات والفهم بغرض إيجاد التغيير المطلوب في سلوك الآخرين [26].

ويتضح من هذه التعاريف أنها تؤكد على أهداف الاتصال والمغزى منه، وتتفق على أن التواصل نقل للمعلومات والبيانات بين طرفين احدهما مرسل والآخر مستقبل، وتركز على أهمية عنصر التأثيروالإقناع وتغيير سلوك المستقبل تبعا لمضمون الرسالة.

وفي مقابل هذا ركزت تعاريف أخرى على الوسائل المستخدمة في التواصل وإبراز عناصره الأساسية وعلى البعد الاجتماعي للاتصال ونظرت إليه من زاوية التفاعل الإنساني والعلاقات الناتجة عن هذا التفاعل بين أطراف العملية التواصلية، واعتبرته آلية للتفاهم والتقارب والانسجام. كما بين ذلك تشارلز كولي C.Cooly، حيث يفيد التواصل عنده " الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الانسانية وتتطور، وانه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، وتتضمن كذلك تعابير وهيئات (الجسم)والحركات، ونبرة الصوت، والكلمات، والكتابات، والمطبوعات، والقطارات،والتلغراف، والتلفون، وكل ما يشمله آخر ماتم من الاكتشافات في الزمان والمكان" [27].

وفي نفس السياق عرفته جيهان رشتى :العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة –كائنات حية، أو بشر، أوآلات- في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات بين الأفراد عن قضية معينة، أو معنى مجرد، أو واقع معين [28].

أما الاتصال عند إبراهيمإمامفيراه: حامل العملية الاجتماعية والوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار و تغيير حياته، ونقل أشكالها ومعناها من جيل إلى جيل عن طريق التعبير والتسجيل والتعليم [29].

وينظر يس عامر للتواصل على انه: ظاهرة اجتماعية، حركية، تؤثر وتتأثر بمكونات السلوك الفردي والعوامل المؤثرة على طرفي عملية الاتصال، المشتملة على نقل المعلومات والأفكار، والمعاني المختلفة، وتفهمها، باستخدام لغة مفهومة للطرفين، من خلال قنوات معينة [30].

2.التواصل البيداغوجي: تحديد وتعريف

واذا اردنا أن نبحث مفهوم التواصل من المنظور البيداغوجي ، فإننا لا نجد مفهوما انسب لجلاء معناه من الذي أورده عبد اللطيف الفاربي في معجم علوم التربية؛ وراحت جميع الكتابات التربوية تتبناه، والتواصل البيداغوجي عنده هو" كل أشكال و سيرورات و مظاهر العلاقة التواصلية بين مدرس وتلاميذ أو بينهم أنفسهم، إنه يتضمن نمط الإرسال اللفظي و غير اللفظي، كما يتضمنالوسائل التواصلية و المجال و الزمان،وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ و نقل الخبرات والتجارب والمواقف مثلما يهدف إلى التأثير على سلوك المتلقي"[15]

وهذا التعريف يفصح عن مجموعة من المكونات أو من المتغيرات، أساسية في بنية فعل التواصل البيداغوجي، نقتصر على ذكر ثلاثة فقط باعتبارها مدار التفاعل في الوضعية التعليمية، وهي:

- المدرس الذي يمثل بلغة الإعلام المرسل أو القائم بالاتصال الذي يبادر بربط العلاقة بينه وبين التلاميذ.
- التلاميذ وهم جمهور المتلقين المستهدفين بالعملية الاتصالية برمتها، وقد يتحول التلميذ إلى مرسل والأستاذإلى متلقي وهكذا دواليك بحسب ماتم الاتفاق عليه بين الأستاذ والتلميذ في بنود العقد البيداغوجي، ضمنيا أو صراحة.
- الرسالة البيداغوجية بما هي المعارف والخبرات...وهي مادة الحوار وموضوع النقاش ومضمون التواصل الذي يجري بين المتواصلين.

وهذه العناصر الثلاثة ذاتها هي التي تشكل أقطاب المثلث البيداغوجي الذي أشارإليه**فليب** ميريوPH.Meirieu، كوسيلة مثلى لفهم طبيعة ونوع العلاقة القائمة بين المتعلم والمادة والأستاذ، ومن ثم الوقوف على فهم سليم لسمات هاته المتغيرات في ضوء نظريات أو نماذج الإعلام واللسانيات، بما تحدده من مهام لكل طرف وكيف يجب أن ينظروا ويتعاملوا في اطار الضوابط التي تجمع بينهما، ويتحقق التواصل الفعلي. وألح على ضرورة تجنب الوقوع في بعض الانزياحات والانزلاقات التي يتعرض لها المدرس خلال عمليتي التخطيط والإنجاز كأن يركز، في هذا المثلث، على المادة الدراسية فيسقط في الانزياح المقرراتيDériveprogrammatique، أو يركز على ذاته كمدرس وناقل للمعرفة و هذا ما يسمى بالانزياح الديميورجي dérive démiurgique أو يركز على التلميذ و يهمل الطرفين الآخرين و هذا ما يسمى بالانزياح السيكولوجي،dérivepsychologique[16]

ثانيا: عناصر الاتصال والتواصل:

تشتمل عملية الاتصال أو التواصل كما يتبين من خلال تحليل مفهوم التواصل على أربعة عناصر رئيسية هي المرسل، الرسالة،والوسيلة والمتلقي،وهناك من يضيف إليها رد فعل المتلقي كما هو الشأن عند كولمان ومارش الذي يرى أن: الاتصال عملية مكونة من خمسة عناصر: الشخص المرسل، مضمون الرسالة، الوسيلة،والمستقبل، واستجابة هذا الأخير [(31)].

(أنظر الشكل رقم(01)).

شكل رقم (01): يوضح عناصر عملية الاتصال [32]

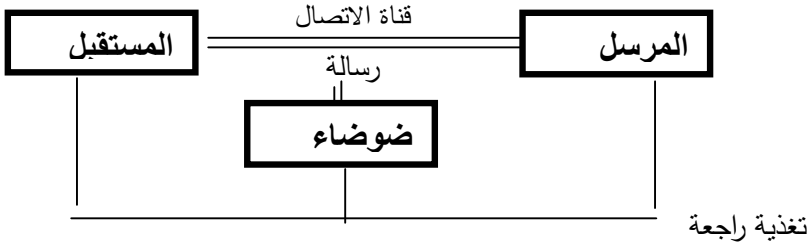

المصدر: (نرجس حمدي وآخرون، ص 104)

1.المرسل/الأستاذ:

يمثل المرسل الركن الأساس في العملية التواصلية، ومنشئ الرسالة الاتصالية،وهوالطرف الذي يبادر بالاتصال، ويسمى بمسميات عديدة: مصدر المعلومات، القائم بالاتصال، المتصل. الخ.

ويعرف على انه كل من يبعث بمجموعة من المعلومات لفظية وإيمائية تحمل معنى محددا أو اكثر بقصد إثارة سلوك محدد لدى طرف خارجي ..وكل مصدر يبث معلومات ليس فيها قصد التواصل لا يمكن أن نعده مرسلا، ويصدق ذلك على كل ظواهر الطبيعة [33].

ففي الوضعية التعليمية التعلمية مثلا يشكل الأستاذ في الغالب حين ما يكون باعثا ومبلغا للمعلومات مرسلا، ويأخذ المرسل أشكالاأوأدوارا كثيرة منها [34].

- المعلم أو المدرس أو المحاضر الذي يعطي دروسا تعليمية ومحاضرات للتلاميذ والطلبة، وهو مرسل لرسالة مضمونها المادة التعليمية أو الثقافية، وبشكل عام فان العملية التعليمية أو التدريسية في حد ذاتها هي عملية اتصال وتواصل.

- المؤلف أوالكاتب. وعادة يكون مسؤولا عن محتوى ومضمون المادة المرسلة للقارئ، فهو يرسل رسائل عديدة من خلال ما يكتبه أو كتبه.
- الفنان سواء أكان رساما أو موسيقيا..أو ما شابه ذلك من الأنشطة الفنية المختلفة التي تجعل من الفنان مرسلا للمادة الفنية ليتذوقها المستمع أو المشاهد (المستقبل).
- المتحدث عبر الإذاعةأو التلفزيون. سواء أكان مذيعا ام شخصية اجتماعية أو سياسية أو علمية تتحدث في احد البرامج الإذاعيةأو التلفزيونية.
- أي شخص آخر مسؤول عن مضمون رسالة ويرسلها إلى شخص آخرأو مجموعة من الأشخاص.

2.2 المتلقي/الطالب:

وهو الشخص أو الجمهور المستهدف بالرسالة، والذي يجب عليه فك رموزها وتفسير محتواها وفهم مضمونها،ويسمى المستقبل، المستلم، المرسل إليه،..ويمثل العنصر الثاني في العملية الاتصالية، وهو المقصود بالرسالة، وتتوقف "فاعلية الاتصال على استقباله للرسالة على الصورة التي قصدها المرسل، وعلى ترك هذه الرسالة للأثر المناسب عليه، وكلما كان يقضا، راغبا في استقبال الرسالة، قادرا على ذلك، كان هناك احتمال تحقيق اتصال فعال" [35].

ويمكن للمتلقي أنيأخذ صور وأشكال عديدة: التلميذ، القارئ المشاهد، المستمع،..وفي العملية التعليمية يعدالطالب أو التلميذ مثلا متلقي حين ما يكون الأستاذ مرسلا. ويعتبر المتلقي اهم حلقة في عملية الإعلام والاتصال؛ فالقارئ هو الشخص المهم عندما نكتب، والمستمع هو الشخص المهم عندما نتحدث. ويجب أن يضع المرسل في اعتباره طبيعة المتلقي ويتفهمها حتى يضمن تحقيق الهدف من الرسالة [36].

3.الرسالة/ المعرفة:

الرسالة هي محتوى الموضوع أو المعنى المراد توصيله من قبل المرسل إلى المتلقي وترجمة لما يرغب المرسل في توصيله إلى المتلقي من خبرات ومهارات وحقائق وقيم وعادات واتجاهات في شكل لفظي أو مكتوب أو مرسوم أو صور أو حركات أو تعبيرات أوإشارات تتناسب مع مضمون الرسالة وهدفها" [37].

وهي الركن الثالث في العملية التواصلية، وتمثل" النتاج المادي والفعلي للمصدر الذي يضع فكره في رموز (Code) معينة [38]. و للرسالة في الموقف التعليمي-التعلميصور عديدةوأشكال مختلفة منها: الكلام المنطوق كالتعليمات والتوجيهات اللفظية التي يصدرها الأستاذلتلامذته أو طلبته أو الكلام المكتوب الصوروالرموزالمختلفة، ملامح الوجه، تعابير الجسد، مختلف الإيماءاتوالإشارات...

4.2 الوسيلة:

نقل وتبادل المعلومات بين المرسل والمستقبل يتطلب وجود وسيلة أوقناة يتم من خلالها هذا النقل، حيث يتوقف اختيار الوسيلة على طبيعة الرسالة، وإمكانات المرسل، واستعدادات المتلقي.

والوسيلة هي:" الرمزأو الشكل أو اللغة التي يستخدمها المرسل ليعبر عن رسالته أو ما يرغب في توجيهه من أفكارأو معلومات أو ما شابه ذلك.. للمتلقي" [39].

وتؤثر الوسيلة بشكل كبير في الرسالة فهي " الأداة التي يمكن من خلالها توصيل الرسالة بين المرسل والمستقبل، سواء بين شخصين أو يكون المرسل شخص والمستقبل جماعة، أو بين جماعتين، أو بين مؤسسة ومؤسسات أخرى وذلك في اطار سلوك ينظم العملية الاتصالية" [40].

وتتعدد أنواع الوسائل- خاصة في المواقف التربوية- بتعدد أشكال الاتصال وأنواعه، فهناك الوسائل الشفوية كاللقاءات الصفية والمقابلات والمناقشات ومختلف اللقاءات المباشرة،..وهناك الوسائل المكتوبة كالكتب

والمطبوعات والتقارير ...كما أن هناك الوسائل السمعية كالهاتف والبصرية كالرسوم والتلفزيون أو السمعية البصرية،.. هذا وقد أضاف التقدم العلمي والتكنولوجي الكثير إلى وسائل الاتصال كالوسائل الإلكترونية الحديثة (البريد الالكتروني،والناسخأوالفاكسميلي، الأنترنت..)...كما تصنف الوسائل بحسب درجة رسميتها، فهناك الوسائل الرسمية والوسائل غير الرسمية

5.2-التغذية المرتدة:

ويطلق عليها أيضا التغذية العكسية اوالمعلومات المرتدة او رجع الصدى وكلها تعبر على معنى واحد، حيث يقوم المتلقي بناء على المعلومات التي تلقاها وادراكه وتفسيره لفحوى الرسالة التي استلمها بالرد عليها وينقلب الى مرسل والمرسل الى متلقي. ويقصد بالتغذية المرتدة " الاجابة او الرسالة التي يرسلها المستقبل ردا على رسالة المرسل او هي الاستجابة التي تبدو على المستقبل نتيجة لوصول الرسالة التي يرغب المرسل في توصيلها له، ويظهر الرجع في انساق حركية او لفظية كأن يقول المستقبل نعم ..هذا صحيح او يهز رأسه علامة على الموافقة"[41].

وينضاف الى هذه العناصر التي ذكرناها عناصر اخرى كالتشويش وبيئة الاتصال،التاثير،الهدف،....الخ.

ثالثا: متغيرات التواصل البيداغوجي في ضوء النماذج الاتصالية:

لفهم أشمل وأعمق لسيرورة نظام التواصل وتحديد لمتغيراته الاساسية، صممت أو صيغت نماذج نظرية عديدة من قبل الدارسين والباحثين من مختلف المدارس والمشارب، سنعمل على عرض بعضها، نعتبرها أساسية ومرتبطة بموضوعنا وتساعدنا على وصف شامل لبنية التواصل البيداغوجي، وعلى فهم أوضح وأدق لديناميته المتفاعلة ولمتغيراته الفاعلة.

وطبعا نحاول هنا أن نسقط هذه النماذج وهذا الفعل التواصلي في صورته العامة- وإن كان فيه بعضا من المجازفة [42].وكظاهرة إنسانية بمختلف مقارباته النظرية على المجال البيداغوجي باعتباره تمظهرا للعلاقة التربوية.

وربما لا يمكننا الاقتراب اكثر من فهم العملية التواصلية البيداغوجية وادراك جوانبها المختلفة والكشف عن مكوناتها الاساسية ووصف آليات عملها والإحاطة بأبعادها المتعددة دون التعرض لأهم المقاربات والنماذج الدارسة لموضوع التواصل كظاهرة عامة تطبع السلوك الإنساني.

ورغم أن الظاهرة الاتصالية قديمة كما هو الحال بالنسبة لجميع الظواهر المرتبطة بالحياة البشرية أو الطبيعية إلا أن "الاهتمام بموضوع الاتصال ودراسته علميا يعتبر حديثا نسبيا" [43]. في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات- ، ومع ذلك حدثت نقلات نوعية وظهرت نتيجة لهذا الاهتمام دراسات وفيرة" تحليلية لعملية الاتصال في شكل نماذج تحدد عناصرها الأساسية والعلاقة بينها [44].

لدرجة يصعب فيها التعرض لجميع هذه النماذج والمفاهيم التي وظفتها ـ بحثا وتحليلاـ

1-3 التعريف بالنماذج:

النموذج بصفة مختصرة " شكل رمزي، يقدم العلاقات الكامنة التي يفترض وجودها بين المتغيرات التي تصنع حدثا أو نظاما معينا [45].

يساعدنا على فهم وتفسير واستيعاب أبعاد الظاهرة المدروسة

2.3 أهداف النماذج:

تخدم النماذج أربعة أهداف رئيسية هي [46].

1. تنظيم المعلومات:فالنموذج يحاول إعادة تركيب العلاقات التي يفترض وجودها بين الأشياءأو الظواهر التي ندرسها، وذلك في شكل رمزي.

2. **تطوير الأبحاث العلمية**: فالنموذج يصور أفكار الشخص الذي قام ببنائه عن المتغيرات المهمة في الظاهرة في شكل يتيح للمتلقي تحليل الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه تلك المتغيرات

3. **التنبؤ**: هناك علاقة قوية بين الفهم والتنبؤ، وذلك لأننا بعد أن نفهم الظاهرة، سنحاول أن نستفيد من النتائج التي حصلنا عليها، أي نستنتج من العلاقة الوظيفية التي اكتشفناها نتائج أخرى، أو نحاول تطبيق ما توصلنا إليه على مواقف أخرى مشابهة

4. **التحكم**: بعد التنظيم والفهم والتنبؤ نصل إلى الهدف الأخير من أهداف النموذج ...وذلك من خلال محاولة السيطرة على الظواهر واستخدامها لصالح الإنسان

4.3 أسس تصنيف نماذج الاتصال:

تتمايز نماذج الاتصال فيما بينها من حيث البساطة والتعقيد وتختلف في أحجامها كما تختلف في المتغيرات التي تظهرها أو تؤكدها [47]، وتوجد أسس عديدة في تصنيفها.

تصنف على أساس الهدف منها إلى" نماذج بنائية تبين مكونات الشيء وهيئته أو الحدث وخصائصه الرسمية، ثم النماذج الوظيفية التي تحاول تبيان عمل الظاهرة وتشرح طبيعة المؤثرات عليها" [48]، وتصنف على أساس مستويات الاتصال إلى "نماذج الاتصال الذاتي، ونماذج الاتصال بين فردين؛ نماذج الاتصال الجمعي، ونماذج الاتصال الجماهيري [49]، أما من حيث اتجاهها فتصنف إلى "نماذج خطية (أحادية الاتجاه) والنماذج التفاعلية(ثنائية الاتجاه)" [50].

ويرى بعض العلماء أن نماذج الاتصال تنقسم إلىأربعةأنواع رئيسية هي : نماذج لفظية، رياضية، رمزية، وتفسيرية، في حين ركز البعض الأخر عند تصنيفه لهذه النماذج على ثلاثة أصناف من المقاربات الدارسة لموضوع الاتصال هي [51]:

- مقاربات تقنية إعلامية: وتركز على القناة بالأساس، من حيث هو وعاء مادي يلجا إليه المرسل لنقل رسالته، وهي مقاربات غالبا ما نجدها حاضرة في دراسات المهتمين بالجانب الإعلاميأو لدى المنشغلين بحقل الاتصال حيث يطغى البحث في تقنيات الترجمة والترميز والنقل...
- مقاربات لغوية لسانية تداولية: درست هذه المقاربات العلاقات المتبادلة بين الرسالة والسنن المستثمر في نقلها، من حيث هو لغة وعلامات مشتركة بين المرسل والمستقبل، تظهر في شكل تركيب ودلالة وتداول، كما تناولت بالبحث العلاقة الثلاثية الموجودة بين السنن والمرجع والرسالة...
- مقاربات تربوية، نفسية، اجتماعية: حيث يشكل جانب القيم المشتركة بين المرسل والمستقبل موضوع دراسة هذه المقاربات والتأثير الذي يحدثه ذلك في الاكتساب والتعلم، وفي الأدوار والمواقع الاجتماعية لدى المتواصلين ...

وبغض النظر عن التصنيفات السابقة، ولأن هذه النماذج التي حاولت مقاربة وفهم نظام التواصل كثيرة يصعب استقراءها جميعا، نكتفي بذكر عينة منها تساعدنا على كشف الأبعاد الحقيقية لمفهوم التواصل البيداغوجي ومتغيراته الاساسية

أ. :نموذج هارولد لازويل (1948):

من أوائل النماذج التي شخصت العملية التواصلية ومتغيراتها، نموذج العالم السياسي هارولد لازويل الذي نشر عام 1948، ويتلخص في عبارته المشهورة التي تضمنت الأسئلة الخمسة "من يقول، ماذا، لمن، بأي وسيلة، وبأي اثر؟" [52].

وواضح أن هذا النموذج يظهر خمسة متغيرات أساسية للعملية التواصلية:المرسل، الرسالة (المحتوى)، المرسل إليه، القناة، التأثير، غير أن هارولد لازويل ركز على العنصرالأخيرالتأثيرـ ذلك"لأن اهتماماته ودراسته كانت تتركز على تأثير الدعاية على الرأي العام فإذا لم يتحقق هذا التأثير تصبح عملية الاتصال فاشلة وان أدت جميع العناصر الأخرى وظائفها المطلوبة بكفاءة عالية [53].

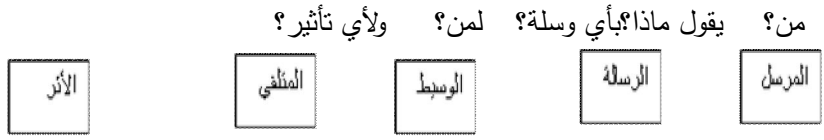

وإسقاط هذا النموذج في مجال التدريس والبيداغوجيا الجامعية يقودنا إلى الحصـول على الخطاطة التالية بهذه المتغيرات:

أستاذ ← رسالة ← وسيط ← طالب ← أثر ←

ومقتضى هذا النموذج أن المرسل- ويقوم مقامه هنا الأستاذ المدرس بخصائصه الوجدانية والمعرفية - يرسل رسالة تتعلق بالمعرفة العلمية والمدرسية المبرمجة والرسمية إلى التلميذ كمتلقي بخصائصه الذاتية والتموضعية من أجل إحداث تأثيرات معرفية، وجدانية وحركية في شخصيته (54).

باستخدام وسيط يتمثل في القنوات اللغوية وغير اللغوية (إيقونية أو إيمائية...).

وواضح من هذا كله أن هذا النموذج يندرج ضمن المنظور السلوكي الذي يقوم على ثنائية (المثير-الاستجابة) ويتجلى هذا بوضوح من خلال تركيز لاسويل في نموذجه هذا على الوظيفة التأثيرية للتواصل ولاشك أن من سلبيات هذا النظام أنه لم يعير أي اهتمام لتأثير التشويش على تبليغ الرسالة البيداغوجية، وإهماله لعامل رجع الصدى ويجعل المتقبل سلبيا في استهلاكه أو تلقيه، ومنظوره سلطوي في استعمال وسائل التأثير المختلفة في جذب المتلقي والتأثير عليه لصالح المرسل، مما يجعله يتناغم أكثر مع النموذج التربوي التقليدي المتمركز حول الأستاذ.

ب. نموذج شانون و ويفر (1949):

يعد هـذا النمـوذج أساسـا (55) للنمـاذج اللاحقـة، ومرجعـا في علـوم الاتصال لسهولته وقدرته على النمذجة[56]، والذي جاء ثمرة لنتائج البحث الـذي أجراه شانون لصالح شركة "بيل" للهاتف، حيـث أوليـا فيـه-"شـانون"و"ويفـر"- "بحكـم اختصاصهم ، كمهندسين في الاتصال وكرياضيين إحصائيين، عناية خاصة لدراسة الجوانب التقنية المرتبطة بنقل المعلومات، بغض النظر عن المضامين المحمولـة.. [57]. ووصفا فيه شانون وزميله ويفر عمليات الاتصـال مـن خـلال سـتة عناصـر: (1) مصدر المعلومات (2) المرسل (3) القناة أو الوسيلة(4) المستقبل (5) الهـدف (6) مصدر الضوضاء. واستطاعا أن يصورا نموذجهما كما هو مبين في الشكل (2)

شكل(2) يوضح: نموذج شانون وويفر [58].

إشارة الإشارة المستقبلة

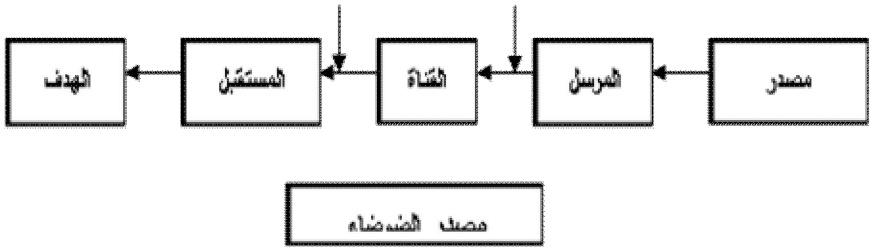

المصدر:(ربحي مصطفى عليان وزميله، ص 73)

ويرتكز النظام التواصلي في هذا النموذج على مبدأ الترميز وفك الترميز، فالمدرس أوالأستاذ كمرسل أو مصدر المعلومات [59]، يختار رسالتة البيداغوجية التربوية ويضعها في صيغة رمزية [60]، تخضع لضوابط وقواعد ذات معايير قياسية أو سماعية [61]، والطالب كمتلقي لهذه الرسالة يعمل على فك ترميز هذه

الرسالة وتأويلها واستخلاص منها دلالته الخاصة أو فهمه الخاص [62]، بعد أن تكون قد تعرضت لتشويش وضياع محتملين بسبب الضوضاء.

ومما تفترضه هذه السيرورة التواصلية لهذا النموذج وبالذات في المجال البيداغوجي أن يشتركا كل من الأستاذ والطالب في امتلاك نفس السجل المرجعي أو الرموز التي تكون الرسالة، حتى ينعقد بينهما تواصل وتفاهم. وبتركيزه –أي النموذج- هذا على عملية الترميز في حد ذاتها وما يلازمها يتجلى لنا عنايته بالعملية التواصلية في ذاتها وإعطائه لها قيمة هامة ومعتبرة. وميزة هذا النموذج في الحقيقة – خاصة عند إسقاطه على المستوى البيداغوجي- تتجلى في النقاط التالية:

- إدخاله لمصطلح الضوضاء الذي يفسر علة الاختلاف في فهم معنى الرسالة بين الأستاذ المرسل والطالب المستقبل، إذ يؤكد شانون في نموذجه على مصدر التشويش وقدرته على المساس بوضوح الرسالة [63]، أوإتلافها جزئيا أو كليا، واعتباره كما راينا عنصرا أساسيا في العملية التواصلية. وهذا من شأنه أن يوجه اهتمام وانتباه الأستاذإلى ذلك حين صياغته للرسالة وترميزها .
- توجيه اهتمامه وتركيزه على ما يسميه عبد الكريم غريب [64] إنجازيه القناة" أين تلعب القناة الدور الأساس في تبليغ أقصى ما يمكن من المضامين التربوية والبيداغوجية المحمولة في الرسالة التواصلية، وهي إما قناة لفظية لغوية أوغير لفظيةإيمائية

- وتظهر ميزة هذا النموذج أيضا كونه وسع من مفهوم التواصل حين أدرج عنصرا سابقا على المرسل [65] منه تأخذ الرسالة، وهو مصدر المعلومات، وقد نجد لهذه الفكرة تطبيقها في الميدان التربوي، إذ أنالأستاذ كمرسل في الأنظمة التربوية والجامعية يخضع في اعداده لرسالته البيداغوجية التواصلية لما تمليه عليه مؤسساته- كمصدر المعلومات- من برامج ومقررات. و من النقد

الموجه لهذا النموذج إغفاله للأثر الرجعي للرسالة، والفعل التواصلي فيه يتخذ "مسارا خطيا واحدي الاتجاه لا يهمه إلا النقل الكمي للمعلومات من وجهة نظر المرسل، ويختزل هذا النموذج التعامل مع المتواصلين بالنظر اليهم كعناصر تقنية وظيفتها الترميز، كما يسلط الضوء على القناة و يهمل عناصر أخرى لها دورها الحاسم في النقل مثل السنن والمرجع" (66).

ويترتب عن هذا سلبية الطالب المتلقي في تسلمه للرسائل المشفرة، وبهذا فهو ينسجم مع نمط الاتصال العمودي المتمركز في العلاقة والسلطة على الأستاذ ويتساوق مع ما تقتضيه البيداغوجيات التقليدية من طرائق وأليات .

أ. **نموذج رومان جاكبسون** Roman Jackobson (1964):

اعتبر جاكبسون في نموذجه أن اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل، و أن لهذا التواصل ستة عناصر وهي: المرسل والرسالة والمرسل إليه والقناة والمرجع واللغة. ولكل عنصر وظيفة لغوية خاصة ترتبط به : فالمرسل وظيفته انفعالية تعبيرية، والرسالة وظيفتها جمالية أوبلاغية ،إنشائية، والمرسل إليه وظيفته تأثيرية وانتباهيه، والقناة وظيفتها حفاظيه، والمرجع وظيفته مرجعية أو موضوعية، واللغة أو السنن وظيفتها لغوية أو وصفية. كما هو مبين في الشكل(03) أدناه.

وبهذا فان نموذج جاكبسون يكون أكثر الماما من نموذج بوهلر الثلاثي الوظائف-انفعالية وإفهاميه،مرجعية- والذي شكل لجاكبسون خلفية لسانية وجهت أعماله، إذ جعله مرجعا أوليا أضاف إليه وظائف أخرى اعتبرها مهمة في الوضع التخاطبي بمختلف مستوياته ومميزاته (67). و يمكن لنا بالتمثيل في المجال التربوي توضيح وتفصيل للوظائف الستة السابقة فيما يلي:

- **الوظيفة التعبيرية:** ويطلق عليها أيضا الوظيفة الانفعالية في نموذج بوهلر، إذأنها تعبر عن موقف وميول الاستاذ كمتكلم تجاه ما يتحدث عنه كموضوع للرسالة التواصلية في الوضعية البيداغوجية، ولذلك فان هذه الوظيفة عادة ما تتحدد بذات الاستاذ فتنطبع الرسالة البيداغوجية تبعا

لذلك بأفكاره ومواقفه الذاتية وميولاته أو لنقل عواطفه الشخصية والأيديولوجية، مثلما يحدث في "طريقة النطق مثلا أو في أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه ، أو التعجب، أو دعوات الثلب، أو صيحات الاستنفار..." (68).

- **الوظيفة التنبيهية:** أو كما أطلق عليها بوهلر الإفهامية والمقصود بها "قدرة اللغة الملفوظة على استقطاب انتباه المتلقي وتوجيه انتباهه إلى مضمون الرسالة وضمان استمرار التواصل" والتلقي، وتتمظهر هذه الوظيفة في ما يوظفه الأساتذة من الصيغ التركيبية في صورة " الأمر" والنداء" و" السؤال"...كأن يستفسر الاستاذ عن مدى استيعابهم ومدى متابعتهم لتتالي الإرسال البيداغوجي مثل قوله " هل أدركتم ما ارمي إليه..."، أو قوله إياهم" انتبهوا إلى هذه المسالة المركزية في موضوعنا....."....فكل هذه الصيغ وغيرها تأتي في الغالب لجلب انتباه الطالب كمتلقي ودفعه إلى استمرار الوصل بينه وبين المرسل طالبا كان أمأستاذا بحسب طبيعة العقد الذي يرتبطون به.
- **الوظيفة المرجعية:** تتجلى هذه الوظيفة في خطاب الاستاذ حينما تكون طبيعة المعلومات أو المعارف ...تقريرية إخبارية خارجة عن ذات الاستاذ كمرسل والطالب كمتلقي، فترتكز الرسالة حينئذ على مرجع خارجي "وتحيل على الموضوع المتناول، وقد يكون هذا المرجع موقفيا أو نصيا، واقعيا أو خياليا" (69).

كأن يقول الاستاذ اليابسة على سطح الأرض اقل من .....أو بلادنا غنية بالثروة الغابية..أو القراءة طريق الفاعلية.....

- **الوظيفة الشعرية:** وتحصل بفعل التركيز على الجوانب الجمالية والخصائص الشعرية في الرسالة حيث ينصرف اهتمام الاستاذ عند صياغته لخطابه إلى الجوانب التي تجعل منه ذا وقع جمالي شاعري في

وجدان الطالب المتلقي، تدفع به إلى التفاعل الإيجابي مع مضمونه لما يتضمنه من صور بيانية وبلاغية تأسر لبه، تماما مثلما يفعل الشاعر حينما يركز على جمالية القصيدة ومكوناتها الشكلية والإنشائية.

- **الوظيفة الحفاظية** : ويتم ذلك حينما نركز على القناة المستعملة في التواصل للحفاظ على استمراريته بين المتواصلين، بغض النظر عن مضمون الاتصال، كان يوظف الاستاذ بعض الحركات أو الصيغ التعبيرية أوالإيمائية، الغرض منها تمديد التواصل وتحفيز الطالب على الاستغراق فيه أكثر تمهيدا للتأثر بمضمونه على مستوى أفكاره ومواقفه أوسلوكياته..مثل أن يشير الاستاذ إلى محاضرة بعينها ويلمح إلىأهميتها بالنسبة للمقياس المدروس..فيقع في نفس الطالب احتمال أن تكون أسئلة الامتحان من مضمون هذه المحاضرة فيزداد انتباها لمضمونها وحرصا على مناقشة الأفكار الواردة فيها....
- **الوظيفة اللغوية الواصفة**: وتتعلق بالتركيز على توضيح عناصر الشفرة أو السنن المستعملة في الخطاب التواصلي من اجل "تفسيره معجميا وتركيبيا ودلاليا.." (70).

- مثلما يحدث عندما يعمد الاستاذ إلى شرح مصطلحات المقياس وبعض المبادئ الاساسية أو المفاهيم النقدية الموظفة في تخصص ما.

شكل رقم (03) يوضح: نموذج رومان جاكبسون Roman Jackobson

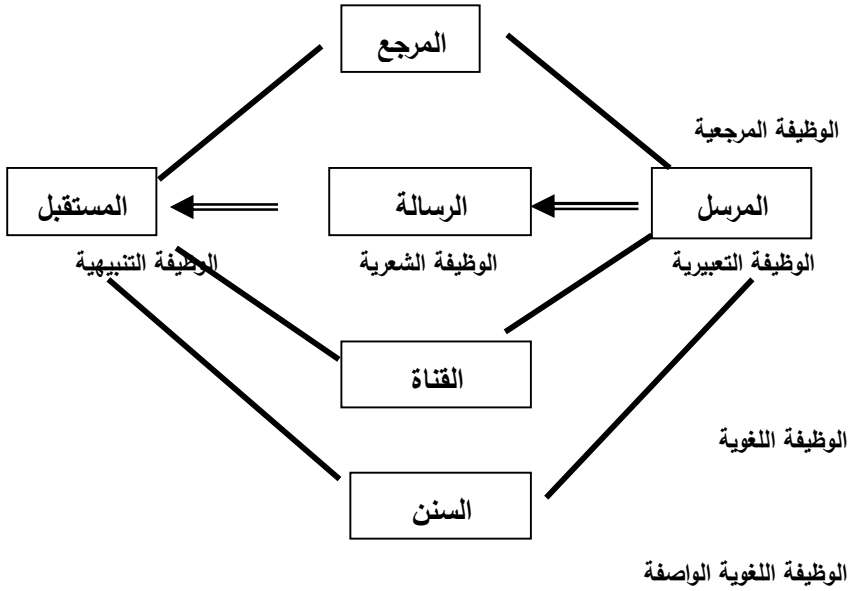

المصدر: (ميلود حبيبي 56)

وكما هو ملاحظ على هذا النموذج فان ارتباط كل وظيفة بعنصر محدد لا يعني أن كل عنصر يستقل بوظيفة محددة، بل غالبا ما تكون الوظائف متداخلة عبر الرسائل التواصلية بين الاستاذ والطالب، وقد عرف هذا النموذج انتشارا واسعا بين اللسانيين، إلا انه تعرض للعديد من الانتقادات منها ما تطعن في النموذج ككل وتذهب إلى اعتباره عائقا أبستمولوجيا حقيقيا في دراسة الاتصال، ويتبين ذلك في كونه يظل حبيس النموذج الإعلامي في مساره الخطي، حيث ينطلق من افتراض مؤداه أن الاتصال يتحقق من مرسل نحو المستقبل، وان الاول هو الذي يملك المعرفة وهو الذي يقوم بنقل المعلومات، بشكل أحادي الاتجاه، إلىآخر لا يملكها .. [71]

خاتمة:

نكتفي بهذه العينة من النماذج والخطاطات، ونشير مرة أخرى أن غرضنا الأساسي من عرضها كان من اجل فهم أليات النشاط التواصلي في الوضعيات البيداغوجية، والوقوف على المتغيرات الاساسية الفاعلة في هذا التواصل، ولعلنا نكون قد بلغنا غايتنا في ضبط هذه المتغيرات وما يرتبط بها من تفاعلات وسيرورات تواصلية.

❖ **هوامش البحث**

(1) عبد العزيز شرف، **نماذج الاتصال في الفنون والإعلام والتعليم وإدارةالأعمال** ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2003، ص 28.

(2) مصطفى حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 12-13-14

(3) هشام الطالب، **دليل التدريب القيادي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1996، ص184.

(4) محمد احمد النابلسي، **الاتصال الإنساني وعلم النفس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1991م، ص29

(5) حمد ايت موحي، محمد ايت موحي، **دينامية الجماعة التربوية**، منشورات عالم التربية، المغرب،2005م، ط1، ص81 .

(6) جعفور ربيعة، ترزولت حورية، **أهمية التواصل البيداغوجي في التفاعل الصفي، الملتقى الدولي الاول حول" سيكولوجية الاتصال والعلاقات الانسانية"** من 20 إلى 22 مارس 2005م، جامعة ورقلة، ص302.

(7) عبد العزيز شرف، مرجع سبق ذكره، ص 12.

(8) محمد احمد النابلسي، مرجع سبق ذكره، ص29.

(9) مصطفى حجازي:**الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والإدارة**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، 2000م، ط3، ص12.

(10) راشد علي عيسى:**مهارات الاتصال**، دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، 2004، ص38.

(11) محمد فريد عزت:**قاموس المصطلحات الإعلامية**، دار الشروق، جدة ،ص86.

(12) ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، دار صادر، بيروت، ص726.

(13) احمد إبراهيم احمد: **الإدارة التعليمية بين النظرية والتطبيق**، دارالهناللطباعة،الإسكندرية،، 2002م،ص246

(14) عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، ج1،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ص302 .

(15) نرجس حمدي وآخرون: **تكنولوجيا التربية**، الشركة العربية للتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، 2008، ص95.

(16) محمد فريد عزت: مرجع سبق ذكره، ص85 .

(17) بوحنية عبد القادر قوي: **الاتصالات الإدارية في الجهاز الحكومي الجزائري**، رسالة الماجستير، جامعة الأردن ، إشراف محمد عبد الفتاح ياغي، 2000، ص28.

(18) ابراهيم عبد العزيز شيحا،**أصولالإدارة العامة**، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1993، ص383.

(19) سعيد يس عامر، **الاتصالات الإدارية والمدخل السلوكي لها**، مركز وايد سيرفيس، 2000، ط2،ص25.

(20) سعيد يس عامر، مرجع سبق ذكره، ص26

(21) عصام موسى، **المدخل إلى الاتصال الجماهيري**، مكتبة الكتاني، لبنان، 1986 ص18.

(22) ابراهيم عبد العزيز شيحا، مرجع سبق ذكره،ص383.

(23) سعيد يس عامر، مرجع سبق ذكره، ص27.

(24) عزيزي عبد السلام: **مفاهيم تربوية**، دار ريحانة،الجزائر2003م، ص41.

(25) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:**الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص24.

(26) احمد إبراهيم احمد: مرجع سبق ذكره، ص246.

(27) محمد ايت موحي، مرجع سبق ذكره، ص82.

(28) جيهان رشتى، **الأسس العلمية لنظرية الإعلام**، دار الفكر، القاهرة، ط2،ص15.

(29) إبراهيم إمام، **الإعلام والاتصال بالجماهير**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1989، ص27.

(30) سعيد يس عامر، مرجع سبق ذكره، ص27.

(31) عاطف عدلي العبد:**الاتصال والراي العام**، دار الفكر العربي، 1993، ص13.

(32) نرجس حمدي وأخرون، مرجع سبق ذكره، ص 104.

(33) مصطفى حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 27.

(34) ربحي مصطفى عليان ،محمد عبد الدبس، **ربحي وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم**،دار صفاء للنشر والتوزيع،1999، ص28.

(35) عبد العزيز شرف، مرجع سبق ذكره، ص201.

(36) عيساني رحيمة، **مرجع سابق، مدخل إلى الإعلام والاتصال**،مطبوعات الكتاب والحكمة-باتنة –الجزائر، 2007، ص77.

(37) نرجس حمدي وأخرون، مرجع سبق ذكره، ص108.

(38) ربحي مصطفى عليان ، عدنان محمود الطوباسي، **الاتصال والعلاقات العامة** ،دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان، 2005م، ص50.

(39) خيري خليل الجميلي،**الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث**، المكتب العالمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1997، ص21.

(40) ليندةالعابد، **المعوقات الإدارية لعمليتي الاتصال واتخاذ القرارات**، رسالة الماجستير جامعة باتنة، إشراف رشيد بوكرشة، 2003، ص38.

(41) خيري خليل الجميلي، مرجع سبق ذكره، ص22.

(42) مولوع،العربي: **التواصل البيداغوجي**، مجلة أفاق تربوية .8/ 9منشور اتنيايةوزارةالتربية الوطنية بعمالة ابنمسيك، الدارالبيضاء، المغرب، 1994، ص ص20-28.

(43) ميلود حبيبي، **الاتصال التربوي وتدريس الأدب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، 1993، ص7.

(44) فضيل دليو: **الاتصال: مفاهيمه -نظرياته-وسائله**، دار النشر والتوزيع ، القاهرة، مصر،2003م، ص21.

(45) خضير شعبان، **مصطلحات في الإعلام والاتصال**، دار اللسان العربي للترجمة والتأليف، 2000، ص167.

(46) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 36-37.

(47) محمد عمر الطنوني، **نظريات الاتصال**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 2001، ص54.

(48) خضير شعبان، مرجع سبق ذكره، ص168.

(49) محمد عمر الطنوني ، مرجع سبق ذكره، ص 61.

(50) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، مرجع سبق ذكره، ص 37.

(51) ميلود حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص15.

(52) فضيل دليو، مرجع سبق ذكره، ص21.

(53) محمد عمر الطنوني ، مرجع سبق ذكره، ص 84.

(54) فرحاتي، العربي: **أنماط التفاعل وعلاقات التواصل في جماعة القسم الدراسي وطرق قياسها**، بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 113.

(55) غريب،عبدالكريم: **التواصلوالتنشيط: الأساليبوالتقنيات**، الدارالبيضاء، المغرب: منشورات عالم ا لتربية، مطبعة النجاح الجديدة، 2008، ص64.

(56) الضاقية،عبدالرحيم: **المدرسة المغربية وسؤال التواصل**،ع28 ، الدارالبيضاء، المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2009، ص23.

(57) ميلود حبيبي: مرجع سبق ذكره، ص21.

(58) ربحي مصطفى عليان ، عدنان محمود الطوباسي، مرجع سبق ذكره، ص73 .

(59) أشارR.Pages في شرحه لهذا النموذج إلى أن المصدر قد يكون مفصولا عن المرسل وقد لا يكون انظرتمحري،عبدالرحيم:تقنيات التواصل و التعبير،ع8، الدارالبيضاء، المغرب: منشورات مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، 2007، ص35.

(60) عبد العزيز شرف، مرجع سبق ذكره، ص10.

(61) تاعوينات،علي:**التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي**، الجزائر: المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، 2009،ص21.

(62) تاعوينات،علي: مرجع سبق ذكره، ص21.

(63) غريب عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص28.

(64) غريبعبدالكريم: مرجع سبق ذكره، ص65.

(65) تمحري عبد الرحيم: مرجع سبق ذكره، ص34.

(66) ميلود حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص25 بتصرف.

(67) التواصل الساني والشعرية، ص 24.

(68) التواصل الساني والشعرية ، ص 36.

(69) يلود حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص 57.

(70) ميلود حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص 57.

(71) ميلود حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص ص 57-58.

الدراسات الإعلامية

دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية، دعم ثقافة المواطنة، ترسيخ الثقافة الدستورية

الدكتور :علي مصباح محمد الوحيشي

جامعة الزاوية، ليبيا

الملخص:

هذا البحث يسعى إلى فحص الدور الذي يلعبه الإعلام الجديد خاصة مواقع التواصل الإجتماعى في التنشئة السياسية، فقد شكل الفيسبوك وتويتر والمدونات الشخصية قنوات مهمة في أحداث تغيرات جوهرية في الحياة اليومية للأفراد زادت من وعيهم وإدراكهم لمختلف القضايا السياسية في مجتمعاتهم وأصبحت وسائل للتنشئة الذاتية.

Abstract:

This research seeks to examine the role that play by the new media, especially social media sites in political socialization. Facebook, Twitter, and Personal Blogs form important channels in the substantial changes in the daily lives of individuals that have increased their awareness and understanding of the various political issues in their communities and become means for subjectivity socialization.

مقدمة:

يعتبر الإعلام الجديد حديثاً نسبياً، إلا إنه أصبح من أهم وسائل التنشئة السياسية الحديثة التي كشفت عن أهميتها في التأثير على حياة الأفراد خلال مراحل التنشئة السياسية إلي جانب دور المدرسة والرفاق ودور العبادة ووسائل الإعلام التقليدي، ويتفاوت حجم تأثير هذه الوسائل بحسب المستوى الثقافي وحجم قدرة الفرد على التواصل مع أقرانه على إستخدام هذه التقنية التي تمكنهم من نقل الخبر بشكل سريع وأشراك المتلقين بمضمونه، فضلاً عن إستقطاب عدد كبير من الأفراد وتكوين إتجاهات سياسية معينة في عالم إفتراضي.

لا يمكن لعملية التنشئة السياسية أن تتم بصورة تلقائية إذ أنها تحتاج إلي مجموعة قنوات أو ممرات يمكن من خلالها زرع وترسيخ وتنمية المفاهيم والأفكار والممارسات السياسية عند الأفراد والجماعات، كما يمكن رؤية التنشئة السياسية من زوايا مختلفة ومتعددة. فقد ينظر إليها بإعتبارها تربية سياسية وتدريباً على المواطنة، أو على أنها إكتساب الثقافة والمعايير السائدة، ويمكن رؤيتها بأنها هي الأساس الذي يفسر تعدد الإتجاهات والمشاعر والمواقف والأداء التي يكونها المواطنون نحو الحياة السياسية، إنطلاقاً من أن التنشئة السياسية لاتقف عند مرحلة عمرية معينة وإنما تستمر طيلة حياة الفرد.

ففي السنوات الأخيرة ونتيجة للتقدم الهائل في ثورة الإتصالات تراجع دور الأسرة والمدرسة والرفاق ودور العبادة كعامل مؤثر في تنشئة الفرد أمام الإنترنت بصفة عامة ومواقع التواصل الإجتماعي بصفة خاصة التي تطورت بطريقة غير مسبوقة، حيث أصبحت تمثل أدوات حديثة للتنشئة السياسية الذاتية تؤثر في القيم الموجودة في المجتمع. فالفرد أصبح لديه درجة أكبر من الحرية في طرح أفكاره بمنأى عن رقابة نظم الحكم السائدة ولو نسبياً في إطار ما يسمى بالفضاء الالكتروني. لذلك أصبح الإعلام الجديد من أقوى أدوات التنشئة السياسية لكونه يؤثر في الكبار والصغار على حد سواء.

أن وسائل الإعلام الجديد أصبحت تشكل عامل جذب لمختلف الشرائح العمرية في المجتمع وذلك من خلال القضايا التي تناقشها. ومن هنا برزت أهمية وسائل الإعلام الجديد في تعزيز قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع التي تهدف إلي تنمية الشعور بالإنتماء للوطن والحفاظ عليه. فالشعور بالمواطنة يأتي من خلال شعور الفرد بالأمان الفكري والسياسي والاقتصادي، فالمواطنة في أبسط معانيها تعني المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات.

أن للإعلام الجديد دوراً بارز في ترسيخ مفهوم الثقافة الدستورية والديمقراطية وأحترام حقوق الإنسان في المجتمعات المدنية. ينظر للإعلام الجديد وخاصة الآنترنت وكأنه مدرسة إفتراضية تقوم بدور فعال في هذا المجال مما يعمق مدارك الفرد لفهم القضايا السياسية. فالثقافة الدستورية تُمكن الفرد من معرفة حقوقه وواجباته الدستورية المتمثلة في المشاركة السياسية وحق الترشح والإنتخاب.

- **أهمية البحث**

تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على دور الإعلام الجديد في خلق قيم سياسية ووعي سياسي جديد لدى أفراد المجتمع تدعم تواجهاتهم السياسية وتنمي روح المواطنة وحب الوطن لديهم مما يساهم في بناء مشاركة سياسية فعالة من شأنها أن تحدث تنمية وتحول نحو الديمقراطية.

- **مشكلة البحث**

لا يمثل الإعلام الجديد العامل الوحيد في التنشئة السياسية، ولكن أصبح يشكل أحد العوامل الأساسية في ذلك. وبالتالي تتحدد أبعاد هذا البحث في بحث جوانب دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية ودعم ثقافة المواطنة وترسيخ الثقافة الدستورية في المجتمع، وذلك إنطلاقاً من الإعلام الجديد يقوم بدور لا يقل إهمية عن دور المؤسسات التربوية الأخرى كالإعلام التقليدي والأسرة والمدرسة والرفاق ودور العبادة، بل يتعداها في كثير من الأحيان نتيجة للتقدم الحاصل في

مختلف وسائله التي أصبحت تشكل مجال لإتبادل الآراء السياسية لكل الفئات العمرية وفي مناطق مختلفة من العالم، بل أصبح الفرد يكتسب من هذه الوسائل مجموعة من القيم الأساسية اللأزمة لبناء شخصيته وتحديد إتجاهاته ومواقفه السياسية.

- **فرضية البحث**

يستند هذا البحث على فرضية مفادها، إن للإعلام الجديد دور بارز في التنشئة السياسية إذ ما تمت بصورة صحيحة والتي بدورها تعزز قيم المواطنة الفاعلة وترسخ الثقافة الدستورية في المجتمع وذلك عبر تبادل الأراء والمشاركة في القضايا التي تطرح بين الأفراد من ثقافات ومناطق مختلفة من العالم في عالم إفتراضي بعيداً عن الكثير من القيود. وفي الوقت نفسه هناك تأثيرات سلبية للإعلام الجديد لها بالغ الأثر على مستخدامیه والمتمثلة في غياب الرقابة على وسائله، فليس كل ما ينشر على مواقع التواصل الإجتماعي يتصف بالحياد والصدق والموضوعية ويتماشى مع المعتقدات الدينية، الأمر الذي قد يترتب عليه بعض الإنحرافات سواء كانت أخلاقية أو عقائدية، مما يستدعي هنا أيضاً التنويه على سلبيات الإعلام الجديد.

- **أهداف البحث**

- ✓ التعرف على دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية.
- ✓ معرفة مدى إمكانية وسائل الإعلام الجديد في تعزيز قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع.
- ✓ تحديد دور الإعلام الجديد في ترسيخ الثقافة الدستورية.
- ✓ تحديد سلبيات الإعلام الجديد.

- **منهجية البحث**

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليل الوصفي في وصف وتحليل دور الإعلام الجديد في التشئة السياسية.

ماهية التنشئة السياسية

يشير مفهوم التنشئة السياسية إلي عملية مركبة تتضمن جوانب معرفية ووجدانية وقيمية يكتسب من خلالها الفرد الشعور بالهوية القومية والأفكار السياسية العامة وطرق صنع وتنفيذ القرار السياسي في المجتمع وقد تأخد التنشئة السياسية شكل التلقين الصريح أو الشكل الضمني من خلال غرس الإتجاهات والقيم والميول السياسية [1].

تحتاج كافة الأنظمة السياسية سواء كانت صناعية أو نامية إلي عملية التنشئة السياسية نتيجة لمشكلة التغيير السياسي السريع وما صاحبه من توتر وقلق وعدم توازن. حيث لا خطر على النظام السياسي إذا ما تم التغيير بأقل قدر ممكن من التوتر والقلق، والخطر يتضاعف عندما يكون التوتر والقلق يفوق قدرة النظام على الإحتمال [2].

عرف هايمان التنشئة السياسية بأنها العملية التي من خلالها يتعلم الفرد المعايير الإجتماعية من مختلف المؤسسات الموجودة في المجتمع بحيث تعمل هذه المعايير على مساعدته في التعايش سلوكياً مع المجتمع، وذلك من أجل لفت الإنتباه إلي مقولة تقول "أن السياسية من الممكن أن نحللها فعلاً إذا نظرنا إليها على أنها سلوك متعلم [3].

التنشئة السياسية هي جزء من التنشئة الإجتماعية التي يكتسب الأفراد من خلالها القيم والإتجاهات السياسية السائدة في المجتمع ويتنقلوها من جيل إلي جيل في إطار عملية التعلم السياسي. كما تعتبر التنشئة السياسية أداة لتصحيح الثقافة السياسية المنحرفة في المجتمع وخلق ثقافة جديدة تُمكن العبور بالمجتمع من التخلف إلي التقدم [4].

ويجب أن نميز ما بين التنشئة التي تقوم بها المنظمات الرسمية والمنظمات الغير رسمية، فالتنشئة التي تقوم بها المنظمات الغير رسمية كالعائلة أو المدرسة هي تنشئة كامنة، أي تنشئة لا تتعلق بصورة مباشرة بالمسائل التي من إختصاص المنظمات السياسية كالدولة والأحزاب السياسية وهي تنشئة غرضية، أي تنشئة تتعلق بتكوين المواقف والإتجاهات السياسية عند الأفراد والجماعات [5].

تختلف طبيعة التنشئة السياسية من مجتمع لأخر حسب الظروف السياسية والاقتصادية والإجتماعية السائدة. فالتنشئة السياسية مرتبطة بحد كبير بطبعية النظام السياسي السائد وما يتبناه من إيديولوجيا وسياسات وإساليب في تنظيم حياة الناس وتوجيههم نحو أهدافه. لذلك التنشئة السياسية لا تأخد نفس النمط والأسلوب، وإنما تتنوع طرقها وأساليبها بإختلاف الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها المجتمعات. كذلك التنشئة السياسية هي عملية ديناميكية مستمرة لا تقف عند مرحلة عمرية معينة، وإنما تستمر طيلة حياة الفرد، لذلك تكمن أهمية التنشئة السياسية في توطيدة العلاقة بين الشعوب وقيادتهم من خلال ترسيخ مفاهيم كالشرعية والولاء لدى المواطنين [6].

في هذا الإطار يمكن القول بأن ثقافة المجتمع وطبيعة نظامه السياسي السائدان هما اللذان يحدان الأهداف المرجوة من عملية التنشئة السياسية. فالنظم الديمقراطية تهدف من خلال عملية التنشئة السياسية إلي ترسيخ مبادئ الديمقراطية وإحترام حقوق الإنسان، فضلاً عن ترسيخ مفهوم المشاركة السياسية وقبول الرأي الأخر. بينما النظم الديكتاتورية تعكس إتجاه أخر هدفه إطالة عمر النظام السياسي من خلال ترسيخ مبادئ إيديولوجية معينة وتعبئة شاملة لأفراد المجتمع تصل إلي حد تقديس شخص الحاكم أو الحزب السياسي الحاكم بعيداً عن مبادئ الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة وقبول الرأي الأخر.

تحديد مفهوم الإعلام الجديد

ساهمت شبكة الإنترنت في إيجاد شكل جديد من الإعلام عُرف في الأوساط الصحفية والعلمية بـالإعلام الجديد أو الإعلام البديل، حيث جذب هذا الإعلام في الآونة الأخيرة الأنظار لعدد من القضايا أثارت الرأي العام وأرغمت حكومات كثيرة على إتخاذ قرارات ضد رغاباتها [7].

وقد تعددت تعريفات الإعلام الجديد في مجال العلوم الإنسانية والتي تشير في جوهرها إلي التطور الكبير الذي طرأ على إستخدام التكنولوجيا في مجال الإعلام. فقد عُرف الإعلام الجديد بأنه "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على إندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلاً عن إستخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه..." [8].

يختلف الإعلام الجديد عن الإعلام التقليدي كونه لا يوجد قادة إعلاميين أو نخب يتحكمون فيه بالرغم من إمتلاك الإحزاب والمنظمات السياسية مواقع على الإنترنت تسعى جاهدة من خلالها لنشر أفكارها وتوجهاتها بل وإستقطاب العديد من الشباب. إن التطور الكبير الذي طرأ على الإعلام الجديدلم يلغي وسائل الإعلام التقليدي بل طورها وألغى كل الحدود الفاصلة بينها وأصبح الإعلام الجديد يتسم بالطابع العالمي [9].

❖ **خصائص الإعلام الجديد**

1. إن تكنولوجيا الإعلام الجديد أدت إلي إندماج وسائل الإعلام المختلفة التي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى بطريقة ألغت فيه كل الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل. فمثلاً جريدة نيويورك تايمز أصبحت جريدة إلكترونية تستخدم الإنترنت لإرسال صفحاتها إلي عدة مراكز طباعة في نفس الوقت، كما يمكن قراءتها مباشرة على الإنترنت [10].

2. التفاعلية حيث كان الإعلام التقليدي يصدر من إتجاه واحد وبالطريقة التي يريدها المصدر كالصحيفة أو قناة التلفزيون أو الراديو، بينما الإعلام الجديد يمتاز بثنائية الإتجاه وبالتفاعلية من خلال كتابة التعليقات والملاحظات على مواقع التواصل الإجتماعي حول مختلف القضايا [11].

3. التنوع مما يُمكن المتلقي من إختيار المواد الإعلامية وتوظيفها حسب إحتياجاته ودوافعه [12].

4. حرية الإعلام، بإمكان أي شخص لديه إرتباط بالإنترنت أن يصبح ناشراً وأن يوصل رسالته إلي جميع أنحاء العالم بتكلفة بسيطة، كما أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات إضافة إلى انتشار أجهزة الهواتف الذكية المزودة بالكاميرات الرقمية والقدرة على الإرتباط بالإنترنت من أي مكان أدت إلى رفع سقف حرية التعبير والحصول على المعلومة والقدرة على الاتصال بشكل غير مسبوق [13].

5. غياب التزامنية: ويقصد به عدم الحاجة لوجود المرسل والمتلقي في نفس الوقت، فالمتلقي بإمكانه الحصول على المحتوى في أي وقت يريده [14].

❖ **وسائل الإعلام الجديد**

هناك الكثير من وسائل الإعلام الجديد التي برزت في آواخر القرين العشرين، لكن سيتم التركيز هنا فقط على مواقع التواصل الإجتماعي، المدونات، والمنتديات.

- مواقع التواصل الإجتماعي:

تعد مواقع التواصل الإجتماعي الظاهرة الإعلامية الأبرز في عالمنا اليوم، كونها تستقطب شريحة كبيرة من فئات المجتمع، وخاصة الشباب بأعتبارهم الأكثر تأثيراً في أي مجتمع بما يمثلونه من طاقة وقابلية للتغيير والتطوير [15].

إن إستخدام الإنترنت زاد بشكل سريع، ففي عام 2012 أكثر من ثلث سكان العالم أصبحوا يستخدموا شبكة الإنترنت، وفي عام 2012 هناك أكثر من مليار حساب فعال على الفيس بوك و200 مليون مستخدم لتويتر في فبراير 2013 (16).ففي الولايات المتحدة الإمريكية وحدها هناك أكثرمن 272 مليون مستخدم للإنترنت [17].

وعلى المستوى العربي، تجاوز عدد مستخدمي الإنترنت 72مليون في عام 2012، مقارنة بـ70 مليون مستخدم في عام 2011. ووفقاً للإصدار الرابع من تقرير الإعلام الإجتماعي العربي، فقد وصل عدد مستخدمي "فيس بوك" في العالم العربي إلي 45.2 مليون مستخدم في يونيو 2012 بزيادة قدرها 50٪ عن عام 2011، ويأتي نحو 50٪ من مستخدمي "فيس بوك" من مصر ودول مجلس التعاون الخليجي [18].

يمكن الإستفادة من مواقع التواصل الإجتماعي في تحديد التوعية والتثقيف السياسي عبر نشر المفاهيم السياسية بأساليب جديدة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن لمؤسسات المجتمع المدني الإستفادة من وسائل الإعلام الجديد في عرض ونشر أنشطتها وتفعيل دورها إلكترونياً [19].

- **المدونات:**

وهي أحد أشكال المنظومة التفاعلية الإلكترونية الأكثر أهمية، إذ هي مواقع شخصية على شبكة الانترنت تتضمن آراء ومواقف حول مسائل متنوعة، هي تعد تطبيقاً من تطبيقات الإنترنت، يعمل عن طريق نظام لإدارة المحتوى، وعبارة عن صفحة على الشبكة تظهر عليها "تدوينات" أو موضوعات مؤرخة ومرتبة ترتيباً زمنياً تصاعدياً، ينشر عدد منها يتحكم فيه مدير أو ناشر المدونة،

ويتضمن النظام آلية لأرشفة التدوينات القديمة، تمكن القارئ من الرجوع إلى تدوينة معينة في وقت لاحق، عندما تعود غير متاحة على الصفحة الرئيسة للمدونة (20).

- **المنتديات:**

يعود نشاط المنتديات إلي عام 1995، وهي واحدة من تطبيقات المشاركة والتفاعل والإعلام البديل تعمل على الموقع الإعلامي أو أي مواقع أخرى ذات طابع خاص، أو عام على شبكة الانترنت مثل المواقع المتخصصة وتسمح بعرض الأفكار والآراء في القضايا أو الموضوعات المطروحة للمناقشة على الموقع، وإتاحة الفرصة للمستخدمين أو المشاركين في الرد عليها ومناقشتها فورياً، سواء كان ذلك مع أو ضد الآراء أو الأفكار المطروحة، دون قيود على المشاركين بأستثناء القيود التي يضعها مسئولو المنتدى من خلال نظام الضبط والتحكم المقام على البرنامج (21).

❖ **دور الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية**

يبرز دور الإعلام في التنشئة السياسية بدرجة أكبر من مؤسسات التنشئة السياسية الأخرى التي يتعاظم دورها في مرحلة عمرية معينة من حياة الفرد، كالأسرة التي يتعاظم دورها في مرحلة تنشئة الطفل الأولى التي تسلمه للمدرسة في سنة السادسة من عمره، ومن ثم الحزب الذي يجذب الفرد في مرحلة الشباب.(22)

وأمام عجز الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني عن أداء دورها بشكل فعال في تعبئة المواطنين بسبب تضيق الأنظمة الإستبدادية وغياب الديمقراطية خاصة في المنطقة العربية، أدى ذلك إلي نفور المواطنين من هذه المؤسسات وحلت وسائل الإعلام الجديد محلها في لعب دور هام في الحراك السياسي والإجتماعي الذي شهدته المنطقة العربية مؤخراً وكذلك في نقل الوقائع الميدانية بشكل مباشر(23) .

بينما تنتشر وسائل الإعلام في المجتمعات المتقدمة بشكل واسع وتمثل أداة رئيسية في نقل قرارت الصفوة السياسية إلي الجماهير والعكس، وذلك من أجل توطيدة الثقافة السياسية السائدة[24] .

تتفق العديد من الدراسات الغربية على دور الإعلام الإجتماعي البارز في التنشئة السياسية، إذ أثبتت دراسة قامت بها جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية أن العلاقة بينهما علاقة طردية، حيث كشفت أن قضاء وقت ما في المجتمعات الإلكترونية تلحقه زيادة في معدلات المشاركة في الأعمال التطوعية والخيرية، وفي معدلات الحوار البنّاء لمعالجة القضايا المهمة للمجتمع الواقعي. ووجدت الدراسة أيضاً أن تعلم الشباب كيفية التعامل مع أدوات الإعلام الإلكتروني ساهم في ارتفاع معدل إطلاعهم على وجهات نظر ثرية ومتنوعة مما دفع بالتالي إلى زيادة إحتمال مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية والسياسية [25] .

كما أظهر تحليل حول تأثير تكنولوجيات الاتصال على الحياة اليومية، بأن المجتمعات المحلية لا تتشكل فقط في المساحات الجغرافية المحددة بل أيضاً في الفضاء الإلكتروني وتسمى "المجتمعات الافتراضية.[26]

ساهمت الأنترنت بشكل عام في تحسين الثقافة السياسية والمدنية للمؤسسات التربوية في المجتمع من خلال تطوير الأسرة وتحسين ثقافة المدرسة والمعلمين بل تطوير وتنمية المجتمع ككل في إتجاه مزيد من المشاركة السياسية والمدنية وفي إتجاه دعم وتنمية المواطنة الديمقراطية الواعية والفعالة والمسئولة والإخلاقية [27].

إن الإنترنت بصفة عامة أصبحت أداة للتنشئة السياسية الذاتية الغير رسمية والغير موجهة من أي جهة رسمية أو غير رسمية، فالفرد أصبح حر في إختيار المواضيع المطروحة وأيضاً له كامل الحرية في المشاركة برأيه والتعليق والإنتقاد للقضايا محل النقاش. وبصفة خاصة عززت شبكات التواصل الإجتماعي قيم المشاركة السياسية والثقافة السياسية من خلال إتاحة فرصة

المشاركة لكل مستخدم لهذه التقنية والتعبير عن رأيه في مختلف القضايا سواء كان ذلك في غرف الداردشة أو على الفيس بوك أو من خلال المدونات، مما شكل أداة تدريبية للمواطنين على الممارسة السياسية وخلقت وعي وثقافة سياسية لديهم مكنتهم من إحدث تغييرت جوهرية في إدراكهم لكل القضايا، وبالتالي تكون تنشئتهم مبنية على قناعات شخصية وليس على توجيهات رسمية من قبل حكومات أو جهات غير رسمية كالإحزاب السياسية وجماعات المصلحة.

❖ **دور الإعلام الجديد في دعم ثقافة المواطنة الفاعلة**

يقوم الإعلام الجديد بدور جوهري في بناء الإنسان وتعميق وعيه ودعم ثقافة المواطنة لديه من خلال تعزيز إنتمائه الوطني وتثقيفه وتعريفه بحقوقه وواجباته في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والإجتماعية بما يحقق التقدم والتنمية للمجتمع. فالمواطنة تعني "القيم التي تحث الفرد على التعاون في تحقيق أهداف المجتمع والحرص على الإنتماء وتحمل مسئولية الأعمال التي يقوم بها كذلك المهارات التي تجعله قادراً على إتخاذ القرارت والإتصال بالأخرين[38] .

الإعلام الجديدسهل من توصيل المعلومات وإتاحة فرصة التبادل الثقافي بين الأفراد حول قضايا تتعلق بترسيخ قيم حقوق الإنسان والقانون وعولمة بعض القضايا وتمكين المواطن الفرد من متابعة الشئون العالمية والتأثير في القضايا والشئون المحلية والقومية والعالمية والمعرفة عن النظم السياسية البديلة المعمول بها في دول العالم الأخرى[29] .

ينحصر مبدأ المواطنة في المشاركة الواعية والفاعلة لكل شخص دون إستثناء ودون وصاية من أي نوع في بناء الإطار الإجتماعي والسياسي والثقافي للدولة. إن المواطنة كمفهوم لايمكن إدراك تطبيقاته إلا في مستوى دولة تحرص على الإيمان بالحق والقانون وتكفل بذلك مبدأ العدالة والمساواة بين جميع مواطنيها[30] .

وهنا ينوه الباحث بأن الإعلام الجديد يؤثر في إتجاهين:

- **الإتجاه الأول:**

قد يشكل الإعلام الجديد عاملاً مساعداً في ترسيخ قيم المواطنة الفاعلة لدي المواطنين إذ أكد على الإنتماء للوطن وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية وإحترام سيادة القانون والحريات الشخصية، فعندما يصل حب الإنسان لوطنه للمثل القائل "أنا أحب بلدي أكثر من نفسي" هذا سيجعله عنصر فعال في بناء وطنه وتنميته والحفاظ عليه لأن قيم المواطنة ترتكز على المساواة بين الأفراد أمام القانون في الحقوق والواجبات وإلغاء التمايز بين المواطنين بسب العرق أو اللون أو الدين.

- **الإتجاه الثاني:**

قد يشكل الإعلام الجديد عائقاً لتعزيز قيم المواطنة إذا ترصدت وسائله لإبناء الوطن الواحد وعززت الفرقة والإنقسام بينهم، سواء كان ذلك على أساس قبلي أو مناطقي أو ديني أو طائفي. فالإعلام يتأثر بدرجة كبيرة بالظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية السائدة التي يعمل فيها وهو إنعكاس لتلك الظروف التي تكرس السلم الإجتماعي والوحدة الوطنية أو إثارة الأحقاد والنعرات الطائفية والقبلية.

يمكن إستخدام الإعلام بصورة إيجابية في تعزيز قيم المواطنة وذلك إنطلاقاً من إعتبار إن المواطنة هي أحد دعائم الديمقراطية، وفي نفس الوقت يمكن إستخدامه بصورة سلبية في زعزعة هذه القيم وتفتيت الشعور بالمواطنة والتحرر من أي قيد قد يربط الإنسان بوطنه. إذا ما كان الإعلام مبني على أسس علمية صحيحة فإنه يساعد في إحداث التأثير المطلوب وأحدث المهام المنوط بها في الإقناع والتغيير وترسيخ قيم المواطنة [31].

فتداول وجهات النظر المتعددة والأصوات المختلفة عبر وسائل الإعلام الحديثة يتيح الممارسة الفعلية للمواطنة مثل المشاركة والنقد والانتخاب. فالمواطن

الواعي له قدرة أفضل في المساهمة في عملية صنع القرار ووضع حد للعنف والقضاء على كل أشكال التمييز العنصري في المجتمع. للإعلام قدرة للتواصل مع شرائح المجتمع المختلفة فهو أداة فاعلة لتنمية وعي المواطنين بالقضايا اليومية وتعزيز إلمامهم بالتحديات والمتغيرات وسبل التكيف معها.

وهنا يمكن القول بأن للإعلام الجديد سلاح ذو حدين قد يعزز قيم المواطنة كما هو الحال في الدول الديمقراطية المستقرة التي تصون حرية التعبير وسيادة القانون، أو يعزز الفرقة والإنقسام بين أبنا الوطن الواحد كما هو الحال في ليبيا والعراق، كل مليشية ومدينة وقبيلة وطائفة تمتلك فضائيات خاصة بها تؤجج نار الفتنة والكراهية، ناهيك عن إستخدام مواقع التواصل الإجتماعي لتكريس الفرقة بينهما.

إن النظم الديمقراطية هي البيئة الخصبة والملائمة للإعلام الجديد في أداء دوره بشكل كامل لأنها لا تضع قيود على حرية الإعلام، خاصة الإعلام الذي يعزز قيم الديمقراطية والمشاركة السياسية، لا الإعلام الذي يسيء لمعتقدات الآخرين. بينما النظم الديكتاتورية لا تكفل الحقوق المدنية والسياسية لمواطنيها وإنما تعزز ثقافة الأستبداد وتضع الكثير من القيود على وسائل الإعلام الجديد خاصة مواقع التواصل الإجتماعي وذلك من خلال حجبها. وبالتالي لن يتحقق إنتشار الإعلام الجديد على نطاق واسع إذا كان الأفراد غير قادرين للوصول إلى المعلومات إما بسبب عدم توافر هذه الخدمات أو بسبب حجب حكوماتهم للكثير من مواقع الإنترنت.

❖ **دور الإعلام الجديد في ترسيخ الثقافة الدستورية**

يعتبر الإعلام أحد أهم الوسائل المتعلقة بترسيخ قيم العمل الوطني والتي تندرج تحت إطاره القضايا الإنسانية ومساراتها السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية التي من شأنها إحداث تغيرات على كافة الأصعدة [32].

تتشكل الثقافة الدستورية من عنصرين أساسيين: يتمثل العنصر الأول في الإيمان بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ويتعلق العنصر الثاني بالتركيز على حكم المؤسسات بدل حكم الأشخاص. وهذان العنصران تضمنهما الفصل السادس عشر من «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» الصادر عن الثورة الفرنسية سنة 1789 [(33)].

إن إشاعة الثقافة الدستورية في المجتمع هي من الضروريات الملحة في وقتنا الحاضر لكي يتمكن المواطن من معرفة حقوقه وواجباته المنصوص عليها في الدستور، والتي تعزز وعيه السياسي والمشاركة في صنع القرار ومحاسبة الحكومة على تجاوزاتها. ومن هنا فقد ساهم انتشار وسائل الإتصال الجديدة وإرتباطها بالإنترنت بتكثيف المطالب بالحياة الديمقراطية بعد أن وفرت الوسائط الإعلامية المرنة فرصة لحرية التعبير والتواصل لاسيما بين الشباب الذي يحاول إحداث تغييرات ديمقراطية في مجتمعاتهم كما حدث ويحدث في إيران، وتونس ومصر واليمن وسوريا وليبيا وامتدادها إلى العديد من دول العالم الغربي [(34)].

فقد أدت التفاعلية على شبكة الإنترنت إلي حدوث تغييرات على مستوى البنى النفسية والذهنية والثقافية للمواطن بل وعلى مستوى رؤيته لذاته وللآخرين، فصار الفرد يتفاعل مع مختلف النصوص والأفكار المعروضة على شبكات التواصل الإجتماعي [(35)].

ومن هنا يأتي دور المثقفين وأستاتذة الجامعات والمختصين في القانون الدستوري للمساهمة عبر وسائل الإعلام الجديد في ترسيخ مفهوم ومبادئ الثقافة الدستورية ونشرها بين عامة الناس لغياب مادة الثقافة الدستورية من مناهج مراحل التعليم الإولى وحتى في المرحلة الجامعية في غالبية الدول العربية، و وكذلك لما يشوب كثير من نصوص الدساتير عدم الوضوح الكامل. فالثقافة الدستورية إداة لصون الديمقراطية، فعندما يعي كل مواطن حقوقه وواجباته الدستورية في المجتمع يكون أكثر فاعلية في المشاركة السياسية وفي عملية صنع القرار ومحاسبة الحكومة على تجاوزاتها.

❖ سلبيات الإعلام الجديد

صعوبة الوثقوق والتحقق من صحة وصدقية العديد من البيانات والمعلومات التي تحويها مواقع التواصل الإجتماعي [36].

كثير من مواقع التواصل الإجتماعي كانت سبباً في زج الكثير من الشباب المهمش في أحضان الإرهاب والحركات الجهادية [37].

- غياب الرقابة على مواقع التواصل الإجتماعي أدى إلي كثير من الإنحرافات الإخلاقية.

4- عدم التوازن بين حجم ونوعية الرسائل الإعلامية الموجهة وبين إستعداد المتلقي لهما فيما يتعلق بالرأي والرأي الآخر [38].

الخاتمة:

نستطيع القول بأن للإعلام الجديد دور حيوي في مجتمعاتنا المعاصرة وفي مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والإجتماعية، وبما أن التنشئة السياسية لاتتم بصورة تلقائية، إذ إنها تحتاج إلي مجموعة قنوات يمكن من خلالها زرع وترسيخ وتنمية المفاهيم والأفكار والممارسات عند الأفراد والجماعات، أصبح الإعلام الجديد مصدراً أساسياً للتنشئة السياسية التي أصبحت تعرف بالتنشئة الذاتية.

إن للإعلام الجديد خصائص مكنته من الإنتشار السريع في مختلف إنحاء العالم وألغت كل الحدود الفاصلة على عكس الإعلام التقليدي الذي كان يمتاز بإحادية الإتجاه، فأصبح الفرد أكثر حرية وإستقلالية في التعبير عن رأيه الشخصي والحصول على المعلومة والقدرة على الإتصال بطريقة غير مسبوقة وبتكلفة بسيطة، الأمر الذي عزيز قيم المواطنة ورسخ الثقافة الدستورية من خلال توصيل المعلومات وإتاحة فرصة التبادل الثقافي بين الأفراد حول قضايا تتعلق بترسيخ قيم حقوق الإنسان والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات والمشاركة السياسية وحق

الترشح والإنتخاب. كما إن للإعلام الجديد آثار سلبية يجب أخذها في الإعتبار والتي تشكل تهديد كبيراً على المجتمعات.

❖ **النتائج**

1. تراجع دور مؤسسات التنشئة السياسية التقليدية أمام وسائل الإعلام الجديد والمتمثلة في الإنترنت بسبب قضاء الشباب أوقات طويلة في تصفح مواقع الإنترنت زادت من وعيهم وإدراكهم السياسي وخلق لديهم ميول وإنتجاهات جديدة تتمتع بنوع من الإستقلالية عن الحكومات.
2. إن الإنترنت أصبحث أداة للتنشئة السياسية الذاتية الغير موجهة من الجهات الرسمية والغير رسمية.
3. تعزز مواقع التواصل الإجتماعي قيم المشاركة السياسية والثقافة السياسية من خلال إتاحة فرصة المشاركة لكل مستخدم لهذه التقنية مما شكل أداة تدريبية للمواطنين على الممارسة السياسية.
4. الإعلام الجديد سلاح ذو حدين قد يعزز قيم المواطنة في الدول الديمقراطية المستقرة التي تصون حرية التعبير وسيادة القانون، أو يعزز الفرقة والإنقسام بين أبنا الوطن الواحد كما هو الحال في ليبيا والعراق من خلال إستخدام مواقع التواصل الإجتماعي كوسيلة لتأجيج نار الفتنة والكراهية.
5. وفرت وسائل الإعلام الجديد فرصة لحرية التعبير والتواصل لاسيما بين الشباب الذي يحاول إحداث تغييرات ديمقراطية في مجتمعاتهم.
6. لن يتحقق إنتشار الإعلام الجديد على نطاق واسع إذا كان الأفراد غير قادرين للوصول إلى المعلومات إما بسبب عدم توافر هذه الخدمات أو بسبب حجب حكوماتهم للكثير من مواقع الإنترنت.

❖ هوامش البحث:

(1) طارق عبدالرؤوف-إيهاب عيسى: **مؤسسات التربية والتنشئة السياسية**، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2013، ص 10.

(2) أحمد بدر: **الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسية العامة**، الكويت، وكالة المطبوعات، 1982، ص 184.

(3) طارق عبدالرؤوف-إيهاب عيسى:مرجع سبق ذكره، ص 14.

(4) ناجي الغزي. مفهوم التنشئة السياسية 2009.
http://www.djazairess.com/elayem/40273

(5) أحسان محمد الحسن: **علم الإجتماع السياسي**، عمان، دار وأئل للنشر والتوزيع، 2013، ص 264.

(6) مروة نظير: **دور الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية الثورة المصرية نموذجاً**، خاص المركز العربي للدراسات والأبحاث، 2012.
http://www.arabsi.org/attachments/article

(7) باسل النيرب. 2011، **الإعلام الجديد ... الغموض في عرض الواقع**، موقع البيان.
http://albayan.co.uk/article.aspx?id=1526

(8) بشرى جميل الراوي. دور مواقع التواصل الإجتماعي في التغيير/ مدخل نظري.
www.philadelphia.edu.jo/arts/17th/day_two/session_six/bushra.doc

(9) الإعلام الجديد المفهوم والوسائل والخصائص والوظائف.

http://www.alukah.net/culture/0/67973/#ixzz39Y3qFXBf

(10) سعود صالح كاتب: **الإعلام الجديد وقضايا المجتمع**: التحديات والفرص، المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي.

(11) نسرين حسونة: **الإعلام الجديد..المفهوم والوسائل والخصائص والوظائف**.

http://blog.amin.org/nisreenhassouna/2014/04/07

(12) المصدر نفسه.

(13) سعود صالح كاتب. مصدر سبق ذكره.

(14) سعود صالح كاتب. مصدر سبق ذكره.

(15) دور مواقع التواصل الاجتماعي في تعميق الوعي السياسي، وكالة أنباء البحرين،2012.

http://www.bna.bh/portal/news/497100

(16) Andrea, C. Alessandra, C. (2013). Politicians go social. Estimating intra-party heterogeneity (and its effects) through the analysis of social media.

http://www.lapietradialogues.org/area/pubblicazioni/doc000070.pdf

(17) Gitanjali, L, Gerald, L. 2012. Role of social media in crisis communication. http://www.geraldlewis.com .

(18) خالد بن إبراهيم الرويتع: **التأثيرات السياسية للإعلام الجديد**، الشرق الأوسط، يناير 2013، العدد 12462.

(19) وكالة أنباء البحرين 2012. مصدر سبق ذكره.

(20) دور وسائل الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية، المركز العربي للأبحاث، 2012.

www.arabicenter.net/ar/news.php?action=view&id=1716

(21) نسرين حسونة، مصدر سبق ذكره..

(22) طارق عبدالرؤوف عامر: **المواطنة والتربية الوطنية إتجاهات عالمية وعربية**، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2012، ص 207.

(23) بشرى جميل الراوي، مرجع سبق ذكره.

(24) طارق عبدالرؤوف- إيهاب عيسى.2013، ص208، مرجع سبق ذكره.

(25) الثقافة السياسية" دور الإعلام في التنشئة السياسية. معهد البحرين للتنمية السياسية. http://www.bna.bh/portal/news/556144

(26) بشرى جميل الراوي، مرجع سبق ذكره.

(27) طارق عبدالرؤوف عامر: **المواطنة والتربية الوطنية إتجاهات عالمية وعربية**،ص 209، مرجع سبق ذكره.

(28) طارق عبدالرؤوف عامر: **المواطنة والتربية الوطنية إتجاهات عالمية وعربية**،ص 209، مرجع سبق ذكره، ص 12.

(29) المرجع السابق ، ص 208.

(30) كامل الدلفي.دور الإعلام في ترسيخ مفهوم المواطنة.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79495

(31) عبدالله بدران. الإعلام وقيم المواطنة الضرورات الملحة والتحديات الواقعية.
http://www.kuwaitmag.com/index.jsp?inc=5&id=2781&pid=339

(32) رضي القعود. هل تلعب وسائل الإعلام دوراً إيجابياً في مرحلة صياغة الدستور
http://www.althawranews.net/portal/news-77368.htm

(33) محمد ضريف.في الثقافة الدستورية. 2014.
http://www.maghress.com/almassae/139357

(34) باسل النيرب، مرجع سبق ذكره.

(35) آمال قرامي. (2013). دور وسائل التواصل الاجتماعي في التحول الديمقراطي العربي.
http://ar.qantara.de/content/dwr-wsyl-ltwsl-ljtmy-fy-lthwl-ldymqrty-lrby-lthqf-lrqmytrsykh-m-tzyyf-llwy-ldymqrty-lrby

(36) نسرين حسونة، مرجع سبق ذكره.

(37) آمال قرامي، مرجع سبق ذكره.

(38) نسرين حسونة، المصادر السابق نفسه.

علاقات الصداقة، بين الواقعي والافتراضي

الباحث: محمد الأمين لعليجي، جامعة الجزائر 3

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى التطرق للدور الذي اصبحت تلعبه الانترنت داخل المجتمعات وخاصة مشاركتها في تشكيل علاقات إجتماعية جديدة، وذلك بالإشارة للقدرات التقنية التي توفرها الانترنت ومواقعها الجديدة القائمة على المشاركة وإنتاج المحتويات بالإضافة للاستخدامات المختلفة وطرق إستحواذ المستخدمين عليها التي انتهت لإحداث تحولات على الطريقة التي يدرك و ينظم بها المستخدمون علاقاتهم الاجتماعية على الخط وخارجه. بالرغم من كون الانترنت في طليعة التغيرات التي حصلت في المدة الاخيرة الماضية، إلا أن سيولة مفهوم ومعنى الصداقة أصبح أكثر بروزاً في السبع سنوات الاخيرة، خاصة مع ظهور وسائل الاعلام الاجتماعية مثل الفايسبوك. جذبت علاقات الصداقة كمفهوم وكذلك باعتبارها جانب مهم من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية انتباه الباحثين بحيث درسوا امكانية تشكلها افتراضياً وهو الموضوع الذي يطرح العديد من التساؤلات خاصة لما تقارن بصداقة الحياة الواقعية.

Abstract:

The objective of this article is to examine the growing evidence of the impact of the World Wide Web on societies, in particular, the formation of new social relations. The technical capabilities that offer the internet and the new participatory-based and user-generated sites and also the different uses and appropriations of these mediums had resulted to many transformations in the way that users organized and perceive their social relations both online and offline. While over the past 17 years the Internet has been at the forefront of these changes, it is in the last 7 years that the fluidity of the meaning and concept of friendship has become even more evident with the advent of social media such as Facebook. Friendship, both as a concept and as an important part of social relations and interactions had captured the attention of researchers; they studied the possibility of its formation virtually which poses many questions when it is compared to real life friendship.

مقدّمة:

يلاحظ المتأمل للانشغالات البحثية في السنوات الاخيرة لميادين العلوم الاجتماعية عامة، والأبحاث الاتصالية والاعلامية بشكل خاص، إزدياد الاهتمام بموضوع استخدام الانترنت، باعتبارها وسيلة فعالة تعمل ضمن متغيرات أخرى لإنشاء العلاقات الاجتماعية Social Relationships، فقد توصلت نتائج العديد من المسوح والدراسات الامبريقية التي أنجزت في عدد من البلدان أن استخدامات الانترنت الأكثر تردداً هي التي تكون لأهداف اتصالية؛ بحيث تساعد الانترنت بوصفها وسيط اتصالي ونتاج تراكم الابداعات التكنولوجية في تسهيل الحفاظ على الروابط الاجتماعية، كما تساهم في انشاء علاقات جديدة بين الافراد لم تكن موجودة قبل خوضهم في العالم الافتراضي (McKenna, Green, & Gleason, 2002); (Parks & Floyed, 1996)

بعيداً عن أيةُ نظرة انبهارية ووعي بتعقد العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع وبضرورة تجنب الوقوع في الحتميات، أصبح من الضروري الاعتراف بتدخل الانترنت ومواقعها وقدرتها على التغلغل بليونة في جوانب عديدة من المحيط الانساني، مُشكّلةً فضاء جديد قد يكون موازيا لعالم الحياة اليومية يسهل التعارف وإنشاء الصداقات meet and socialize بالنسبة للعديد من المستخدمين من خلال اندماجهم في استخدامها وتبنيهم لها، فالمجتمعات الافتراضية...أعطت للأفراد الذين يلجئون اليها نوافذ أخرى، ومرجعيات اضافية للتعامل مع العالم الاحادي البعد الذي عرفوه فيما سبق بحيث تعمل على تجزئته... [1].

يؤكد (Gergen 1991) على دور تكنولوجيا الاتصال في تغيير العلاقات الاجتماعية حيث لاحظ؛

> *"A century ago, social relationships were largely confined to the distance of an easy walk. Most were conducted in person, within small communities:*

family, neighbors, and townspeople…From birth to death one could depend on relatively even-textured social surroundings. Words, faces, gestures, and possibilities were relatively consistent, coherent and slow to change."(2)

وعليه، فإن العلاقات التي تنشأ في السياق الافتراضي يُمكن أن تنتقل لوسائل اتصالية أخرى، أو حتى الهجرة للعالم الواقعي والتفاعل وجه لوجه (FtF) إن وجدت الرغبة والإرادة لتطويرها. يميل الأفراد وخاصة فئة الشباب والمراهقين للتفاعل مع أقرانهم الذين يبحثون عن لقائهم خارج حدود محيطهم الفيزيقي، من خلال البحث عن نسج صداقات جديدة قد تكون امتداداً وقد تختلف تماماً عن تلك التي يتشاركونها وجها لوجه في حياتهم اليومية، بحيث أصبح تدريجياً تشكيل الصداقات على الخط أهم الجوانب الجاذبة والمحفزة لاستخدام الانترنت ومواقعها التفاعلية.

تطرح مسألة تشكُل العلاقات الاجتماعية عامة وعلاقات الصداقة بشكل خاص على "الخط"، العديد من التساؤلات التي تبحث عن اجابة؛ خاصة فيما يتعلق بمفهوم الصداقة في حد ذاتها وارتباطها بالسياقين الواقعي والافتراضي، فقد أثبتت مجموعة من الدراسات الكمية والكيفية (خاصة الانثروبولوجية) اختلافات في تصور مفهوم الصداقة على الخط، والتي تحيل لمجموعة عريضة وغامضة من العلاقات التي تتداخل ببعضها لخصتها لغة التكنولوجيا في لفظ صديق Amie/Friend، لذلك تهدف هذه المساهمة الى البحث والتساؤل عن مدى تشابه واختلاف مفهوم الصداقة بين السياقين الواقعي والافتراضي؟، وذلك بالتركيز على بعض الدراسات التي تطرقت لهذه الاشكالية.

1. مفهوم علاقات الصداقة في العالم الواقعي Real World

يُعد موضوع الصداقة من أكثر الموضوعات التي تستأثر باهتمام العلوم الإنسانية بمختلف تخصّصاتها، إذ يشمل هذا الموضوع رافداً من الروافد المتنوّعة

التّي تفرّعت من مجال بالغ الخصوبة والثراء اصطلح الباحثون على تسميته "سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص".

يتعرض علم الاجتماع كذلك لموضوع الصداقة باعتباره رابط اجتماعي خاص، وتنظر اليها المجتمعات بوصفها علاقة خاصة بين الأفراد تخضع لحرية الاختيار وتقع في نفس الوقت ضمن الأطر الاجتماعية وتساعد في بناء النسيج الاجتماعي للمجتمعات بحيث يشارك كل صديق جديد في توسعة الشبكة العلاقاتية للفرد، ويعمل على فتح عالم صغير آخر يسهل له النفوذ للمجتمع ويساعده في الولوج الى أماكن وبيئات ومعارف جديدة، ويعرفه بأشخاص جدد أيضا، فعملية نسج الفرد لشبكة صداقاته تمكنه من الانتقال بين الفضاءات الاجتماعية المتنوعة، بحيث تعمل هذه الديناميكية ضمن عملية التنشئة الاجتماعية، أين تقوم ببناء ارتباط الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، بحيث [3] يشير (Bidart 2010)

> *« Toute amitié, toute rencontre se produit dans un cadre social, qu'il s'agisse d'un milieu de travail, de résidence, de loisirs…Au sein de ces milieux émergent divers ensembles d'individus liés par un ressort commun particulier, que l'on appellera des cercles sociaux »*

فهذه الدوائر الاجتماعية، تشمل العديد من المجموعات التي تتداخل وتتقاطع وتشكل وسيط بين السياق العام والشبكة الفردية التي يعمل الفرد على الاستثمار فيها، فتتمثل الصداقة في علاقة بين شخصين أو أكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية تخلو عامة من الرغبة الجنسية كما أشار English and English [4]، كما أنها تشير لعلاقة إجتماعية وثيقة ودائمة تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصّة، وتحمل دلالات بالغة الأهميّة تمس توافق الفرد واستقرار الجماعة، فيشير (Hartup 1975) بأن *"الأصدقاء هم الذين يبحثون عن رفقة بعضهم البعض تلقائياً، علاوة على ذلك، يبحثون عن القرب في غياب*

ضغوطات اجتماعية "[5]، بحيث تُؤسّس الصداقة على مجموعة من التفاعلات الطوعية وغير المقيدة التي يرد عليها الفاعلون بأنفسهم يشعرون من خلالها براحة وعفوية في التعامل، بحيث يؤكد (Hays 1988) بقوله [6]:

"*الصداقة هي الترابط طوعية بين شخصين مع مرور الوقت، والذي يهدف الى تسهيل الأهداف الاجتماعية والعاطفية للفاعلين أو المشاركين، ويمكن ان تنضوي على درجات متفاوتة من الرفقة، الحميمية والمودة، والمساعدة المتبادلة*." كما أضاف Sears ثلاثة عناصر أساسية تميز الصداقة: [7]:

1- الإعتمادية المتبادلة التي تبرز من خلال تأثير كل طرف في مشاعر ومعتقدات وسلوك الطرف الآخر.
2- تشمل العلاقات الوثيقة أنماط مختلفة من النشاطات والاهتمامات المتبادلة حيث يميل الأصدقاء إلى مناقشة موضوعات مختلفة، كما يشتركون في ضروب متنوعة من النشاطات والاهتمامات بالمقارنة بالعلاقات السطحيّة التي تتركّز في أغلب الأحوال حول موضوع أو نشاط واحد.
3- قدرة كل طرف من أطراف العلاقة على استثارة انفعالات قوية في الطرف الآخر وهي خاصيّة مترتبة على الاعتمادية المتبادلة بين الأصدقاء، إذ تعدّ مصدراً لكثير من المشاعر الايجابية السارة وأحيانا غير السارة.

الصداقة وعلاقات إجتماعية أخرى

حاول الكثير من الباحثين على مدى الأدبيات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية إيضاح الفروقات الموجودة التي تميز الصداقة عن غيرها من العلاقات التي يتقاسمها الفرد مع غيره، ولكنهم أكدوا أيضا على صعوبة الفصل النهائي بينها وإمكانية تطور تلك العلاقات لتصبح "صداقة" في ظل توفر شروط معينة متفق عليها اجتماعياً:

1- الصداقة والزمالة: [8]

تدل شواهد عديدة على تنوع علاقات الأشخاص من حيث القرب والعمق والتفضيل، فمن بين الأصدقاء يستطيع المراهقون التفرقة بين أفضل صديق والصديق الحميم والمقرب أو المألوف، وبجانب الأصدقاء، يكوّن الأفراد علاقات إجتماعية مع الزملاء دون هذا المستوى من القرب والخصوصية تتضمّن الزمالة أو المعارف الإجتماعية أو العلاقات السطحيّة، ومنه نستطيع ايجاد أربع مستويات متدرّجة للعلاقات الإجتماعية من حيث العمق والخصوصيّة على النحو التّالي:

أ- الأصدقاء المقرّبون close friends: تتضح في تفاعلاتهم أعلى درجات الحب المتبادل والمعرفة الدقيقة بخصائص الصديق، مع الاستعداد لتبادل المعلومات والأسرار ومناقشة المشكلات وصياغة الأهداف.

ب- الأصدقاء الاجتماعيون social friends: وهي فئات تتراوح من الصداقات العرضيّة والتي تتصف بمعدّلات محدودة من الاتّصال ودرجات منخفضة من التجاذب والحب والمشاركة والمساعدة، وهي قابلة للتعويض عكس الصديق المقرّب.

ج- المشاركون في النشاط: تقوم على المشاركة في النشاط في غياب الصداقة وتشمل العمل في مشروع مع شخص آخر أو أداء مهمّة مشتركة.

د-المعارف: هي علاقات لا تنهض على الصداقة ولا على الاشتراك وإنّما ترتكز على القرب الفيزيقي في المقام الأول ومنها علاقات الزمالة، الجيرة...الخ.

2- الصداقة والحب:

يشير (Davis) إلى أن الحب والصداقة يتشابهان في وجوه عديدة، غير أنهما يختلفان في مظاهر أساسية تجعل الحب علاقة أوفر إثابة إلا أنها أقل استقراراً، ويعبّر (Davis) عن العلاقة بين المفهومين في جملة موجزة يشير فيها أن الحب صداقة (إذ يستوعب كل مكونات الصداقة)، ولكنّه يزيد عليها بمجموعتين من الخصائص وهما الشغف passion والعناية caring.

3- **الصداقة والتجاذب بين الأشخاص:**

تعرّف الجاذبية بأنها" *خاصيّة لشخص تستثير استجابات التقرب من جانب الأشخاص الآخرين أو هي ميل إلى الاقتراب من شخص ما*". أما الصداقة فتشير الى العلاقة المتبادلة والمستقرّة والمستمرّة والتي لا تتسم بدرجات متفاوتة من العمق والخصوصيّة، بينما يشير التجاذب الايجابي نحو شخص آخر فحسب، وقد تنشأ أو لا تنشأ عنه صداقات حقيقية.

4- **الصداقة والتقبل الإجتماعي:**

يشير التقبل الإجتماعي social acceptance إلى درجة نجاح الأشخاص في عضويّة الجماعات التي ينتمون اليها كما تحدّد من اختيار الأعضاء الآخرين لهم كرفقاء يشاركونهم الأنشطة، أما الصداقة فتتميّز بخاصيّة الاختيار المتبادل والمستقر عبر الزمن بين طرفي العلاقة الاجتماعية، أما التقبل الإجتماعي فهو مؤشّر على النجوميّة والشعبية لا يلزم وجود علاقة متبادلة.

إن الصديق هو إنسان قادر على حب إنسان آخر بغض النظر إن كان يبادله المحبّة، فالصداقة يمكن أن تحدث بين نفس النوع أو باختلافه، كما أنها تتجاوز السن فتحدث بين طفل صغير وإنسان بالغ، كما يمكن التماس الصداقة وايجادها ضمن العلاقات العائلية بين الأب وإبنه وبين الأم وابنتها، فتحدث بشكل عام لثلاثة أسباب: [9]

1- الفضيلة Virtue: تكون الصداقة في هذه الحالة من أجل الصداقة نفسها أين يعجب الطرفين ويعتزّان ببعضهما البعض من أجل بعض القيم ذات المصداقيّة في شخصية كل منهما.
2- المنفعة Usefulness: هي صداقة قائمة على قيم نفعيّة، يبحث كل فرد من ورائها تحقيق منفعة من الطرف الآخر (غالبا مادية) وهي صداقة غير أبدية بل حينيّة تنقضي بانقضاء المصلحة.

3- المتعة Pleasure: تقوم على نسبة المتعة التي يمكن أن تحقّقها العلاقة بين شخصين.

وفي هذا الاطار، يؤكد بعض الباحثين على الافكار السابقة ويعتبرون أن الصداقة friendship هي علاقة خاصّة بين الأفراد **(10)** توجد في كل العالم وفي كل المجتمعات، في كل الطبقات، وفي كل الأعمار وكل الأوقات" وقد ذكر (Krackhardt) أنه توجد ثلاثة شروط ضرورية لنمو الصداقة هي [11]:

أولا: وجود نسبة هامّة من التفاعل بين الفردين.

ثانيا: وجود مودّة متبادلة بين الفردين.

ثالثا: ضرورة بناء تاريخ من التفاعلات بين الفردين، بحيث يوجد فرق بين الصداقة المقرّبة التي تنبني على قضاء أوقات طويلة مشتركة والتفاعل في وضعيات عديدة وتوفير الدعم العاطفي المتبادل، وبين الصداقة العرضيّة casual friendship، وعبّر كل من (Baron and Bayne) في هذا الصدد على أن:

"أن الصديق العرضي هو إنسان يكون من المضحك التواجد معه، في حين أن الصديق المقرّب هو شخص ذو قيمة راجعة لتميّزه بالكرم والرقّة والصدق". [12]

فالصداقة المقربة إذن، تعني أن الفردين يقبلان الكشف عن ذاتيهما، ويعبران عن أحاسيسهما، فيقدّمان ويستقبلان الدعم ويختبران الثقة بينهما ويدخلان في إتصال جسدي (عن قرب).

أثبتت العديد من الدراسات [13] أنّه توجد ثلاثة متغيّرات مفتاحيّة مهمّة جداً في الصداقة أولها **القرب** proximity والذي تعني أيضاً توالي اللقاءات وثانيهما **التشابه** similarity، والذي يعني التشابه في الاهتمامات والقيم، ثالثها **الجاذبية الجسدية** والتي لها دور مهم، وتعدّ محدد للتجاذب المتبادل بين شخصين.

كما أن اللقاءات المتكررة تعمل على تشكيل العلاقات، بحيث يثبت هذا الطرح أنه توجد فرصة كبيرة لأن نكون أصدقاء مع أشخاص نلتقيهم بكثرة،

كالأشخاص الذين نعمل معهم أو نلتقيهم كل صباح...كما أن التشابة مهم في تكوين الصداقات أين يعمل الأفراد على الظهور بجاذبية أمام الأفراد المشابهين لهم أو الذين يقاسمونهم نفس الآراء، بحيث يتصادق الأفراد بناءاً على عوامل عديدة مثل السن، التعليم، الدين، الشخصيّة، العادات، القدرات...

2. مفهوم علاقات الصداقة عبر العالم الافتراضي Virtual World

شهدت السنوات السبع الأخيرة انتشار مواقع المشاركة، وإنتاج المحتويات من طرف المستخدمين أنفسهم new participatory-based and user-generated sites مثل facebook، Twitter، ومواقع مشاركة الفيديوهات مثل YouTube أو فضاءات الكتابات الشخصية Personal Writing Spaces مثل المدونات، فهذه المواقع على اختلافها أدت لطرح أسئلة عديدة ومهمة مرتبطة بالصداقة مثل ما هو الصديق؟ كيف نحدد الصداقة التي تنشأ في مثل هذه المواقع؟ وهل هناك اختلاف بين صديق الواقع والصديق الافتراضي؟ .

حيث يرى العديد من الباحثين أن social media كانت من ضمن العوامل المؤثرة في تغير مفهوم الصداقة الذي يرون أنه لم يعد ثابتاً ولا عالمياً، فالعديد من الأدبيات لا تزال مستمرة في التفرقة بين الصداقة على الخط وخارجه online and offline باعتبارهما كيانين منفصلين ومتمايزين (eg. Buote, Wood and (Pratt 2009), (Chan and Cheng 2004), (Vitak 2008)

يجادل بعض الباحثين بأن دراسة العلاقات على الخط تطرح بعض التحدّيات المتنوّعة، فمختلف الدراسات التي تمّت قبل ظهور الإنترنت تركّز على التفاعل وجها لوجه كطريقة أوّلية لإنشاء العلاقات. يختلف الحال لّما نحاول دراسة العالم الافتراضي وهذا راجع لغياب بعض الشروط اللازمة لتكوين العلاقات الواجب حضورها كالقرب الفيزيقي ولغة الجسد body language ... بحيث لا توجد أيّة معلومات عن السمات الجسمانية للأفراد (باستثناء بعض الحالات) والتي تعمل على جذب الأفراد لبعضهم البعض وتساعدهم على الإحاطة ببعض المؤشرات الدالّة عن شخصيّة الطرف الآخر وتسهل لهم عملية الإختيار.

يرى كل من (Lea and Spears) " *أن القرب الفيزيقي physical proximity والتفاعل وجه لوجه والمعلومات عن السمات الجسمانيّة، والإشارات حول المجموعة والسياق الإجتماعي العام والاتصال غير اللفظي، هي شروط مسبقة لتطوّر العلاقات*" وغياب مثل هذه العوامل قد يعيق تطوّر علاقات شخصيّة عميقة بين الأفراد [14] .

يختلف بعض الباحثين مع النظرة السابقة المذكورة، مؤكدين أنه بالرغم من أن العالم الافتراضي يحمل بعض المعوّقات التي قد تكبح تطوّر العلاقات الشخصيّة، إلا أنه ينضوي أيضاً وفي نفس الوقت ميزات أخرى مهمّة تدعم عمليّة إنشاء العلاقات، وهذا ما يتطلّب من الباحثين وعياً أكبر بالاختلافات الموجودة بين العالمين الفيزيقي والافتراضي، بحيث يجادل (Mckenna and Bargh) [15]:

"*أنه يمكن للإنترنت أن تعزز علاقات لم يكن من الممكن أن تبدأ في العالم الحقيقي فالعلاقات التي تنشأ في هذا المستوى من العمق يمكن أن تكون مهمة ودائمة للأفراد من تلك التي تنشأ في العالم الفيزيقي*"؛ بحيث يعطي العالم الافتراضي للأفراد إمكانية اللّقاء دون تأثير نمطيّة الجاذبية الجسمانية والتي قد تكون سببا في منع بعض اللأفراد (الخجولين أو الذين يعانون من عاهات جسمانيّة مثلا...) من مواجهة الأطراف الأخرى لتكوين علاقات وتطويرها، فالاتصالات عن طريق وسيط تسمح للمستخدم بإظهار كل نقاط قوّته وقدراته في سبيل الفوز بعلاقة صداقة.

تُعدّ الصداقة Friendship عامل مهم للغاية في حياة الفئات الشابة داخل أي مجتمع، بحيث تبحث هذه الفئة الى تكوين علاقات خارج عائلاتها ومحيطها الضيّق خاصّة في المرحلة الدراسيّة الجامعيّة، أين تصبح الصداقة في غاية الأهميّة وتشكّل نقطة تحوّل رئيسيّة تختلف عادة عن سابقاتها من المراحل وتتميّز بصداقة أقرب وأعمق [16].

تنشأ بين المستخدمين علاقات صداقة من خلال استخدامهم لمواقع شبكات التواصل الإجتماعية وخاصّة الفايسبوك facebook والذي صمّم لتسهيل الاتصال مع مختلف الجماعات والأفراد في سياق مختلف عن سياق العالم الفيزيقي، بحيث يعمل كل موقع من هذه المواقع على الترويج لنفسه من خلال مجموعة شعارات تجذب المستخدمين، يعرف موقع My Space نفسه على أنه مكان للأصدقاء، وموقع Orkut بأنه "مجتمع على الخط يربط الناس من خلال شبكة من الأصدقاء الموثوق فيهم"[17] فاستخدامات هذه المواقع لفت الانتباه للممارسات الجديدة وعلاقتها بتشكل الصداقات القائمة على التكنولوجيات الإتصالية أو ما يعرف بالصداقة على الخط online friendship التي تركز على جمع وإدارة وتصنيف الافراد الذين يعرفهم المستخدم.

تشكّل كلمة "صديق" Amie أو friend الطريقة الشائعة لوصف علاقة في مواقع شبكات التواصل الاجتماعية، بحيث اعتبره الباحثون مفهوم غامض وغير واضح [18] يفتح المجال لعدة تأويلات، فالبعض يعتبره شخص يتقاسم معه المستخدم اهتمامات معيّنة، أو أنه صديق مشترك mutual friend أو أنه صديق ينتمي للشبكة الإجتماعية التقليدية (العالم الواقعي) للفرد المستخدم إنضم لشبكته الافتراضيّة.

في نفس السياق، ترى Boyd أن مفهوم "صديق" في مواقع شبكات التواصل الإجتماعية يعكس عدد عريض من العلاقات (زمالة، معارف، أفراد عائلة..)، ذلك لأنه أخذ منحى آخر عن المعنى الذي يؤديه في العالم الفيزيقي، بحيث يستخدم مفهوم friending للإشارة إلى الصداقة الرقمية التي تحدث بالعدوى contagion [19] بمعنى أن يصبح المستخدم صديق لغيره من المستخدمين لأسباب قد تكون مغايرة تماما لإحساس الصداقة في العالم الواقعي (vraie vie) وأنها لا تشكّل علاقة مقرّبة أو انعكاس لها، بل هي قبل كل شيء علاقة بين بروفيلين (2 profils) تحدث ضمن عملية تكنولوجية.

ينطلق إنشاء علاقات الصداقة عبر الفايسبوك من مبدأ "أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي" [20] فالانتماء لأحد هذه المجتمعات الافتراضيّة يجعل الموقع يقوم باقتراح عدد من الأشخاص على المستخدم يمكن أن تكون له معرفة مسبقة بهم أو يمكن أن يتقاسم معهم اهتمامات مشتركة، كما يمكن للمستخدم أن يبادر بالبحث ومطالعة قوائم أصدقاء أصدقائه علّه يجد هدفه.

ترتكز استخدامات الفايسبوك على الصداقة، أو بالأحرى إمكانية ايجاد أصدقاء على الخط يتقاسم معهم المعلومات والأوقات والصور ونشاطات متنوعة أخرى حسب احتياجاته، وقد لاحظ الباحثون أن التواجد في أحد مواقع الشبكات الإجتماعية راجع لتأثير المودة Mode المنتشرة بين الشباب خاصّة، أين يلجئون لتقليد بعضهم في الالتحاق بالمواقع بحثا عن الإتصال بقبيلتهم Tribu وقد عبّر عن ذلك أحد المستخدمين ملخصا الحافز وطريقة الانضمام للمواقع بالعبارة التالية: « puisque tu es sur tel réseau social, alors je vais également m'y inscrire »

كما يلتحق المستخدمون بهذه المواقع لإشباع رغبة الانتماء إلى مجتمع معين يوفر له أفراداً يقاسمونه اهتماماته وآرائه... ويستعرض نفسه كذلك عن طريق تفاعله معهم، لذلك، يتكلم الباحثون عن مفهوم "قبيلة" يبحث من خلالها المستخدم عن الإعتراف reconnaissance من طرف أفراد المجتمع الافتراضي الآخرين، بحيث يقول في هذا الصدد (pierre Mercklé) أن مواقع شبكات التواصل الإجتماعية (SNSs) يمكن أن تشكّل[21]:

« Un nouveau paradigme sociologique, une troisième voie théorique entre holisme et l'individualisme sociologique »

وقد لاحظ الباحثون أن هناك ارتفاع في حدّة الفردانية التي يبحث من خلالها الأفراد عن البروز والتفرّد، لكن في نفس الوقت، يبحث كل فرد من هؤلاء

عن الانتماء لواحدة من المجتمعات على الخط من أجل التفاعل والتبادل والشعور بالاعتراف من طرف الأصدقاء.

إن بحث المستخدمين عن إشباع حاجة الاعتراف، يفسّر الكثير من السلوكيات التي يقومون بها، بحيث ينطلقون في سباق لجمع أكبر عدد من الأصدقاء والذي يرمز لمدى شهرة وشعبيّة المستخدم ومكانته ضمن المجتمع (الافتراضي) الذي ينتمي إليه في حين يشكك البعض في مفهوم الصداقة التي تعكس أعداداً خيالية من المستخدمين تفوق تلك التي يملكها الفرد في عالمه الواقعي وتعكس عدم جديّة في تجميع الصداقات [22].

فقد لاحظ عدد من الدارسين بأن الدافع وراء تجميع الأصدقاء ليس حاجة إنسانية بغرض البحث عن الرفقة Companionship بقدر ما هي حاجة اخرى قد تبدو اقل عمقاً هي البحث عن المكانة Status، فقد تبين ان السبب وراء وجود العديد من البروفيلات المزورة للمشاهير هم المعجبين الذين يبحثون عن القليل من الشهرة الضيقة.

يسمح موقع فايسبوك facebook بالمحافظة على العلاقات مع الأصدقاء والمعارف وإيجاد أفراد تمّ افتقادهم في المحيط الفيزيقي لاعتبارات جغرافية مثلا، كما يسمح بإنشاء علاقات جديدة بناءا على انشغالات واهتمامات مشتركة ضمن سياق الشبكة المشترك ومختلف التطبيقات المقترحة، ويسهل البقاء على اطلاع بكل ما يقوم به الأصدقاء (قائمة الأصدقاء) ويعطي للمستخدمين فرصة جيّدة لمعرفة أنفسهم بشكل أحسن نتيجة التفاعلات التي تحدث بينهم وبين أصدقائهم، و قد لاحظ (Michel Forsé) أن استخدامات الشباب لمواقع شبكات التواصل الإجتماعية موجّهة للخارج (أي لإيجاد علاقات مع آخرين) عكس الفئات الأكبر سناً التي تتوجه لشبكات القرب، العائلة، والمحيط الجغرافي.

تكمن جل ممارسات الشباب وأنشطتهم عبر الفايسبوك facebook بعد ايجاد الأصدقاء في تقاسم وتشارك المحتويات من صور وفيديوهات... كما يقومون بالتعليق commenter والتعبير عن اعجابهم على ما ينشره أصدقائهم عبر الموقع

بالضغط على زر like والتناقش والتحاور على هذه الأنشطة التي يهدفون من ورائها للبقاء في أجواء حميمية والاستمرار في التبادل مع محيطهم (الواقعي والافتراضي)، وهذا اعتماداً على ما توفره هذه المواقع الإجتماعية من معلومات شخصيّة وعامّة عن المستخدمين الآخرين والتي لا يمكن للمستخدم التوصّل إليها عن طريق علاقات الوجه لوجه، في حين يفصح عنها المستخدمين دون حرج في العالم الافتراضي، وقد وصف بعض الباحثين ظاهرة كشف المستخدمين لمعلوماتهم الشخصيّة بالثرثرة على الخط.

يرى (Christian Bensi) في هذا الصدد أن أنشطة الشباب على هذه المواقع لا يعني أنهم أصبحوا دون حياة « no life » ويؤكد أن استخداماتهم تشكل طريقة للبقاء على اتصال، أين يقبل الأفراد من خلال استخدامهم للمواقع على تمديد الروابط التي يملكونها والمحافظة عليها، بحيث عملت هذه المواقع على انقاص درجات الانفصال بين الأفراد والتي حددت من قبل بستة (6) درجات حسب نظرية (Milgram) الشهيرة الخاصة بالشبكات الاجتماعية، بحيث يتم الكلام عن الروابط الضعيفة les liens faibles المتمثّلة في العلاقات المهنيّة والمعارف العابرة [23]، أين تمثّل هذه المواقع تجمعات كبيرة يقوم المستخدمون من خلالها بجمع المئات من الأصدقاء الذين لا يحملون نفس الصفة وليسوا بالضرورة نفس أصدقاء الحياة الفيزيقية.

تؤكد (Claire Bidart) على فكرة أن علاقات الصداقة في العالم الافتراضي تساهم في تكوين وتشكيل المجتمع، ذلك لأنها تعمل على إنتاج روابط إجتماعية متنوعة وتساهم في تراكم رأس المال الإجتماعي والذي يشكل بدوره شبكة العلاقات التي يمكن للفرد أن يكوّنها وتمثل بالنسبة له مجموعة موارد يستفيد منها، بالإضافة إلى أن المواقع تمثّل طريقة سهلة للولوج والتحصّل على الدعم المادي والمعنوي.

توصّل (Marlow) من خلال دراسة قام بها [24] الى وضع تصنيف يضم أربع أنماط من العلاقات أو الصداقات من خلال facebook وهو تصنيف أوّلي قائم على مدى تردّد وتواتر التبادلات على الخط وهو كالآتي:

1- قائمة الأصدقاء liste d'amis: الموجودين في دليل الصداقة، أو الذين قبلوا طلب صداقتنا بهم عبر الموقع.
2- الأصدقاء الذين نتبادل معهم الإتصال communication réciproque.
3- الأصدقاء الذين لا نتبادل معهم الإتصال، بحيث يحاول المستخدم الإتصال بالمستخدمين الآخرين الموجودين في قائمته لكن دون أن يجيبونه.(إتصال من طرف واحد).
4- الأصدقاء الذين نتبادل معهم علاقات مدعومة من الطرفين، أين نجد فعلين (deux actions) على الأقل، تبادل محتويات، زيارة بروفيلات...إلخ.

وقد لاحظ (Marlow) وفريق بحثه أن العلاقات المدعومة relations soutenues نادرة جداً وتكون مرتبطة بحجم شبكة المستخدم أو قائمة أصدقائه، كما أنه كلما اتسعت شبكة المستخدم قلّت هذه العلاقات، وقد أثبتت الدراسة أن الشبكة المتكوّنة من 150 صديق تجعل المستخدم يتعامل مع 5 أفراد إن كان المستخدم ذكراً أو 7 إن كانت المستخدمة أنثى [25] .

يرى الباحثون، أن الصداقة تشكّل نقطة الدخول لموقع facebook ودليل الخطوات الأولى فيه، وقد عبّر عن ذلك Pierre وهو تلميذ ثانوي قائلا: « on y va grâce aux amis » بحيث أن الأصدقاء يدعون ويُدخلون الملتحقين الجدد بالموقع حتى بالنسبة للذين لا يملكون بروفيلات فإنهم يتوجهون مع أصدقائهم (عادة أقرانهم) إلى مقاهي الإنترنت من باب الفضول تمهيداً لالتحاقهم بصف المستخدمين، فأرضيّات المواقع تقترح قبول الدعوات أو تجاهلها ignorer لكنها لا تستخدم كلمة رفض refuser لأن تجاهل الدعوة تبقي أمل العلاقة بين المستخدمين

في حين أن الرفض يعد غير مقبول اجتماعياً ويهدد العلاقات خاصّة إن كانت قاعدتها علاقات العالم الواقعي أين يلتقي الطرفين وجها لوجه.

و يُؤكد كل من (Stenger et Coutant) كذلك على أن الأصدقاء في مواقع شبكات التواصل الإجتماعية لهم عدّة أشكال [26] ولا يحملون صفة واحدة تكون كلّها منطوية تحت مضلّة صديق « Amis » :

1- أصدقاء حقيقيين réels: بمعنى الحميمية، القرب، التواطؤ، ولا يشكلون الغالبيّة في المواقع وإنما يشكلون القلّة، لكن كثافة العلاقات حقيقية، لأن الاتصالات الأساسية تحدث معهم عبر الموقع (الشات، التعليق، رسائل على الحائط...).
2- الأصدقاء اليوميين، أقل حميميّة: يتمثّلون في معارف يرتبطون بمكان أو نشاط معيّن (جامعة ، قسم...) بحيث يوجد موضوع مشترك عادة يتمثل في حيز جغرافي واحد.
3- معارف سابقة: تتمثّل في أشخاص تمّ التعرّف عليهم من قبل، لكن لا توجد علاقات دائمة معهم (أشخاص تم التعرّف عليهم أثناء الإجازة، سهرة...) كما أن زملاء الدراسة القدماء يشكّلون مجموعة من الدرجة الثانية لعلاقات الصداقة، فالعلاقات في هذا السياق نادرة ومحدودة ضمن الزمن.
4- أفراد العائلة: (الإخوة والأخوات...) يمكن للمستخدم أن يكون صديق مع فرد من عائلته كالإخوة والأخوات مع الإشارة إلى أن الأولياء لا يشكّلون بالضرورة جزء من قائمة الأصدقاء عند الشباب، لكن نجد أن الأولياء هم من يبحثون لتكوين صداقات مع أبنائهم بهدف مراقبة نشاطاتهم.
5- أشخاص يتقاسمون اهتمامات مشتركة (رياضة، موسيقى..): بحيث يتقاسم المستخدمين اهتمام أو ممارسة مشتركة تبنى علاقاتهم على الخط.

6- مشاهير ونجوم رياضيين وفنّانين: تجمع بعض الصفحات محبّي هؤلاء المشاهير والمعجبين بهم.

7- الأنا المتعدّدة des Soi: هناك إمكانيّة لأن يكون المستخدم صديقا مع نفسه بامتلاكه عدّة حسابات أو بروفيلات من أجل حماية نفسه أو إخفاء نشاطاته عن الأولياء بحيث يكون للمستخدم بروفيلين أحدهما "رسمي" لا ينشط من خلاله وآخر يحمل إسم مستعار ينشط من خلاله بشكل سري.

8- منظّمات organisations: وتشمل فرق موسيقيّة، برامج تلفزيونيّة، فرق كرة قدم، جرائد منضّمات مهنية، وهي تختلف عن بروفيلات الأصدقاء وهي في شكل صفحات pages أو groupe تقدّم نفسها للمستخدمين الراغبين في الاشتراك في صفحاتها ليصبحوا معجبين.

وعلى أيّة حال؛ إن أهم ما يمكننا استنتاجه من هذه المداخلة هو الاختلاف الموجود نسبيا على المستوى المفاهيمي بين كل من الصداقة في العالمين الواقعي والافتراضي، وهذا دون اعتبارهما بالضرورة عالمين أو كيانين منفصلين تعسفا، فمؤشرات التمازج بينها مطروحة جداً، ويؤكد عليها ارتباط المستخدم بهما في نقل علاقاته بشكل متبادل من الواقعي إلى الافتراضي ومن الافتراضي للواقعي في عملية لا تخرج عن حدود حياته اليومية.

يرتكز تصور الأفراد لمفهوم "الصداقة" على مرجعيتهم الاجتماعية والثقافية غير الثابتة، واستعداداتهم للدخول في التفاعلات والتخلي عنها في أي وقت، كما يرتبط كذلك أساساً بعلاقتهم بالتكنولوجيا، أي بتصميم المواقع في حد ذاتها وتحديدها لمفهوم الصداقة الذي يخدم أغراضها، وعلى هذا الأساس، يجد المستخدم نفسه ملزماً بقبولها كخطوة أولية يتفاوض من خلالها مع التكنولوجيا حتى يتمكن من الاستمرار في التفاعل داخل الموقع في اطار عملية تكنولوجية لا أكثر، لكنه في نفس الوقت غير مجبر على تبنيها كنظرة محددة لمعنى الصداقة التي يؤمن بها ويمارسها في حياته اليومية، بمعنى أنه يملك القدرة ويستطيع التفرقة بين الصداقة

القائمة على الألعاب التشاركية وغيرها من النشاطات الافتراضية وبين صديق الطفولة المقرب، وقد انتبه مصممي المواقع الاجتماعية لضرورة ادراج تصنيفات للعلاقات التي تنشأ على مواقعها تفرق بين المعارف، الزملاء، أفراد العائلة...وغيرها من العلاقات حتى وان جمعت جميعها تحت عنوان الأصدقاء Friends.

تتشابه علاقات الصداقة بين السياقين الواقعي والافتراضي من حيث امكانية تداخلهما كمرحلة أولى، فقد أثبتت الدراسات أن هدف المستخدمين بعد انضمامهم للموقع هو البحث عن علاقات من واقعهم الفيزيقي اليومي للالتحاق بها أو لدفعها للانضمام ثم البحث عن علاقات جديدة والرد على طلبات الصداقة Friending من أجل التفاعل لأهداف عديدة، فتعمل بذلك الصداقة التي تنشأ افتراضياً على تكملة وتوسعة complement and extend الصداقات الموجودة من قبل.

تتكون علاقات الصداقة لأسباب كثيرة قد تختلف عن تلك التي تحدث في العالم الواقعي، لكنها يمكن كذلك أن تكون لنفس الأسباب كالاهتمامات المشتركة والتشابه في الأهداف similarity in goals الذي تظهره مجموعة من المؤشرات التي يعتمد عليها المستخدم في اتخاذ قراره ويساعده في ذلك الخوض في النشاطات كالمجموعات والتأشير بالإعجاب والتعليقات على المحتويات المشتركة المتقاسمة في الفضاءات الافتراضية، فمتغير القرب الذي تفترضه العلاقات في السياق الفيزيقي توفره المواقع بأشكال اخرى كثيرة خاصة مع التقدم التقني وتحديث التطبيقات والبرامج على مستوى الصوت والصورة، فنلاحظ أن استمرارية الصداقة سواء في الفضائين الواقعي أو الافتراضي تعود لمتغير "الإرادة" الذي يحدد نسبة تكرار التفاعلات أو غيابها في ظل توفر نفس الشروط.

يفكر المستخدمين أثناء تطور علاقاتهم في العالمين الواقعي والافتراضي في رغبتهم في الاستمرار في التفاعل والتعاطي مع الشبكة التي ينسجونها وذلك عن طريق تقييم ما مضى من تفاعلات في عدة وضعيات كمرحلة إعادة "مراجعة

للعلاقة، فنوعية العلاقة تحددها عوامل معينة كتوالي اللقاءات في الحياة اليومية وتواتر التعرض frequency of exposure للموقع بالنسبة للانترنت ومواقعها، بحيث يبدو أن تكون العلاقات على المواقع أسهل وأسرع بالنسبة للمداومين على الاستخدام في إعطاء الفرصة والوقت الكافي لتحقيق تبادل الرسائل، وإنشاء انطباع عن الشخصية وتنمية العلاقة بنفس الكيفية التي تتم في عالم الحياة اليومية وهو ما يسمح بتشكيل الصداقة حتى وان كانت لمرحلة معينة فقط، فديمومتها في السياقين الواقعي والافتراضي مسألة تتحكم فيها عدة متغيرات متداخلة، لذلك فان أي تفكير وبحث مستقبلي لموضوع الصداقة بوصفها جانبا مهما من جوانب التفاعلات الانسانية لابد ان تأخذ بعين الاعتبار نقاط الالتقاء والاختلاف بين الصداقة على الخط وخارجه على مستوى الفهم والممارسة والتي ترعاها استخدامات وتصورات الأفراد المتمايزة.

❖ **هوامش البحث**

(1) عزير لعبان، « الفضائيات العربية ومجتمع المعلومات » ، مجلة فكر ومجتمع، العدد 2،الجزائر، 2009 ، ص33.

(2) Mayja Gerlander & Eeva Takala: "Relating Electronically Interpersonality in the Net", Department of Communication, University of Jyväskylä, 1996, p: 1.

(3) Claire Bidart : « *Les Ages de L'Amitié, Cours de la vie et formes de socialisation* », n° 113, p. 65-81 *Transversalités*, janvier-mars 2010, p 68.

(4) أسامة سعد أبو سريع: " **الصداقة من منظور علم النفس**"، مكتبة عالم المعرفة، نوفمبر 1993، ص 27.

(5) Hartup, W. W: *"The origins of friendships"*. In M. Lewis & L. A. Rosenblum (Eds.), *Friendship and peer relations,* New York: Wiley, 1975, p 11.

(6) Darius K.-S. Chan & Grand H.-L. Cheng: "*A comparison of offline and online friendship qualities at different stages of relationship developmen*t" The Chinese University of Hong Kong, Journal of Social and Personal Relationships, Sage Publications,2004, p 2.

(7) مصطفى سويف: "**مقدمة لعلم النفس الإجتماعي**"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص 245.

(8) أسامة سعد أبو سريع: "**الصداقة من منظور علم النفس**"، مكتبة عالم المعرفة، نوفمبر 1993، ص34.

(9) T-Ravichandran : " *on Friendship*", Published in college English Review, April-June 1999, Vol, 3 :N2 pp: 23-25

(10) Bunter, G: "***Friends by choice an actor-oriented statistical Network model for friendship networks through time***", Amsterdam: Thesis publishers, 1999, p: 5.

(11) Dominika Zaczek: " ***online Friendships***", University of South Africa, February 2004, P: 7.

(12) Tesser A, and Campbell, J: self definition: "***The impact of Relative performance and similarity of others"***, Master of Arts social psychology Quarterly, 43, 341, 1980, p: 22.

(13) Dominika Zaczek: *"**online Friendships***", University of South Africa, February 2004, P: 8.

(14) Lea and Spears: **« *Love at first byste****? Building Personal Relationship over computer networks »*, Newbury parks, CA, sage, 1995, p: 200.

(15) McKenna and Bargh**: plan 9 from Cyberspace**: "*The implications of the internet for personality and social psychology"*, personality and social psychology Review, 4(1) 2000, p: 59.

(16) Anne West and others : "***Student's facebook 'Friends** ' public and private spheres"*, Journal of Youth studies, Vol.12, N°6 December 2009, p: 3.

(17) Christine Rosen: "***Virtual Friendship and the New Narcissism**" the New Atlantis,* A Journal of Technology & Society, summer 2007, p: 14.

(18) Victoria Geyer: "***What is social in social networking****? Is social networking failing to sustain traditional social standards*? "Proceedings of the New York state communication Association, University of Hofsta, p: 3.

(19) Francois Filliettaz, Marco Gregori : « *Comprendre les Réseaux Sociaux numériques »,* Direction des systèmes d'information et service école-médias, Version 1.0, Septembre 2011, p : 7.

(20) Christian Balagué et David Fayon : **« *A quoi sert un réseau social ?*** », Pearson Education, France, 2010, p : 11.

(21) Ibid, p 2.

(22) Danah Boyd:" ***Friends, Friendsters, and MySpace Top 08****: Writing community into being on School Network sites*", University of California-Berkeley, 2006, p: 5.

(23) Soren Preibusch and Alastair R, Beresford: "***Estabilishing Distributed Hidden Friendship Relations****"*, University of Cambridge, Computer laboratory, 2010, p 12.

(24) La Rochelle : ***vers un Management des « Amie » sur les Réseaux socionumériques ?*** *Usage et appropriation sur facebook, Skyrock et MySpace*, 15eme colloque de l4 association information et Management, France, 2010, p : 5.

(25) Marlow C: "***Maintained relationships on facebook***", 2009, p: 3. (http://overstated.net) site visited in 02/05/2012

(26) Stenger Thomas et Coutant Alexandre : ***« Des amis sur les Réseaux socionumérique****s ? Types et Formes de Relations »*, Institut des sciences de communication du CNRS, 2010, p : 5.

الدراسات التاريخية

الإدارة البريطانية في جنوب السودان

1899م-1955م

الأستاذ: محمد الطاهر بنادي
جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

ارتبط تاريخ أقاليم السودان عبر العصور المختلفة بتشكل كيان متنوع، اختلطت فيه مكوناته العرقية، الإثنية والدينية، من أصول إفريقية وعربية، امتزجت دماءها وانصهرت في بوتقة واحدة، غير أن الموجة الاستعمارية الأوربية الجارفة التي استهدفت القارة الإفريقية في فترة العصور الحديثة، خاصة في القرن 19، حولته إلى منطقة نفوذ بريطاني جعل منه بؤرة صراع حضاري بين الثقافتين الإفريقية الزنجية في الجنوب والعربية الإسلامية في الشمال، جراء السياسات التي شملت التنظيمات الإدارية المختلفة والتي أقرتها حكومات السودان البريطانية المتعاقبة فيما بين 1899-1955، جرّت السودانيين ودفعت بهم إلى الدخول في صراع أهلي مرير بين أبناءه طبعه التعصب الديني والعرقي.

Abstract:

During the different eras, history of Sudanese regions has been associated with the formation of a diversified entity. Where the ethnic and religious components are intermingled, of Arab and African origins, their blood melted in one pot. However, the sweeping European colonial wave that targeted the African continent in the modern times, especially in the nineteenth century, turned it into a British sphere of influence, which made him the focus of a cultural conflict between African cultures Negro in the south and the Arab Muslim in the north, due to the policies that included various administrative regulations endorsed by successive British governments of Sudan among 1899-1955, which dragged the Sudanese and pushed them to engage in a bitter civil conflict between its sons, featured by religious and ethnic racist tendencies.

مقدّمة:

شهدت العلاقة بين شمال السودان وجنوبه اتصالا حضاريا وتمازجا ثقافيا فريدا منذ العصور القديمة، عبر نهر النيل، واستمرت هذه الصلات القوية طيلة القرون المتلاحقة، مرورا بالعصور الوسطى وحتى الفترة الحديثة التي شهد فيها ممالك إسلامية عديدة، تولى حكم بعضها زعماء تعود أصولهم إلى القبائل الجنوبية، الذين اختلطوا بالعرب، فكان منهم الأصل الذي وحد السودانيين في كثير من الأحيان

لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر قمة التزاحم الاستعماري على إفريقيا والذي نتج عنه تقسيمها إلى مناطق نفوذ بالتراضي. وقد دخل نفوذ البريطانيين إلى حوض وادي النيل كخطوة أولية لوضعه تحت طائلة الاستعمار، فكانت السودان ضحيته بعد أن استتبت لهم الأوضاع فيه عام 1898، وفي خطوة لاحقة فرضت عليه الحماية التي أفرزت نظاما إداريا مصريا بريطانيا مشتركا، ثم استأثرت به وأصبح تابعا للتاج البريطاني، وعينت عليه حاكما عاما منحته صلاحيات مطلقة لإدارته.

ولما أدركت صعوبة حكمه مباشرة، بادرت إلى وضع سياسة مختلفة في الجنوب حتى يتسنى لها فصله عن الشمال نهائيا وبشكل تام، وذلك عبر مراحل وسنوات طويلة، تمثلت في إدخال أنظمة إدارية امتدت من عام 1899م إلى غاية عام 1955م، بدءا من نظامي الحكم الثنائي والإدارة غير المباشرة مرورا بتكوين جهازي الشرطة والجيش والمفتش. تلى ذلك إصدارها لقانون المناطق المقفلة الذي كشف نوايا الإدارة البريطانية في الجنوب، والذي أرادت بفضله أن تلحقه بمستعمراتها في وسط وشرق إفريقيا البريطانية.

إن مشكلة جنوب السودان عدّت من أدق المشاكل التي عانت منها القارة الإفريقية، حيث بدأت جذورها منذ وضعه تحت نظام الحكم الثنائي .

سنحاول من خلال هذه الدراسة توصيف السياسة الاستعمارية البريطانية في شقها الإداري إبان فترة الحماية (1899-1955) بواسطة الآليات التي اعتمدتها في الجنوب لترسيخ حكمها وفصله عن الشمال، وما ترتب عنها من آثار ونتائج انعكست بشكل أو بآخر على المجتمع السوداني جنوبه وشماله.

1. **نظام الحكم الثنائي:**

بعد القضاء على الدولة المهدية عام 1898، وذلك بعد تدخل القوات المشتركة المصرية البريطانية بقيادة كتشنر[1] سردار(قائد) الجيش المصري وهذا بعد تحمل الخزينة المصرية ثلاثة أرباع تكاليف الحملة، وبعد إستتباب الأوضاع في السودان بعد استرداده، وقعت كل من بريطانيا ومصر اتفاقية الحكم الثنائي في 19 جانفي 1899م، حيث ظهر إلى الوجود كيان السودان المصري الموحد سياسيا، لكنه بخصائص تتفاوت في الانسجام بين أقاليمه المختلفة [2].

وعلى الرغم من أن محتواها ينص على مشاركة الطرفين في حكمه وبسط سيادتهما عليه، إلا أنها أقصت شريكتها مصر من حكمه [3]، وأصبحت الإدارة في السودان أنجليزية محضة بيد الحاكم العام، خاضعا لحكم الإداريين البريطانيين بمساعدة صغار الموظفين المصريين.

بدأت في تنفيذ سياساتها التي تقضي بفصل الجنوب عن الشمال، وبشكل نهائي والعمل على جعله قسما لا صلة له بوادي النيل، وكانت رغبتها في ذلك هي خلق منطقة حزام بين البلاد الواقعة تحت نفوذها في شمال إفريقيا ممثلة في مصر والسودان وبين مستعمراتها في وسط وشرق القارة. كان ذلك عبر مراحل بدءا من عام 1902 بفضل النظم الإدارية في جنوبه عنها في شماله [4].

متعمدة تشويه الروابط التاريخية بينهما. كما قامت مباشرة بعدإستحواذها عليه، باقتطاع أجزاء من دول مجاورة له من ناحية الجنوب وبحدود متباعدة وجنسيات وقبائل مختلفة، الأمر الذي أفرز مشكلات حدودية بعد ترسيم حدوده من قبل الإدارة البريطانية [5].

إنه وبمقتضى إتفاقية الحكم الثنائي، نصبت عليه حاكما عاما يتولى السلطتين التشريعية والتنفيذية يساعده ثلاثة سكريترين هم السكرتير المالي (وزير المالية) والسكرتير الإداري (وزير الداخلية) والسكرتير القضائي (وزير العدل)، ولكل منهم مساعد، يخضع لهم مديرو الإدارات المختلفة في السودان الذي قسم إلى ثمان مديريات. يتمتع الحاكم العام بصلاحيات واسعة في شؤونه الداخلية، فهو الذي يسن القوانين والتشريعات على أن يبلغ المندوب السامي البريطاني ورئيس مجلس الوزراء المصري بها على سبيل العلم فقط، فيما يتمتع مديرو المديريات بسلطات واسعة في مديرياتهم منحتهم إياها السلطة المركزية فيما تبقى إقتراحاتهم فيما يتعلق بالمالية والأمن العام لها قيمتها عند الحاكم العام في الخرطوم (6).

لقد توالى ثمانية حكام بريطانيين على السودان منذ 1899م إلى غاية 1955م ،عام تقرير المصير والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول يوضح الحكام البريطانيين على السودان من 1899-1955(7)

الحاكم	فترة حكمه
فيلد مارشال هوار شيوهربرت كتشنر	23 ديسمبر 1899- 31 ديسمبر 1900
ريجنالد وينجت	1 جانفي 1901 – 31 ديسمبر 1916
سيرلي ستاك	21 جانفي 1917 -20 نوفمبر 1924
سيرجيو فيري آرشر	4 ديسمبر 1924 -17 أكتوبر 1926
سيرجون مافي	24 أكتوبر 1926 -13 نوفمبر 1933

سير ستيوارت سايمز	10 جانفي 1934 -14 أكتوبر 1940
سير هيوبرت هادلستون	15 أكتوبر 1940 -7 أفريل 1947
سير روبرت هاوي	17 أفريل1947- 17 مارس 1955

2.نظام الحكم غير المباشر:

رأت الحكومة البريطانية ضرورة إحداث تغييرات على النظام الإداري في السنوات العشرون التي أعقبت الحكم الثنائي وذلك بسبب عوامل سياسية عديدة طرأت داخل مستعمراتها (كنمو الوعي القومي بين شعوبها وظهور نخب سياسية واعية) والتي عجلت بظهور نظام الحكم غير المباشر فيها[8] الذي مثل حجر الزاوية في السياسة الاستعمارية البريطانية وأصبحت له قاعدة نظرية تقوم على مفهوم التهيئة.

إن اللورد فريديرك جون ديلتري لوغارد Frederick John Deultry Lugard (1858_1945) وزير مستعمرات بريطاني سابق وحاكم عام في نيجيريا فيما بين 1914-1919 هو صانع هذا النمط من الحكم من خلال كتابه الذي صدر عام 1922 تحت عنوان : "الانتداب الثنائي في إفريقيا الاستوائية البريطانية" « The Dual Mandate in British Tropical Africa »[9].

يذكر أن البريطانيين بدأوا تجربة هذه السياسة في شمال نيجيريا وذلك من بدايات القرن العشرين بفضل أفكاره والذي كان يرى بأن نيجيريا لا تحتمل جلب موظفين بريطانيين من الخارج، وبهذا أعطى فرصة للأمراء المحليين بأن يواصلوا حكمهم للأهالي، وأن يتعلم زعماء القبائل ومجالسهم المحلية طرق الإدارة العصرية، بواسطة نظام الإدارة الأهلية (الحكم غير المباشر.[10]

إن نظام الإدارة الأهلية يقوم أساسا على إسناد إدارة البلاد العامة لسلطان أو ملك وطني يتبعه سلاطين متعددون كل واحد منهم يتولى تسيير شؤون

قبيلته الكبيرة، وهو الذي يشرف على الجميع، في حين يقوم إداريون وقضاة بريطانيون بالتوجيه والنصح[11] .

مع وضعهم للقوانين من حين إلى آخر، حتى تتناسب مع أعراف وتقاليد القبائل. لذا قامت الإدارة البريطانية في فترة تواجدها بالسودان فيما بين (1899-1955) بتجزئته إلى شمال وجنوب، ففي الشمال عملت على تطوير هوية قومية تتركز على طائفتي الختمية والأنصار[12]، بينما في الجنوب انتهجت سياسة الحكم غير المباشر لمنع توحد السودان بقسميه [13].

وهكذا بدأت حكومة السودان تنمي وتطور من النظام القبلي وتصدر القوانين التي تمنح زعماء العشائر سلطات إدارية وقضائية واسعة مشددة أيضا على العرف والتقاليد جريا وراء وضع الأسس التي تقوم عليها السلطات المتعددة في إطار القبيلة حتى تضمن ولاءها لها واعتمادها عليها [14].

ولتنفيذ سياساتهم ركزوا في الجنوب على تشجيع التعصب للقبيلة حتى لا يشعر الجنوبيون بإنتمائهم للسودان الواحد [15].جاء في مذكرة هارولد ماكمايل في عام 1928 والتي تدعو إلى التعصب للقبيلة ما يلي: "... يتم تطوير سلسلة من الوحدات العرقية القائمة بذاتها استنادا إلى صخرة التقاليد والمعتقدات المحلية الصلبة فتنتظم الحياة اليومية للعائلة والفرد وفقا للعادات المألوفة لديهم وينمو الشعور بالفخر القبلي والاستقلال [16].

لقد واجه الإنجليز في تطبيقهم لهذا النمط من الحكم صعوبات كبيرة ولم ينجحوا في تطبيقه إلا بعد أن قضوا على روح المقاومة بين رجال القبائل الذين واجهوهم في بداية القرن العشرين، بسبب سوء معاملتهم لمشائخها وزعمائها ومحاولات إذلالهم وكسر كبريائهم وإخضاعهم لإدارتهم بمختلف الوسائل، حتى يتمكنوا من إيجاد أشخاص يطبقون سياستهم في الجنوب.

إنه وعن طريق الإدارة غير المباشرة، غيروا مفهوم الديمقراطية الفعلية بين قبائله والتي كانت تقوم أساسا على الاستعانة بأهل الخبرة وكبار السن في تسيير

شؤون العامة، حيث ألغوا هذا النظام لتحل إدارتهم محله وأصبح زعماء القبائل يستمدون قوتهم ونفوذهم منهم، ولم يعد للقبلية ولا لصاحب الرأي أي دور في ذلك. وكان من الطبيعي أن تعطي بريطانيا لنفسها الحق في تعيين الزعماء والمشائخ وفصلهم إن أرادت لتقضي بذلك على ما كان معروفا لدى القبائل الجنوبية من احترام وتقديرلرؤسائهم علاوة على ذلك قامت بإخضاعهم لسلطة المفتش الإنجليزي أو من يمثله حتى تمنح للحاكم العام هيبة أمامهم على إعتبار أن هذا الأخير هو من يملك سلطة تعيينهم وعزلهم، وكانت مهمة المفتش الإنجليزي التنقل بين المديريات والمأموريات التي كانت لا تتجاوز الإثنين في كل مديرية، فهو دعامة الإدارة ،وظيفته قاضي المنطقة ورئيس شرطتها فهو الخبير الزراعي والاقتصادي وخبير التربية والتعليم والصحة، ومدير المواصلات والأشغال، بل كان يتدخل حتى في الشؤون البسيطة، يتكلم لهجة الإقليم أو القبيلة التي تخضع لسلطاته وبهذا إكتسب هيبة الأهالي واحترامهم له والخوف منه.

ومع حلول سنة 1910 إستخدمت بريطانيا مجلس الحاكم العام (Governer General Council) الذي تنحصر مهامه في مباشرة السلطتين التنفيذية والتشريعية بالشراكة مع الحاكم العام بسن القوانين والموافقة على الميزانية [17]، وأصبح الحاكم العام بهذه الصفة هو من يصدر القوانين بعد مناقشتها في مجلسه متجاهلا الحكومة المصرية حتى في تبليغها بهذه القوانين التي يصدرها والإتفاقيات التي يوقعها مع جيران السودان. تمكن الإنجليز من وضع أيديهم بالجملة على جنوب السودان قرابة الخمسين عاما، ولم يتغير هذا الوضع إلا بعد أن وقعت إتفاقية السودان بين مصر وبريطانيا في 12 فيفري 1953، والتي تقضي بمنحه حكما ذاتيا كمرحلة انتقالية نحو إعلان الاستقلال [18].

3. جهازي الجيش والشرطة:

أنهت بريطانيا التنظيم العسكري السوداني الموروث عن فترة الدولة المهدية وألحقت الضباط السودانيين الشماليين المسلمين بقوات الجيش المصري بعد أن حددت إتفاقية عام 1899م عددها ومهامها في السودان، وفي عام 1910

بدأت السياسة البريطانية تتبلور أكثر بإنشاء تنظيمات عسكرية بوليسية خاصة في الجنوب لا تربطها أية علاقة مع تنظيمات الشمال [19].

وعدت أهم خطوة في هذه الفترة، وفي عام 1917 شكلت فرقة عسكرية محلية أطلق عليها اسم الفرقة الإستوائية (Equatorial Corps) في الوقت الذي أبعدت فيه الحامية العسكرية الشمالية التي كانت تشكل رابطة وثيقة بالشمال ونقطة اتصال هامة معه [20].

هذه الفرقة يرأسها ضباط إنجليز يقودون شؤون القيادة والتدريب، وموازاة مع ذلك تم تنظيم فرق جهاز الشرطة وحراس السجون الخاصة بالإقليم الجنوبي من أبناءه ومن دون أن ينضم إليهم أحد من أبناء الشمال [21].

إن صاحب فكرة تكوين جيش محلي من أبناء الجنوب هو ر. س أوين حاكم مديرية مونجالا وذلك عام 1910 حيث كتب يقول: "إنه نظرا لما للجيش من أثر حضاري عظيم، ونظرا لحرص العسكريين السودانيين على أن يكون كل المجندين من المسلمين وأن يقوم الإمام بإلقاء تعاليمه عليهم من القرآن... نقترح تشكيل فرقة إستوائية للخدمة في الجنوب يكون جميع أفرادها من أبناءه تلقى فيها الأوامر باللغة الإنجليزية وتقام فيها الشعائر المسيحية" [22].

وقد أقر ريجنالد وينجت هذا الإقتراح وهو الذي عمل حاكما عاما للسودان وبدأ العمل به وتوالى تجنيد أبناء الجنوب في هذه الفرقة، كما رأى فيها كذلك أنها بمثابة قوة إفريقية تستطيع الوقوف في وجه أية ثورة عربية يمكن أن تقوم في السودان. وهكذا غادر آخر العسكريين الشماليين مدينة مونجالا الجنوبية في 7 ديسمبر 1917، وأصبحت القوات الاستوائية هي القوة العسكرية الوحيدة والدائمة في الجنوب حتى قيام حركة التمرد في أوت 1955 [23].

إن الإدارة البريطانية في السودان كشفت منذ البداية عن نيتها في إعطاءه وضعا خاصا به فيما سمي بسياسة الجنوب، والذي يقضي بفصله عن شماله بشكل تدريجي تزامن ذلك مع رسمها لسياسة فرض السلام البريطاني، خاصة بعد

نهاية الحرب العالمية الأولى، عن طريق توسيع جغرافية المناطق التي تخضع لها والعمل على تنميتها بما يخدم مصالحها الاستعمارية (24).

4.قانون المناطق المقفلة:

تعود سياسة المناطق المقفلة (Closed districts order) إلى الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى عام 1918 والتي كانت تهدف إلى فصل الجنوب عن الشمال بعد صدور المذكرة التي تقدمت بها الإدارة البريطانية للجنة ملنر تضمنت إبعاده عن الشمال وعن أي تأثير إسلامي حتى يبقى على طبيعته ووجوده ،بعدها يتسنى لاحقا ضمه إلى مستعمراتها في شرق أو وسط إفريقيا، وإستنادا على هذه المذكرة كان رد فعل لجنة ملنر إيجابيا فزكت مشروعها، وأصدرت توصياتها بتطبيقها ، ولتفعيل سياسة الفصل قام اللورد ملنر أثناء وجوده بمصر عام 1920 بتقديم ثلاث مذكرات الأولى صدرت في 15/ 11/ 1920 تنص على ضرورة فصل الشمال عن الجنوب، بعدها بعشرة أيام أرسل مذكرة ثانية تنص على أن حكومة السودان جاهزة لإدماجه في أوغندا أو شرق إفريقيا البريطانية ثم اتبعت ذلك بمذكرة ثالثة صدرت في 14 مارس 1921 والتي كشف من خلالها عن الهدف السياسي الذي تسعى إليه بريطانيا والمتضمن إبعاده عن المؤثرات العربية الإسلامية مشددا على وضع سياسة جديدة للإقليم الجنوبي [(25)].

وبذلك صدر قانون المناطق المغلقة عام 1922 والذي نص على التالي:

1- يحرم على السودانيين بإستثناء موظفي الحكومة في أثناء أدائهم للعمل والمسافرين العابرين، يحرم عليهم الدخول إلى مناطق معينة أو التجارة فيها ما لم يكن لديهم ترخيص من وزارة الداخلية أو محافظ المديرية المختصة.

2- يمنع السودانيون أيضا في حالات معينة من الدخول إلى هذه المناطق للتجارة فيها.

3- المناطق المعنية بهذا المرسوم هي: المديرية الاستوائية، مديرية بحر الغزال، ومديرية أعالي النيل، تضاف إليها بعض المناطق الأخرى كجبال النوبة وجنوب مديرية النيل الأزرق.

يحظر على السودانيين أنفسهم دخول هذه المناطق إلا بتصريح يوضح فيه المعني سبب الزيارة والمدة والجهة المقصودة مع البيانات التي تجعله أمرا مستحيلا إلا برغبة من الإدارة البريطانية [26].

لقد نجحت الحكومة السودانية، بأن هدفها من إصدار هذا القانون هو أن وجود الشماليين في الجنوب يمكن أن يؤدي إلى نشوب اضطرابات وفوضى بسبب أن أبناءه أصبحوا لا يحتملون وجود الشماليين الذين كانوا يغزون أراضيهم صائدين للرقيق أو ما يسمى بالجلابة [27].

مدعية بأنها تعمل على حماية سكان المنطقتين على حد سواء بتحاشي الاصطدام بينهما [28].

والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول يوضح المناطق المقفلة ومساحتها لسنة 1942 (29)

المديـــريـــــة	المساحة بالميل مربع
الإستوائية	195025
أعالي النيل	99270
دارفور	138150
كردفان	146580
مجموع المساحة	572025

إنه ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا جليا كيف أن الإنجليز أغلقوا أكثر من نصف مساحة السودان في وجه أبنائه. لقد كانت للسودانيين ردات فعل قوية تجاه هذا القانون إذ شجبته القوى السياسية السودانية والشخصيات الوطنية، فتصدى له مؤتمر الخريجين بين سنوات 1940-1944 والمؤتمر الإداري الذي ضم ممثلي الأحزاب السودانية عام 1947 وقاوموه مطالبين بسحبه [30]، وبما أن الجنوب يعد مجالا حيويا للنشاط التجاري للشماليين العرب فإنه أقلق بريطانيا وذلك لسببين، أولهما رغبتها في إقصاء الوجود العربي، وإنهائه تماما منه، وثانيهما أن وجود الجلابة العرب كان يساعد على استمرار العلاقة بينهما، وهذا من شأنه أن يتعارض مع مخططاتها تجاهه [31].

لذا أصدرت في 25 جانفي 1925 قانون تصاريح التجارة الذي نص على ما يلي: "لا يجب أن يقوم أي فرد بخلاف الأفراد المحليين بالتجارة في المناطق الجنوبية إلا بتصريح خاص من السكرتير الإداري (وزير داخلية حكومة السودان) أو من حكام الأقاليم المحددة في نص القانون" وكان الغرض منه هو خلق جملة من القيود لمنع التواصل بين الجانبين تجاريا، غير أنه لم يحقق الهدف المرجو من وراءه.

لقد أصدرت الإدارة البريطانية في السودان عام 1928م قانونا آخر لتصاريح التجارة والذي جعل القيود المفروضة على حركتها بين الجانبين أكثر ضبطا وصرامة، حيث منع على التجار العرب الشماليين أي تواجد في الجنوب إلا في حالة الضرورة القصوى وبتصريح خاص ويعاقب عقوبات رادعة كل من لا يلتزم به [32]، فعلى سبيل المثال نص البند الرابع منه "أن أي شخص يخالف شروط التصاريح يعرض نفسه للمحاكمة والسجن لمدة ستة أشهر أو غرامة تصل إلى مائة جنيه مصري أو بإلغاء التصريح نهائيا أو بأكثر من عقوبة من هذه العقوبات [33].

إن هذه الإجراءات كانت تستهدف وبشكل مباشر التجار السودانيين الشماليين والمصريين، وهذا ما قصده وزير داخلية حكومة السودان السير: هارولد ماكايكل في الخرطوم عام 1930 حين قال: "إن الحكومة تريد اتخاذ الإجراءات

الكفيلة بتشجيع التجار اليونانيين والسوريين المسيحيين ليحلوا محل الجلابة المسلمين من العرب في شمال السودان" [34].

كما وجه مذكرة أخرى إلى مديري المديريات الجنوبية الثلاث بحر الغزال، أعالي النيل والمديرية الاستوائية[35]، ورؤساء المصالح والتي جاء فيها ما يلي: "إن سياسة الحكومة في جنوب السودان هي إنشاء سلسلة الوحدات القبلية أو العنصرية القائمة بذاتها، على أن يكون قوام النظام فيها مرتكزا على العادات المحلية، التقاليد والمعتقدات بقدر ما تسمح به ظروف العدالة والحكم الصالح [36].

والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول يوضح تضاءل أعداد التجار الشماليين في بعض مديريات الجنوب بين سنتي 1931-1932 (37)

السنة	التجار العرب الشماليين	المديرية
1931	من 632 إلى 580 تاجرا	بحر الغزال+ المديرية الاستوائية
1932	من 580 إلى 466 تاجرا	بحر الغزال+المديرية الاستوائية

يلاحظ من خلال هذا الجدول أن عملية إخراج التجار الشماليين من المديريتين السابقتين كانت كبيرة قياسا ببعض المديريات الأخرى كمديرية أعالي النيل، بحكم قربها من المناطق الشمالية وحجم الوجود الشمالي بها وطبيعته حيث استقر الكثير منهم بها.

لقد أمعنت حكومة السودان في سياسة المناطق المقفلة مع إخلاء الجنوب من كل ما هو عربي وذلك بالتخلص من الموظفين الشماليين. والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول يوضح نسبة تضاءل عدد الموظفين الشماليين في الجنوب بين سنوات 1933-1936 (38)

السنة	الموظفون الإداريون الشماليون	الموظفون الكتابيون	الموظفون الفنيون
1933	%22	%51	%55
1934	%18	%46	%46
1936	%17	%43	%39

سعت بريطانيا إلى تمزيق الجنوب بإيجاد وحدات قبلية لكل منها إتجاهاتها ومميزاتها وتقاليدها، كما سعت أيضا في فصله فصلا كاملا عن الشمال. لكنها فشلت في مسعاها وذلك لتبنيها سياستين، الأولى عرفت بسياسة الجنوب عام 1920 وتمثلت في إبعاد أي تأثير عربي إسلامي عليه والتركيز على إمكانية اقتطاعه وضمه إلى إفريقيا الوسطى أو الشرقية (أوغندا أو كينيا) [(39)].

كما سلف وأن ذكرنا. أما الثانية وهي مناقضة للأولى تماما، وكما ورد في مذكرة روبرتسون السكرتير المدني عام 1946 حيث قال: "بالرغم من أن سكان الجنوب هم من الأفارقة والزنوج إلا أن تضافر عوامل الجغرافية والاقتصاد جعل من ارتباط الجنوبيين في مستقبل تطورهم بالشرق الأوسط وشمال السودان المستعرب قدرا مقدورا، وما يجب التأكد منه هو أن الجنوبيين سيهيئون بالتعليم والتنمية الاقتصادية ليقفوا على أرجلهم في المستقبل أندادا لشركائهم الشماليين في النواحي الاجتماعية والاقتصادية في سودان المستقبل" [(40)].

إن نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م وما تلاها من أحداث حملت معها تغيرات إقليمية وعالمية جعلت الحكومة البريطانية تبادر بقراءة جديدة للوضع في الجنوب، خاصة مع تعاظم ضغط الحركة الوطنية السودانية، وعدم قبولها

بسياساتها تجاهه، فقررت الدعوة لعقد مؤتمر في مدينة جوبا في جوان 1947، حضره عدد من الإداريين الإنجليز وسبعة عشر زعيما من رؤساء القبائل وزعماءها في الجنوب وستة من أبناء الشمال، وخلص إلى إبقاء الجنوب في وحدة سياسية مع الشمال ورفض دعوات الانفصال أو الوحدة مع أوغندا أو شرق إفريقيا. لقد رأت بريطانيا ضرورة تطبيق سياسة جديدة في مستعمراتها وهي سياسة جمع تسد وأن وضع الجنوب مرتبط أكثر بشماله [41].

خاتمة:

أردنا من خلال هذه الدراسة القول بأن السياسة البريطانية في جنوب السودان، حققت الكثير من أهدافها، بعد إنفرادها بالإدارة والحكم فيه، فنجحت في تأمين وضع يدها عليه مع تهميش للدور المصري في حكم السودان.

إن سياستها الإدارية أفسدت علاقته بالشمال بعد أن وسعت هوة الخلاف بينهما، حتى لا تجمعهما أرضية تفاهم مشتركة، مع غلق تام له في وجه الشماليين الذين صورتهم على أنهم مستعبدين، مستغلين لأهله مستنزفين لموارده وإمكانياته، وأن أهله هم أقرب عرقيا لأوغندا وإفريقيا الشرقية البريطانية من أهل الشمال.

لذا سعت إلى استيعاب بعض مثقفيه حتى تضمن ولاءهم وعداءهم للشماليين. كما حاولت الاستفادة من أبناءه كجنود يخدمون أغراضها العسكرية، بعد إنشاءها للقوة البوليسية والعسكرية الجنوبية مع توسيع صلاحيات ممثليها الإداريين في مديريات الجنوب الثلاث.

ومجمل القول فإن الإدارة البريطانية عند وضع سياساتها الجنوبية تفننت في الطرق التي يمكن بواسطتها فصم عرى العلاقات والتواصل بين أبناء البلد الواحد، بيد أن إستراتيجية الفصل لم تنجح في خلق شخصية مميزة له. وكانت نتيجتها الفشل لذا راجعت سياستها بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بالدعوة إلى إعادة اندماجه مع الشمال والذي كان مطلب قيادات الحركة الوطنية السودانية، وحتى الساسة البريطانيين.

❖ **هوامش البحث:**

(1) كتشنرهربرت Kitchener, Herbert (1850-1916): قائد عسكري وسياسي بريطاني ومعتمد بمصر من 1911-1914، اشتغل بالجيش المصري في 1886، عين حاكما لشرق السودان من 1886-1888 بعدها عين سردارا للجيش المصري، في عام 1892. قاد حملة استرداد السودان في عام 1896م ثم عين حاكما على السودان المصري الإنجليزي، شارك في حرب البوير بجنوب إفريقيا من 1899-1902، بعدها وزيراللحربية في بريطانيا عام 1914 توفي عام 1916. (ينظر: الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة الدولية، الجزء الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الرابعة، 1999م، ص326).

(2) الحواتي موسى، "**الذاتية السودانية عبقرية التنوع ونفوذ التاريخ**" مجلة التنوير، إصدار مركز التنوير الجغرافي، الخرطوم، العدد التاسع، جويلية، 2010، ص66.

(3) المهدي مالك عبد الله، "**الحرب الأهلية في السودان دراسة في التطور التاريخي والسياسي**"، مجلة دراسات، العدد الثاني عشر، إصدار المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، السنة الرابعة، ربيع 1371هـ-2003م، ص146.

(4) المعتصم محمد، **جنوب السودان في مائة عام**، دار نشر الثقافة، الخرطوم، 1971، ص70.

(5) Hervé Bleuchot: « **Le Soudan Anglo-égyptien** », Le Soudan contemporain, edition carthala, Paris, 1989, P178.

(6) إبراهيم عبد الله عبد الرازق، "**دور بريطانيا في مشكلة جنوب السودان**"، **ندوة حول مستقبل السودان في ضوء المتغيرات الأخيرة**، 24-25 ديسمبر 2002، نشر معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،2002، ص61.

(7) عافية محمد سميح: **أيام في السودان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م، ص22.

(8) بانقا السنا: **أضواء على النظام القبلي والإدارة في السودان**، المطبعة الحكومية،الخرطوم [دـ ت]، ص30.

(9) توردوف وليام:**الحكم والسياسة في إفريقيا**، ترجمة كاظم هاشم نعمة، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس، ليبيا،2004، الطبعة الأولى، ص44.

(10) Ward. W.E.F : **May Africa, Ghana universities press Accra**, 1991, pp88-89 (أيضا: Herve Bleuchot: « **Le Soudan anglo-égyptien** », Le Soudan contemporain, Op. cit, pp192-193.

(11) Cornovin Jean Suret : « **Afrique Noire l'Ere colonial (1900-1945),** édition social, Paris 1962, p442.

(12) الختمية والأنصار: الختمية: طائفة دينية سياسية إسلامية أسسها محمد عثمان الميرغني تعتبر من أكبر الطوائف الدينية عددا في السودان، تعود أصولها بعد أن حل محمد عثمان الميرغني (1793-1853) بالسودان قادما من الحجاز ليعيد للإسلام نقاءه وأصالته، وقد نظم أتباعه أنفسهم فيما سمي بالطريقة الختمية أو الميرغينية كانت مواقفها في صف الأنجليز ضد الدولة المهدية، تعد من المنادين بوحدة وادي النيل مع مصر، تحالفت بشكل علني مع الأحزاب الاتحادية (ينظر: الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة الدولية، الجزء الثاني: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، 1999، ص607). أما الأنصار: مصطلح يطلق على أتباع الزعيم السوداني عبد الرحمان المهدي قائد الثورة المهدية، وهم جماعة دينية شكلت فيما بعد حزب الأمة الذي يقابل جماعة الختمية أتباع السيد علي الميرغني. (ينظر: الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة الدولية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، الطبعة الرابعة 1999، ص362).

(13) الأمين علي عبد الرحمن: **الديمقراطية الاشتراكية في السودان**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1970، ص74.

(14) "مصر وإفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الإفريقية المعاصرة"، ندوة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996 ص198.

(15) Oliver Ronald et Atmore Anthony : **L'Afrique depuis 1800**, Trduit par odette Guitar, Press universitaires de France, Paris 1970, P299.

(16) همداني محمد: **دارفور منقذون وناجون**: ترجمة عمر سعيد الأيوبي، مراجعة منى جهمي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، الطبعة الأولى، ص221.

(17) شبيكة مكي: **السودان عبر القرون**، دار الجيل، بيروت، لبنان،1411هـ-1991م، الطبعة الثالثة، ص487 (أيضا: منصور عبد الفتاح عبد الصمد: العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899-1924، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص153).

(18) المعتصم محمد: جنوب السودان في مائة عام، مرجع سبق ذكره، ص72.

(19) عودة عبد الملك، "**مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال**" مجلة السياسة الدولية"، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد: 109، جويلية 1992، ص9.

(20) بشير محمد عمر: **جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع**، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971 ص80،(أيضا: عودة عبد الملك: "مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال" مجلة السياسة الدولية، المرجع السابق، ص 10).

(21) عودة عبد الملك: "**مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال**" مجلة السياسة الدولية، مرجع سبق ذكره، ص10.

(22) بشير محمد عمر: جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع، مرجع سبق ذكره، ص81.

(23) المرجع السابق، ص82.

(24) بشير محمد عمر: "**جنوب السودان أرضية الصراع**" مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد: 91، جانفي 1988، ص134.

(25) إبراهيم عبد الله عبد الرازق "**دور بريطانيا في مشكلة جنوب السودان**"، ندوة حول مستقبل السودان في ضوء المتغيرات الأخيرة 24-25 ديسمبر 2002، مرجع سبق ذكره، ص63.

(26) المعتصم محمد: جنوب السودان في مائة عام، مرجع سبق ذكره، ص ص 74-75.

(27) الجلابة: هي قوة اجتماعية ظهرت في العملية التاريخية الطويلة التي مر بها المجتمع السوداني، وهي ترمز للتجار، وقد تكون قد أخذت من فعل جلب يجلب تعبيرا عن حركة نقل البضائع من وإلى السودان وقد مارست هذه الفئة تجارة الرقيق خاصة في الجنوب، وقامت بالكثير من الاضطهاد لسكانه من سبي للرقيق وخطف للبقر وإحراق للقرى، لذا ارتبط اسمها عند الجنوبيين بالقهر والظلم (ينظر: ضلع جمال محمد السيد: الأزمة السياسية في السودان، إصدار معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، 2010، ص54).

(28) سعودي عبد الغني وآخرآن: **مشكلة جنوب السودان**، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1981، ص71.

(29) المرجع السابق، ص20.

(30) المعتصم محمد: جنوب السودان في مائة عام، مرجع سبق ذكره، ص75.

(31) البحيري زكي: **مشكلة جنوب السودان**، ركائز المعرفة للدراسات والبحوث الخرطوم، 2010، ص66.

(32) Beshir Mohamed Omar : The Southern Sudan background to conflict Hurst and co. London, 1968, P41.

(33) البحيري زكي: مشكلة جنوب السودان، المرجع السابق، ص70.

(34) إسماعيل عبد القادر: الأصولية المسيحية وأزمة الهوية في السودان، تقديم: السيد فليفل، مؤسسة الطوبجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص177.

(35) Jir Messaoud : « Soudan trente ans d'indépendance, edition presence Africaine, Paris 1987, P68.

(36) المهدي مالك عبد الله: "**الحرب الأهلية في السودان دراسة في التطور التاريخي والسياسي**" مجلة دراسات ، مرجع سبق ذكره، ص149.

(37) سعودي عبد الغني وآخران: **مشكلة جنوب السودان**، مرجع سبق ذكره، ص119 (بتصرف).

(38) المرجع السابق، ص 116.

(39)Seri –Hersch Iris **« From one Sudan to two Sudan »** Tel Aviv Notes volume7, Number13, July9, 2013, Bruce Maddy, Weitzman, Tel Aviv, P4.

(40) المهدي الصادق: **السودان وحقوق الإنسان**، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ-1999م، ص15.

(41) عودة عبد الملك "**مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال**"، مجلة السياسة الدولية، مرجع سبق ذكره، ص11.

مكانة الأوراس الحضارية في العصر الحجري القديم المتأخر والنيوليتي

الأستاذ: لخضر بن بوزيد

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

لقد شهدت المناطق الشرقية من الجزائر وخاصة الأوراس تطورات حضارية هامة في ما قبل التاريخ ، فقد تعاقبت عليها عدة حضارات كالاشوليةوالموستيريةوالعاترية، وخلال العصر الحجري القديم المتأخركانت الأدلة الحضاريةأكثر وضوحا وهي تعود البقايا إلى كل من الايبرومغربية والقفصية، وفي العصر الحجري الحديث لعبت هذه المنطقة دورا كبيرا في الانتشار الحضاري ليس فقط في المناطق الشرقية من الجزائر بل في شمال إفريقيا كلها، ومن أهم مواقعها كهف الكابيليتي الذي يقع في شمال غرب الأوراس، والذي له أهمية كبرى بما توفر فيه من صناعة نيوليتية وبقايا الأبقاروالأغنام والماعز.

Abstract :

The Easternregions of Algeria, especially the Auresregion has important cultural developments in prehistory.That a severalcivilizations have successive in thatregion, includingAcheulean And Mousterianand Aterian. ThanDuring the LatePaleolithic the Evidence of civilizationistoomuch, that The earliest industries in thisage are calledIbero-Maurusian,and the second called Capsien.

In the Neolithicthisregionplayed a major role in the cultural spread not only in the easternregions of Algeria, but in the all of NorthAfrica, the mostneolithic important cultural sites are the Capéletti Cave, This cave islocated in the Aures and Its importance remainsfound in itincludeNeolithicindustry and a Domesticcattle, sheep and goat.

مقدّمة:

لقد كان لمنطقة الأوراس شأن كبير في الفترة التاريخية، وكان لأهلها دورٌ محوري في معظم فترات التاريخ،ولا شك أن هناك عوامل عديدة ساهمت في ذلك، فمن جهة تعتبر هذه المنطقة قريبة من البحر المتوسط وذات مناخ معتدل كما تسكنها كثافة سكانية كبيرة، والمدن في هذه المنطقة كثيرة فهيتقع ضمن مناطق ازدهار اقتصادي وثقافي،فهذه العوامل إضافة إلى طبيعة سكانها أهلتها للقيام بهذا الدور، ونحن في هذا البحث نتناول دور هذه المنطقة خلال العصور الموغلة في القدم، وقد اخترنا فترة زمنية مهمة هي العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث.

ومن بين الأسباب التي دعتنا لاختيار هذا الموضوع هو قلة الأبحاث التي تناولت ما قبل التاريخ في الأوراس مقارنة مع المواقع الحضارية التي تزخر بها هذه المنطقة، ومن جهة أخرى الأبحاث التي قام بها الباحثون الجزائريون قليلة جداً، أما سبب اختيارتلك الفترةالزمنية فهي تعود إلى أنه في العصر الحجري القديم المتأخر شهدت المنطقة ازدهارا كبيراً دلت عليه كثافة المواقع التي تعود إلى الحضارة "الايبرومغربية " و"القفصية "، كما أن المظاهر الحضارية التي شهدها العصر الحجرية الحديث واضحة جدا في الأوراس بخاصة تربية الحيوانات والزراعة، مما يعني أن هذه المنطقة كان لها دورٌ كبير في الانتشار الحضاري في ما قبل التاريخ.

والسؤال المهم الذي نسعى للإجابة عليه من خلال هذا البحث هو: ماهي المظاهر الحضارية للعصر الحجري القديم المتأخر في المناطق الأوراسية ؟ وما هو دور المنطقة خلال العصر الحجري الحديث ؟

ولمعالجة هذا الموضوع وجب علينا في البداية التعريف بأهم الدراسات والأبحاث التي تناولت فترة ما قبل التاريخ في الأوراس، وفي الخطوة الثانية تناولنا البيئـة في العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث ثم التواجد البشري في تلك الفترة وهو أمر مهم في سبيل التعرف على أهم الحضارات التي

شهدتها المنطقة.ولا شك أنه ليس من السهل دراسة منطقة كبيرة كمنطقة الأوراس خصوصا في هذه الفترة الموغلة في القدم في ضوء قلة الأبحاث والمصادر المادية.

مع العلم أن الدراسات التي تناولت منطقة الأوراس في معظمها تركزت على كهف "الكابيليتي" الذي يقع قرب وادي الطاقة ، وقد قام بدارسته لأول مرة كل من "ل. جلود" Joleaud, L و"ر. لافاييت" Laffitte, R، ثم قامت الباحثة "كوليت روبي"بإنجاز رسالة دكتوراه حول هذا الموقع تحت إشراف "ليونال بالو" الذي يعتبر هو الأخر من أهم الباحثين الذين درسوا فترة ما قبل التاريخ في الجزائر، كما نفذت هذه الباحثة حملات بحث في الموقع ونشرت أبحاثها في العديد من المجلات العلمية، ومن الباحثين الذين بحثوا في هذا الموقع جون لويس باليس Jean-Louis Ballais و"م كوفارت" M. Couvert، بالإضافة إلى كل من"ب.ل كارتر"-Carter, P. L. و"إ . هيغس"Higgs, E.S.

أما الأهداف التي ترمي إليها هذه الدراسة فهي التعريف بمنطقة الأوراس ودراستها من كل الجوانب وخصوصا دراسة مظاهرها الحضارية في ما قبل التاريخ، وذلك اعتمادا على ما تركه السكان الأوائل من أدوات وبقايا عضوية والتي يمكن أن تعطينا معلومات حول مختلف المظاهر الحضارية في تلك الفترة .

وفي الاطار نفسه نسعى إلى التعرف على أصول سكان شمال إفريقيا من خلال دراسة بقاياهم المادية، ومن المفترض أن هذه الدراسة تمكننا أيضا من التعرف على التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة في ما قبل التاريخ وعلاقتها بالانتشار البشري والحضاري في شمال إفريقيا.

أولا : الدراسات والأبحاث حول القفصية والنيوليتي في الأوراس:

من بين أقدم الأبحاث حول الأوراس تلك الأبحاث التي قام بها "جلود" حول كهف الكابيليتي [1]. فقد قامت الباحثة هانريت أليمان سنة 1979 بدراسة عن البقايا الأثرية في كهف الكابيليتي [2]، وكان الباحث "باليس" مع الباحثة كوليت روبي بدراسة ماقبل التاريخ في مناطق الأوراس ونشر البحث في مجلة الجغرافيا

الفيزيائية في فرنسا سنة 1982،وقد اختص كل من "روبي"و"باليس" في منطقة الأوراس حيث قاما بعدة بحوث بين سنوات 1982 و 1987 [3]، والباحثين كامبس وفابريه قاما بعدة أبحاث حول ما قبل التاريخ في الأوراس في سنوات 1974 و 1975 و1991 [4] منها في موقع المجاز قرب سطيف [5]، كما قام كارتر وهيغس بدراسة بقايا الحيوانات في كهف الكابيليتي بالأوراس [6]، و الباحث كوت قام بأبحاث في جبال النمامشة وبلزمة [7]، كما نفذ الباحث كوفرت أبحاث في الكهف المذكور أيضا [8]، أبحاث أخرى قام بها فيري [9]، وقام الباحث "بورتار" بأبحاث حول النباتات في هذا الكهف [10]، بالإضافة إلى الأبحاث التي قامت بها كوليت روبي في سنوات 1969 وفي 2003 [11]، وفي سنة 1979 قام بيلي بدارسة طبوغرافية للكهف تناول فيه أيضا النشاط الاقتصادي للمجتمعات في ذلك الوقت [12].

بينما قام الباحث "غريبينار" بدراسات حول الإنسان في منطقة الأوراس [13]، كما قام الباحث "كلوتون" بدراسة النشاط الاقتصادي في ما قبل التاريخ في الجزائر الشرقية [14]، حول النشاط الرعوي لإنسان ما قبل التاريخ في الأوراس قامت الباحثة كوليت روبي بأبحاث في سنوات 1979 و1985 و1995 وفي 2003 [15].

ثانيا: البيئـة في العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث:

خلال فترة البلايستوسين الأعلى تغير المناخ بين الجفاف و الرطوبة والعكس لكن البرودة كانت سائدة دائما وكانت تشتد أكثر عند طغيان الجليد في أوربا (16)، وفيما بين 40.000 و 28000 قبل الحاضر في المناطق التونسية والجزائرية الشمالية كان المناخ رطب لكن باردا مما سهل توسع كبير لغابات البلوط ، ومع نهاية هذه الفترة وخلال وصول المرحلة الجليدية إلى أقصى قوتها بين 20.000 و18.000 قبلاالحاضر ثم إلى غاية 10.000 قبل الحاضر، وقد ظهرت في هذه الفترة أنواع من الغابات متكونة من عائلة الصنوبريات

والبلوطيات في المناطق قليلة الارتفاع بينما المناطق المرتفعة كانت فيها غابات معشوشبة.

ومع بداية الهلوسين بدأ المناخ يتحول إلى الحرارة والرطوبة بشكل متزايد في المناطق المنبسطة، فقد تراجعت الصنوبرياتوحل محلها البلوطيات الكنارية Quercus canariensis في المرحلة المناخية الشمالية التي تسمى البوريالboréal، وخلال المرحلة الأطلسية بين 9000 قبل الحاضر و 5000 قبل الحاضر وتستمر هذا الغطاء النباتي في التواجد في مرحلة شبه البوريال لتي تمتد بين 2500 ق.م و600 ق.م في ظل ظروف مناخية رطبة، أما الجفاف الذي حدث في حوالي4000 قبل الحاضر فقد أدى إلى توسع مؤقت للعشب وتراجع الغابات في المناطق المنخفضةأما المناطق المرتفعة فقد شهدت تواجد كبيرا لأشجار الصنوبريات، وخلال المرحلة شبه الأطلسيةأي ما بين 600 ق.م و1300 م تتغير المناخ إلى الوضع الحالي وهو ما يسمح بنمو الغابات التي لا تزال تغطى المناطق الشرقية من الجزائر [17] .

ومن خلال المعطيات السابقة يمكن القول أنه خلال العصر الحجري القديم المتأخر شهدت المناطق الأوراسية جفافا لكن الجو كان باردا جدا، ثم مالبث أن اعتدل المناخ مع بداية الهلوسين وعادت الأمطار بقوة إلى المنطقة ، لكن المناخ لم يكن مستقر فقد شهد تذبذبات جافة ورطبة أولا ثم أصبح جفافا وباردا فيما بين الألف الثامنة والألف السابعة قبل الحاضرثم تحول إلى الرطوبة في منتصف الألف السابعة قبل الحاضر وانتشرت فيه أشجار الصنوبر والكروم البرية والقصب وفي المناطق المنبسطة انتشرت المروج، والسمة الغالبة لمناخ المنطقة كانت هي البرودة تارة أو الاعتدال تارة أخرى وذلك بسبب ارتفاع المنطقة عن سطح البحر، ووجود مؤثرات من البحر المتوسط .

وخلال العصر الحجري الحديث كانت البيئة رطبة باردة في بعض الفترات وجافة و باردة في فترات أخرى، وأحيانا كانت أقل برودة لكنها رطبة ، فهي شبيهة بمناخ المناطق الجبلية من جنوب أوربا، لكنها تحولت منذ منتصف الألف

الثالثة قبل الميلاد لتصبح دافئة وجافة،والبيئة الحيوانية كانت تتضمن حيوانات ذات البيئة الحارة الرطبة مثل: الخيليات، الأبقار، الأغنام البرية، الغزال، القنافد، السلاحف، العظايا والسحالي، الطيور وبصفة خاصة النعام والحبار، وقد وجدت في المواقع القفصية مثل موقع المجاز 2، وموقع الماء الأبيض في تبسة [18] .

كما شملت البيئة الحيوانية حيوانات أوربية – آسيوية تعيش ضمن البيئة الباردة المطيرة مثل: الدببة، وحيد القرن، الخنازير البرية ، الأيائل... وهي نفسها الحيوانات التي عاشت خلال الحضارة العاترية والإيبرومغربية والقفصية [19].ولا يعرف على وجه الدقة فيما إذا كان القفصيون قد عرفوا حياة الاستئناس، فرغم وجود دلائل على ذلك إلا أنه لا يمكننا التأكيد أو النفي، ولكن من المؤكد أن الأبقار الإيبيرية البرية كانت موجودة لديهم في كافة مناطق شمال إفريقيا [20].

ثالثا : التواجد البشري في الأوراس :

خلال العصر الحجري القديم المتأخر شهدت المنطقة تواجد جنس من أوائل المتوسطين الذي ينتمون إلى جنس "الكرومانيون"Cro-Magnon، ويسمون بالمشتاويون نسبة إلى المواقع التي وجدت فيها بقاياهم وهي كل من مشتى العربي ومشتى أفالوبورمال، وإلى هؤلاء تنسب الحضارة الايبرومغربية [21].

وهم يتميزون بقامتهم الطويلة التي تتراوح ما بين ما بين 1.74 و 1.72متر بالنسبة للرجل وأقل بعدة سنتيمات بالنسبة للمرأة، كما يتميزون بقلّةالانسجام مابين الوجه العريض والمحجرذي الشكل الطويل، والأطراف طويلة والمرافق والسيقان ممتدة، والأيادي طويلة ورقيقة، والراس يمثل عدم انسجام بين الجمجمة والوجه، بسبب الجبهة المنخفضة والعريضة لأن الجمجمة لها صاقورة بارزة ومنحنية،محجر المخ ذو حجم كبير يبلغ1650سم ^{3}، يتميز المشتاويون أيضا بالعضلات القوية [22]، والمظهر العام للجمجمة تبدوا غليظة مما يعطيها وجه واسعا، فالفك قوي، ومحاجر العين منخفضة مستطيلة الشكل تعلوها مفرق

الحاجبين وقوس الحاجب، فتحة الأنف متوسطة، العظام طويلة وقوية ، والجسم صلب وقوي وضخم [23].

أما الجنس الثاني الذي عمر المنطقة فهو الإنسان القفصي وهو أقل قدما من جنس المشتى [24]، وقد وجدت بقاياهم في: "عين مشترم" التونسية "AïnMeterchem"خنقة الميهاد Khanguet el Mouhaad وعين دوخارة AïnDokhara بتيبازة [25].

كما وجدت خمسة مدافن أخرى ب"فايد السوار"II FaïdSouar بأم البواقي التي تعود إلى القفصية العليا 7800- 5500قبل الحاضر، ووجدت بقاياهم في أماكن أخرى منها موقع كلوميناطةColumnata بتيارت [26]، وفي موقع تافوغالت في المغرب عثر على عدد كبير من البقايا الإنسانية إذا وجدت بقايا أكثر من 180 فردا من الرجال والنساء والأطفال ،وفي "أفالوبورمال" ببجاية وجدت بقايا لأكثر من 50 فردا [27].

ويعتقد الباحثون أن الجنسين كان يعيشان في وقت واحد رغم أن المشتاوين أقدم من القفصيون، وفي العصر الحجري الحديث ينتشر القفصيون في كامل المغرب، بينما ينعزل الايبرومغربيون في الجبال والكهوف،ويهاجرون نحو المحيط الأطلسي ثم نحو جزر الكناري [28].الفرق بين الجنسين يتمثل في كون القفصيون أقل غلظة وقساوة من المشتاويون وفق الأبحاث التي قامت بها ماري كلود شاملة [29].

أما إنسان المشتى فيتميز عنهم بقامة طويلة وعضلات مفتولة وقوام رشيق وقوي، بينما الإنسان القفصى أقام في المناطق الداخلية وامتد إلى الجنوب، ورغم أنه اتجه إلى الغرب إلا أنه لم يعبر جبل طارق إلى أوربا، ومن الممكن أنه استمر بعد ذلك في التواجد ليصادف أوائل الفينيقيين البحارة، وهؤلاء القفصيون قد يكونوا أجداد للبربر، فقد كانوا يعيشون في جنوب شرق تونس وفي الجزائر إلى غاية أولاد جلال واتجهوا في الألف الرابعة إلى السهول القسنطينية [30]، ويذكر ليونال بالو أن الجنس البربري قد يكون متحدر من الجنس القفصي، فالطقوس المدفنية لدى

القفصيين استمرت في التواجد لدى البربر فيما بعد [31].ولكن من الممكن أن يكون إنسان الحضارة القفصية منحدر من الجنس المشتاوي ولكنه أقل قساوة منه [32].

ورغم أن الإنسان القفصياتجه إلى الغرب إلا أنه لم يعبر جبل طارق إلى أوربا، ومن الممكن أنه استمر بعد ذلك في التواجد ليصادف أوائل الفينيقيين البحارة كما امتد إلى الجنوب، ونجد في بعض الأحيان تشابه بينهم وبين بعض حضارات كينيا ومصر العليا وهو ما يجعلنا نبحث عن أصولهمالإفريقية فهذا الجنس ليس أصيل في المنطقة بل هو طارئ عليها ، وبشكل ما مع بعض الصفات السوداء، وهؤلاء قد يكونوا أجداد للبربر [33]، فوجود أصل مشترك بين القفصيين والمشتاويون أمر ممكن، حتى من الناحية الحضارية هناك تشابه واضح بين الثقافتين مما جعل بعض الباحثين ومنهم قوبرتوفوفريE G Gobert et Vaufery يعتقدون أن الإيبيرومغربية هي حضارة ساحلية للقفصية[34].

ويختلف الباحثون في أصول البربر بين الإنسان المشتاوي والإنسان القفصي، فالباحث "محمد العربي عقون" إلى جانب باحثون آخرون يعتقدون بالأصول القفصية للبربر، بينما تذكر الباحثة مليكة حشيد أن أوائل البربر يشبهون المشتاويون من حيث الخصائص الأنثروبولوجية، وتضيف هذه الباحثة أن هناك تشابه واضحا بين القفصيين وإنسان المشتى من الناحية الحضارية والطقوس المدفنية كما يبدوا أن للحضارتين أصل مشترك من الناحية البشرية [35].

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن أوائل البربر لم يكونوا من اصل واحد فجزء منهم قد يكون من بقايا المشتاويون الذين سكنوا الجبال بعد غزو الإنسانالقفصى لكامل شمال إفريقيا، ومن القفصيين نظرا لوجود دلائل على بقاء القفصية إلى غاية الألف الثالثة قبل الميلاد وربما إلى الفترة التاريخية، أما الجزء الثالث المكون لسكان شمال إفريقيا فهم الشعوب التي قدمت من الشرق وهم راكبوا الخيول والعربات والذين عبروا عن فنهم في جبال الأطلس والطاسيلي والهوقار وصولا إلى التيبستي بتشاد ،حيث اصطلح على تسميتهم بالشعوب الليبية البربرية .

رابعا : حضارات العصر الحجري القديم المتأخر في الأوراس :

إن المواقع التي وجد بها النصال (الشفرات) والنصيليات والأدوات الهندسية الصغيرة الحجم تتموضع بشكل متأخر عن العصر الحجري القديم الأعلى، لذلك فهي تنتمي إلى العصر الحجري القديم المتأخر، وهذه المواقع في شمال إفريقيا تمثل كل من الايبرومغربية والقفصية [36]، فقد شهد هذا العصر ظهور الحضارة الايبرومغربية التي أرخت بين 23 ألف و9 آلاف ثم القفصية التي أرخت بين 7000 و 4500 قبل الميلاد .

أ - الحضارة الايبرومغربية :

وهي الحضارة التي عرفت خطأ بهذا الاسم لاعتقاد الباحثين بوجود تشابه بينها وبين حضارات شبه جزيرة إيبيريا، وقد عرفت بأسماء أخرى مثل "المويلحية" نسبة إلى موقع المويلح في الغرب الجزائري وعرفت أيضا بالوهرانية، و تتميز هذه الحضارة بأدواتها الهندسية التي تطورت فيما بعد في القفصية [37].

وهي حضارة ساحلية تنتشر في شمال أفريقيا من المغرب غرباً إلى ليبيا شرقاً لكنها امتدت في بعض المناطق إلى أعتاب الصحراء فقد وجدت في الهامل قرب بوسعادة، ويعد الباحث بول بلاري Pallary p هو أول من سماها بهذا الاسم، ثم أطلق الباحث الفرنسي غوفري سنة 1932 عليها اسم الحضارة الوهرانية،غير أن هذه التسمية لم تصمد فيالأوساط العلمية .

تتميز هذه الحضارة بأن أدواتها صغيرة الحجم حيث يتراوح حجمها بين3 و7 سم، وتتضمن النصال بصفة خاصة وهي تتخذ عدة أشكال منها ماهو مشذب القاعدة أو مدبب، ويوجد أيضا المكاشط والمسننات، أدواتها تتكون من حجارة الكوارتز والحجارة البركانية والصوان، كما أن أدواتها غالبا ما تتخذ أشكالا مستطيلة أو مثلثية [38]، كما تميزت بكثرة النصال الصغيرة ، وكثرة استخدام العظام [39].

وقد قام الباحثون بتقسيم الحضارة الايبرومغربية إلى ثلاثة مراحل، وقد تميزت القديمة منها بندرة أدواتها ذات الأشكال الهندسية، أما المرحلة الوسطى فقد تميزت بأشكالها الهندسية وبوجود صناعةعظمية، والمرحلة المتطورة التي أصبحتأدواتها دقيقة اكثر مع كثرة النصال المضروبة الظهر، واستمراراستخدام العظام [40].

ب – الحضارة القفصية :

سميت هذه الحضارة بهذا الاسم نسبة إلى موقعها النموذجي قرب قفصة والذي قام بدراسته دي مورجان سنة 1909، وقد سماه بول بلاري باسم"الجيتولية"، وهي حضارة داخلية على عكس الايبيرومغربية تتركز أثارها قرب السبخات والأودية، توافرت العديد من المواقع لهذه الحضارة في تونس والجزائر منها موقع المقطع قرب قفصة في تونس وموقع عين الذكارة قرب تبسة وموقع "كليموناطة" في تيارت، والمواقع القفصية عادة تكون قرب مصادر الماء كالبحيرات والأنهار وفي الهواء الطلق أو في الممرات الجبلية، أو في قمم مشرفة على السهول [41].

وتشمل أدواتها النصال والشفرات وذات الزاوية والأزاميل والمكاشط، ومعظم أدواتها ذات زوايا حادة الشفرات المطروقة على الظهر والشظايا والمحتات والمخارز وكثرة الأشكال الهندسية بالإضافةإلى الصناعة العظمية [42].

وقد شهدت هذه الحضارة استخداما واسعا لبيض النعام حيث يثقب ويستخدم لأغراض مختلفة كما يتم النقش على بيض النعام، والنقوش على القواقع هي من بين المظاهر الفنية لهذه الحضارة أيضا أما الفخار فهو نادر جدا [43]. وقد امتدت هذه الحضارة إلى الصحراء فقد وجدت مواقع عديدة لها في المناطق الصحراوية [44].

1 . مميزات الحضارة القفصية :

تميزت الحضارة القفصية بمظاهر فنية تمثلت في نقوش لحيوانات مثلت على بيض النعام وعلى الصخور والقواقع، كما تضمنت رموز ذات طابع

سحري، ويبدو أن حياتهم كانت مرتبطة بالصيد ، وقد مثلت بعض الحيوانات دورا كبيرا في الجانب الديني ومنها الأبقار والغزال والنعامة ، كما عرف القفصيون عادات غريبة تمثلت في قلع الضرس (*) وتشويه الجثة كما كانوا يدهنون الجثة بالمغرة الحمراء ويضعون جزء من المغرة قرب رأس الميت وهو ما يدل على إيمانهم بالحياة الأخرى، ويبدو أن هذه العادة كانت موجودة لدى العاتيريونأيضا [45].

وقد تميزت هذه الحضارة أيضا بطقوس جنائزية فريدة من نوعها فإلى جانب تشويه الضرس عرفت الدفن لوضعيات مختلفة منها الوضعية الجانية المتقلصة والتي تدعى الوضعية الجنينية، إلى جانب طقوس مدفنية أخرى فقد وجدت جثث بدون راس في موقع رمادية فايد السوار2 بأم البواقي الذي يعود للقفصية العليا 7800-5500 قبل الحاضر.

كما وجدت جمجمة في مدفنة الثانية أحدثت عليها تعديلات مما يدل على نوع من الطقوس الدينية وكذلك قلع ضرس الفك العلوي كما تم إزالة العظم القظالي وقاعدة الجمجمة. كما تم نشر وصقل جزء من الجمجمة، وهذه العمليات التشويهية المعقدة وجدت في أماكنقفصية أخرى منها: رمادية مشتى العربي التي تقع على بعد 90 كلمتر شمال غرب فايد سوار، ورمادية المجار Medjez II التي تقع على بعد 180 كلم شمال غرب فايد سوار، وكذلك في موقع كلومينا‌طة بتيارت [46].

ووضعيات الدفن كانت متعددة فقد كانت الجثث تطوى أو تحزم مستلقية على الظهر أو في وضعية جانبية، وتكون الأعضاء مطوية بشدة، كما كان يتم التعرية من اللحم واحيانا كانت عظام مختلفة متناثرة عشوائيا فوق الجثة. مما يدل على أنه يتم دفن أكثر من شخص في القبر الوحد، ولم تكن هناك طريقة واحدة للدفن ففي الحضارة القفصية وجدت فيها الوضعية المتقلصة وتفكيك العظام وكذلك وضعيات مختلفة للمفاصل والأيادي في بعض الأحيان موضوعة على الصدر، أما طلاء الجثث بالمغرة فقد كان ممارسا لديهم، غير أن أبرز ما نلاحظه هو تشويه أو اقتلاع الضرس خاصة القواطع بطريقة مختلفة عن طريقة الايبرومغربون

وذلك لان قلع الضرس إنما يخص الأنثى فقط والأمر يتعلق بالفك السفلي فقط أما الايبيرومغربين فقد كانوا يقومون بتشويه قواطع الفك السفلي مما يدل على نوع من المعتقدات الدينية [47].

وقد استطاع الباحثون تصنيف القفصية إلى عدة أقسام هي: العليا، النموذجية، التبسية، السطايفية، الوسطى، الجنوبية، وبالنسبة للإطار الزمني للقفصية أكد الباحثون أن المرحلة القديمة من القفصية العليا تعود إلى ما يقارب الألف السابعة قبل الميلاد وتنتشر في الجنوب في عين الناقة بالأغواط وأولاد جلال ولا تصل إلى تيارت ، وتتميز بصناعاتها الهندسية القزمية من خلال دراسة أكثر من 80 عينة أظهرت النتائج أن القفصية العليا كانت بين 7000 و 4500 ق.م [48].

أما القفصية النموذجية فهي متأخرة عن القفصية العليا، بينما تعود القفصية التبسية في موقع المقطع إلى حوالي 6850 ق.م، وفي "عين دوكارة" إلى 6950 ق.م، والقفصية السطايفية تعود في موقع المجاز 2 وموقع مشتى العربي إلى ما بين 6910 و 6600 ق.مأما القفصية الوسطى المنتشرة في "بونوارة" و"كدية كيفان اللحظة" فتعود إلى 6100 ق.م ، بينما القفصية الجنوبية في عين ناقة بالأغواط فهي الأقدم وتعود إلى حوالي 7650 ق.م [49].

وعلى العموم فإن القفصية لم تعمر إلا لمدة قصيرة نسبياً تتراوح ما بين منتصف الألف السابع والألف الرابع قبل الميلاد ، فقد أرخ موقع عين الناقة قرب الأغواط ب 7350 ق.م بينما أرخ موقع كليموناطة ب 4390 قبل الميلاد [50].

ورغم عمرها القصير مقارنة بالايبرومغربية إلا أنها امتدت إلى العصر الحجري الحديث، فقد أطلق الباحث كامبس على ثقافات العصر الحجري الحديث في المناطق الداخلية وفي الصحراء الشمالية اسم ثقافات العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية نظرا لوجود صناعة مشابهة ومتزامنة مع الصناعة القفصية العليا في المواقع الصحراوية [51].

ويعتقد الكثير من الباحثين ومنهم هوجوHugot G h أن القفصيونمسؤولون عن الفن الصخري في الأطلس الصحراوي وهو ما يقره هنري لوت بالنسبة لجانب من الفن في الطاسيلي أيضا، بينما يعارض ليونال بالوBaloutLionel هذا الطرح [52].

غير أن بعض الباحثين مثل "مليكة حشيد" يعتقدون أن القفصيون بالفعل يمثلون جانب من الفن الصخري للأطلس الصحراوي والطاسيلي، والجدير بالذكر أن بعض مواقع هذه الحضارة وجدت قرب مواقع للفن الصخري خاصة في الأطلس الصحراوي مما يدل على ارتباط واضح بين القفصيين والفن الصخري.

2. مواقع الحضارة القفصية في الأوراس :

المواقع القفصية في الأوراس كثيرة بحث لا يسعنا المجال لذكرها جميعا، ومن أهم تلك التي تقع منطقة تبسة و في معظمها تعود للقفصية النموذجية، ومن بين هذه المواقع : موقع "ريليليRelilaï" وهو عبارة عن ملجأ صخري يتوفر على بقايا إنسانية وحضارية أهمها رحى حجرية كانت تستخدم على ما يبدو في طحن الحبوب، ومن المواقع أيضا موقع الوتد الذي ينتمي إلى القفصية النموذجية أي ما بين 5900 و 4700 ق.م، وعثر فيه على العشرات من الحلزونيات وقد نقب فيه الباحث غريبينار سنة 1969 وقد أعطى دلائل على وجود إقامات بشرية متواترة في مراحل مختلفة، وقد وجدت فيه النصال وبعض الصناعات العظمية، وكِسر من بيض النعام الذي كان يستخدمه القفصيون بكثرة وبعضه كان مزينا، ومن المواقع أيضا موقع عين مستريةAïnMisteheyia القريبة من الحدود التونسية الذي يتراوح زمنه بين 7800 للطبقة الدنيا وما بين 5000 ق.موهو يعود للقفصية العليا .

ومن المواقع نذكر أيضا موقع "عين الخنقة"AïnKhanga في جبال النمامشة الذي ينتمي للقفصية العليا النموذجية لكنه مختلف عن مواقع "عين مستحية" أو

"الريالي" في تبسة باحتوائه على الكثير من كسر الفخار بعضها مزين وبعضها الآخر مشكل في شكل حلقات كان القفصيون يتخذونه مجوهرات للزينة .

موقع "عين دوكارة "Ain Dokkara بين خنشلة وتبسة وهو من المواقع الهامة التي تتوفر. حيث تميزت بوجود بقايا لهيكل عظمى للإنسان القفصي، كما احتوى الموقع على عظام طيور مشذبة لكي تستعمل كمجوهرات، ووجد في الموقع أيضا حجارة منقوشة (وهو ما يدل على أن القفصيين عرفوا الفن الصخري ومن الحيوانات التي كان ينقشها القفصيون على بيض النعام أو على الصخور في مواقع الأوراس الغزال والأبقار البرية والنعامة .

وقد وجد في هذا الموقع أيضا كسر بيض النعام التي كانت تستعمل على نطاق واسع في التزين في شكل أساور وحلقات ، ومن الممكن أنها كانت أيضا تستخدم في التجارة ، مثلما كان موجودا لدى البوشمن في جنوب إفريقيا، ومن بين المواقع القفصية الأخرى في المنطقة عين كوكةAin Kouka التي توجد فيها العديد من الأدوات مضروبة الظهر، والأدوات القزمية الهندسية الشكل .

ومن بين المواقع أيضا موقع "ريفانا "R'fana الذي رغم حجمه الكبير فإنه لم يعطى بقايا ذات أهمية، أما موقع "البكاريا "Bekkaria في الجنوب القسنطيني فهو ذو أهمية كبيرة من خلال الموجودات الأثريةوالمماثلة في البقايا العظمية لتسعة أفراد، وبعض من هؤلاء يعود إلى العصر الحجري الحديث، كما وجد في هذا الموقع بقايا فخار يعود للنيوليتي، وهو من البقايا النادرة إذ كان يعتقد أن القفصيون لم يعرفوا الفخار على نطاق واسع .

وفي الشمال تكثر النصال ذات الظهر الكبير، والصناعة العظمية تبقى موجودة وبكثرة في "بونوارة" وكهف "الفانتيريا "Kef Fenteria، وفي هذا الأخيروجدت نقوش صخرية، وفي "فايد السوار "بأم البواقي أداة فريدة من نوعها هي عبارة عن قناع منقوش في جمجمة إنسان اكتشفها الباحث "ج لابلاس"، وفي هذا الموقع الأدوات الهندسية قليلة أما الأدوات العظمية فهي نادرة أيضا [53].

خامسا : الأوراس خلال العصر الحجري الحديث :

لقد كانت بداية العصر الحجري الحديث محل نقاش كبير بين الباحثين، وانتقل النقاش أيضا حول مصدر النيوليتي وفيما إذا ما كان محليا أو من الخارج، والنقاش نفسه كان يدور حول مختلف الحضارات التي شهدتها شمال إفريقيا كالعاترية والايبرومغربية والقفصية، وقد ميز الباحثون ثلاثة أنواع من العصر الحجري الحديث، وهي: العصر الحجري الحديث الساحلي وهو يعتبر متأخر مقارنة مع العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية الذي انتشر في المناطق الداخلية وامتد إلى الصحراء الشمالية [54].

أما النوع الأخير فهو العصر الحجري الحديث الصحراوي السوداني وهو يتميز بغناه وتطوره الحضاري كما أنه قديما جدا، إذ يؤكد "كامبس"أنه متزامن مع وادي النيل والشرق الأدنىوربما أقدم منه [55].

أ – النيوليتي ذو التقاليد القفصية في مناطق الأوراس :

النيوليتي ذو التقاليد القفصية يتميز بغناه بالأدوات الحجرية و بيض النعام لكنه فقير من الفخار، فالمرحلة القديمة من القفصية المتواجدة في الأطلس الصحراوي و السهول العليا خالية تماما من الفخار [56]، لكن الفخار يبدأ في الظهور في عين الناقة Aïn Naga في الأطلس الصحراوي في حوالي 5500 ق.م وفي حوالي 5000 ق.م "بعين مستريةAïnMisteheyia" في تونس،وفي 4600 ق.م في كهف "كابيلوتي"Capeletti في الأوراس [57].

ومن الملامح الحضارية لهذا العصر انتشار واسع للمثاقب و المطاحن والمخارز وتطور الصناعة الحجرية لتصبح أثر دقة وتشذيبا، أما الصناعة العظمية فقد أصبحت تتمثل في الخناجر والإبر، كما استعمل بعضها كحلي وربما لأغراض الحماية السحرية حيث كانت تعلق حول الرقبة، أما أهم ما يميز على العصر الحجري الحديث فهو الفن الصخري من نقوش أو رسوم وكذلك صناعة الفخار.

وينتشر النيوليتيالقفصى في المناطق الداخلية حيث تظهر فيها صناعة حجرية مختلفة كليا عن الصناعة القفصية النموذجية، وتوجد خاصة رؤوس السهام ذات الوجهين إضافةإلى المسننات والمكاشط والنصال والفؤوس المصقولة وأدوات الطحن، كما تظهر الأواني الفخارية في الألف الخامسة ذات الأشكال المخروطية كما تظهر حلي مصنوعة من القواقع والحجارة الملونة.

وقد كان الاعتقاد سائدا بين الباحثين أن مجموعات القفصيين لم تكن تملك الأبقارالمستأنسة ولا الأغنام، لكن البحث في موقع المجاز 2 في سطيف أدى إلى اكتشاف بقرة صغيرة قال قوتي Gautier أنها مستأنسة، كما اكتشفت في مواقع قفصية أخرى تماثيل للأغنام والأبقار [58].

كما عثر على بقايا لأبقار مستأنسة في كهف كابيلوتي في الأوراسالذي يقع ضمن تأثيرات الحضارة القفصية ويقدر التاريخ ب 6530± 250 قبل الحاضر [59].وفي موقع "وادي منقوب"قرب أولاد جلال ببسكرة وجدت تماثيل لأبقار أيضا على تقديس الأبقار إلى جانب حيوانات أخرى ، فالقفصيون كانوا ينقشون بعض الحيوانات على بيض النعام والصخور، ومن الأمثلة على ذلك موقع الداموس الأحمر بتبسة الذي وجدت فيه بيض نعام منقوش [60]، ويعتبر النيوليتي القفصي في المناطق الساحلية حديثا فهو يتراوح بين الألف الرابعة والخامسة بينما هو في الصحراء يتراوح ما بين الألف الخامسة والسادسة ، ومن جهة ثانية لاحظ الباحثون وجود تأثيرات مهمة للثقافة التينيرية[*].Ténéréen في النيوليتي القفصى الموجود في الصحراء الشمالية [61].

وفي موضوع متصل لا يزال النقاش مستمر بين الباحثين حول القفصين و علاقتهم بالفن الصخري في الأطلس الصحراوي، حيث يعتقد هوجو hugot أن الفن في الأطلس الصحراوي يعود إلى النيوليتي وليست له علاقة بالقفصيين على العكس مما ذكره هنري لوت وما ذكرته "مليكة حشيد" أيضا، كما يذكر هوجو انه بالنسبة للصحراء هناك حضارة ما غير محددة قبل النيوليتي وليس لها علاقة

بالقفصية، ويستدل بان النيوليتي في الصحراء قديم جدا وهو متزامن تقريبا مع الشرق الأدنى بينما النيوليتي القفصى حديث نسبيا [62].

ومن خلال دراستها لنقوش بيض النعام والفخار لاحظت الباحثة كامسفابريهأن النيوليتي ذو التقاليد القفصية أكثر امتداد من المناطق التي حددها hugot هوجو له [63]. إذ يبدوا فإن الغابات في الأطلس الصحراوي لم تشكل عائق كبير في الاتصال الحضاري بين الشمال والجنوب مثلما تفعل الصحراء الآن، فحدود النيوليتي ذو التقاليد القفصية تصل إلى "عرق إڤدي" وشمال فزان وإليزي وكل من حاسي المويلح وحاسي مسعود في ورقلة، وهو يتميز بندرة الفخار وكثرة بيض النعام [64].

ويصل أقصى امتداد للنيوليتي القفصي إلى رقان حيث وصف كامبس البقايا الأثرية في رقان بأنها صناعة قزمية تابعة للعصر الحجري القديم المتأخر لكنها تمتد إلى النيوليتي القفصي المتأخر، إذ يقدر زمنها ب 3000 ق.م، أما ثقافات النيوليتي في الصحراء الوسطى فهي تعود إلى 5000 ق.م (65).والحدود الشمالية للنيوليتي الصحراوي السوداني تتلاقى مع المناطق التي انتشر فيها النيوليتي القفصي ، حيث تمتزج الثقافان في تلك المنطقة .

فقد كشفت الأبحاث التي قام بها "كامبس" في المناطق القريبة من ورقلة وجود ثقافة مختلفة (*)،تمثل تطورا مختلفا للنيوليتي القفصي وقد حدد تأريخ موقع حاسي المويلح بورقلة ب 3300 ق.م (66).ويبدو أن هذا الموقع يحمل تأثيرات النيوليتي الصحراوي أيضا فقد بلغت ثقافة رعاة الأبقار أوجها في مناطق الصحراء الوسطى فيما بين 4500 و 2500 ق.م وامتدت إلى مناطق واسعة من شمال إفريقيا .

وقد لعبت منطقة الأوراس دورا كبيرا في انتشار النيوليتي فهي تحتوى على مواقع هامة منها :موقع الداموس الأحمر الذي قامت بالتنقيب فيه الباحثة كوليت روبي [67].ومن المواقع الهامة الأخرى موقع مشتى العربي والذي يكتسي أهمية كبيرة في العصر الحجري القديم المتأخر وفي النيوليتي، وقد قام بالتنقيب فيه

العديد من الباحثين منهم سليمان حاشي [68]، ومن المواقع النيوليتية الأخرى موقع المجاز قرب العلمة بسطيف، وهو مهم جدا لما توفر فيه من بقايا نباتات وحيوانات تمكن الباحثين من بناء البيئة في ذلك الوقت، كما توافر على أدلة على نشاط رعوى في وقت مبكر من النيوليتي،وقد قامت الباحثة كامبس فابريه بالحث في مخلفاته الحضارية [69].

ولعل أهم موقع في الأوراس بل وفي منطقة شمال إفريقيا هو موقع كهف الكابيليتيبالأوراس الذي يبعد عن باتنة ب 30 كلم.

ب – كهف الكابيليتي في الأوراسودوره الحضاري :

يقع كهف كابيلوتيCapeletti في منطقةخنقة سيدي محمد الطاهر الموجودة بمنطقة "برباقة" بجبل "تيماقولت" التابعة لبلدية وادي الطاقة بباتنة، وقد سمي بهذا الاسم نسبة للباحث "جون بابتيستكابيليتي" الذي يعد أول من نبه إلى أهمية هذا الموقع بالنسبة للنيوليتي في شمال إفريقيا بفضل موقعه [*].ويكتسى هذا الموقع أهمية كبيرة ليس في المنطقة الشرقية من البلاد فحسب بل بكامل شمال إفريقيا، وهو ينتمي إلى العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية، وقد قام بالبحث فيه كل من تيودور ريفيارTh. Riviere في 1936 و كوليت روبي C. Roubet سنة 1968، ومؤخرا في سنة 1996 قامت الباحث بشير باشا A. Bachir Bacha بدراسة المقتنيات الأثرية والبقايا التي عثر عليها روبي في هذا الموقع والتي استودعت في مخبر ماقبل التاريخ التابع لمتحف الإنسان في فرنسا .

وقد سمحت دراسات العينات النباتية والحيوانية بواسطة كربون 14 من إعطاء إطار زمنيا للبقايا الأثرية الموجود فيه، حيث أرخت الطبقة القديمة ب 6530± 250 قبل الحاضر وهي تمثل بدايةالاستيطان البشري في الموقع، والاستيطان الثاني للموقع أرخ ب 5900 ± 150 قبل الحاضر ثم 5740 ± 140 قبل الحاضر، ثم الاستيطان التالي للموقع تم تحدده في 5400 ± 140 قبل الحاضر، أما الاستقرار الرابع للموقع فقد أرخ ب4670 ± 130 قبل

الحاضر، أما نوع الإقامة البشرية فيبدو أنها من الرعاة المستقرين وشبه المستقرين، وتدل البقايا النباتية والحيوانية أن البيئة كانت بيئة رطبة لكنها لم تكن مسقرة فأحيانا باردة و أحيانا حارة .

وقد تضمنت البقايا الحضارية في هذا الموقع صناعة حجرية مشذبة وأخرى مصقولة، وصناعة عظمية، كما وجدت كسر الفخار في الموقع وهو أمر نادر في البقايا القفصية، ووجدت الكثير من الأساور والمجوهرات من الخرز والعظام ومن كسر بيض النعام، كما وجدت قواقع المولسك، ووجدت بقايا فكوك وأسنان لحيوانات منها الأبقاروالأغنام والماعز ، وهو ما يدل على أن هذه المنطقة قد عرفت الاستئناس [70].

ومعظم تلك الأدوات تعود للنيوليتي إلا أنه من المحتمل أن بعضها يعود للقفصية .

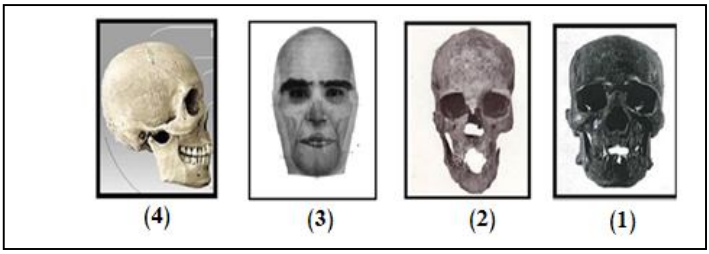

الشكل رقم 01 : مقارنة بين جمجمة الإنسان القفصي والايبرومغربي مع الإنسان الحالي

(1) جمجمة إنسان المشتى الايبرومغربي، (2) جمجمة الإنسان القفصي، (3) صورة مركبة بواسطة الكمبيوتر لإنسان المشتى، (4) جمجمة الإنسان الحديث

المصدر : GinetteAumassip (2001),op.cit. p66:

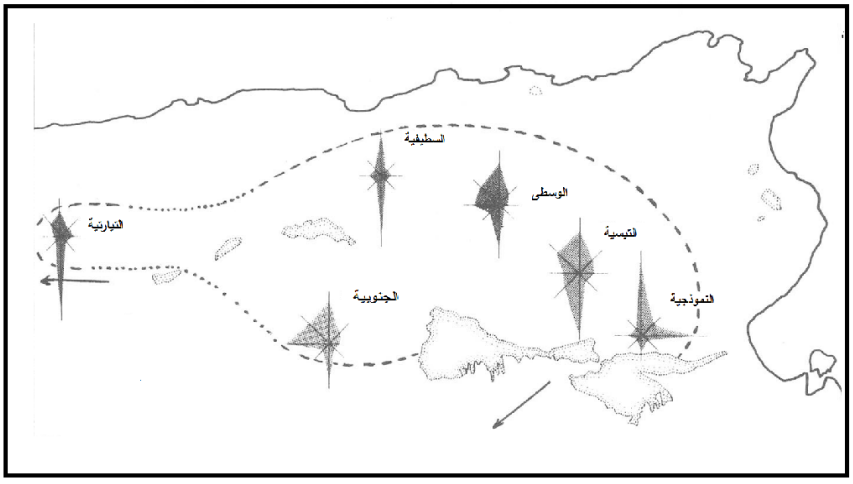

الشكل رقم 02 : مختلف مراحل القفصية التي وضعها كامبس

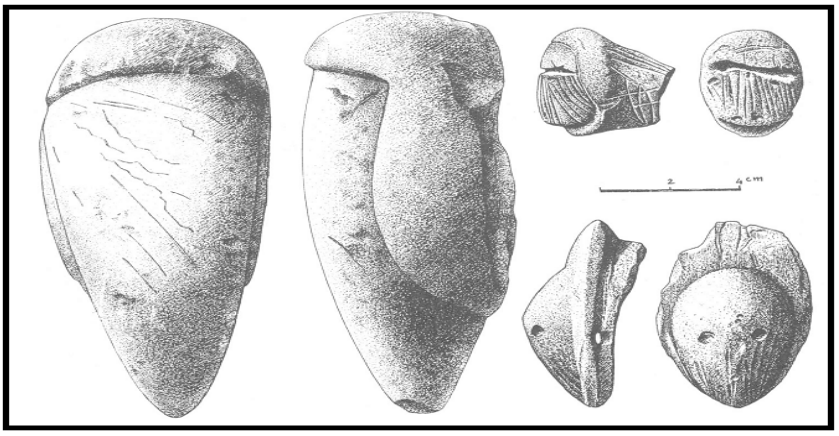

الشكل رقم 03: تماثيل شبه إنسانية تعود للقفصية قد تمثل دليل على عبادة الأمومة في موقع المقطع في قفصة .

G .Camps ,«Animisme»,inAnacutas – Anti-Atlas , encyclopédie berbère , ,Edisud , Aix-en-Provence , Vol5, 1988, p663.

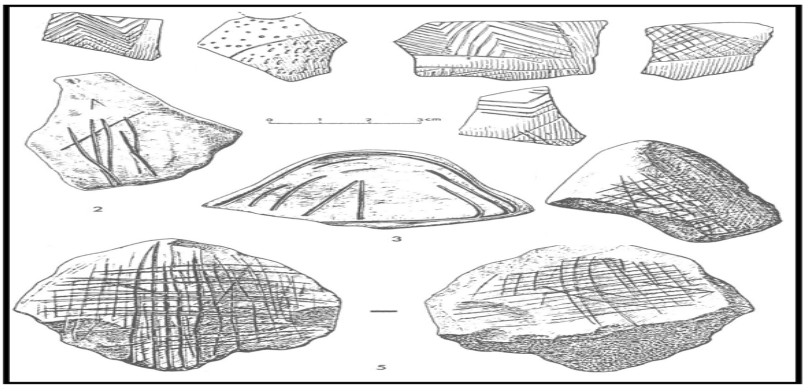

الشكل رقم 04 : نماذج للفن القفصي الذي يتمثل في النقش على الصخور(في الأسفل) وعلى بيض النعام (في الأعلى)

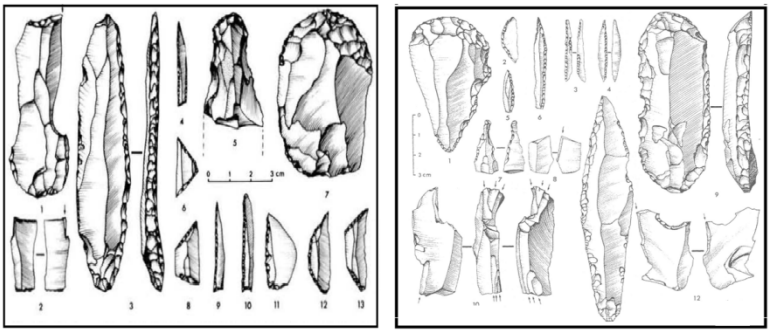

الشكل رقم 05 : صناعة حجرية للقفصية النموذجية في موقع الوتد في الشرق الجزائري على اليمين، وعلى اليسار صناعة حجرية للقفصية العليا في ليلي بالنمامشة.

المصدر : G. Camps (1974) op.cit.p 122

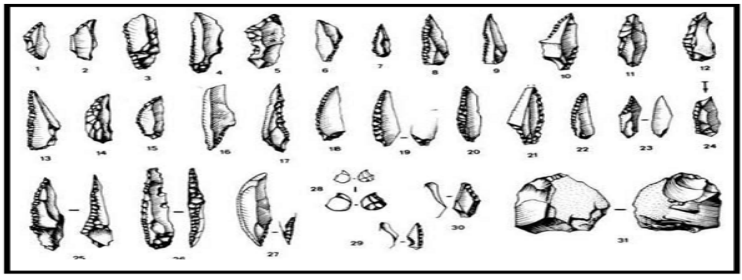

الشكل رقم 06: صناعة إيبرومغربية في تيبازة كهف راسال"Rassel

G. Camps (1974) op.cit.p65

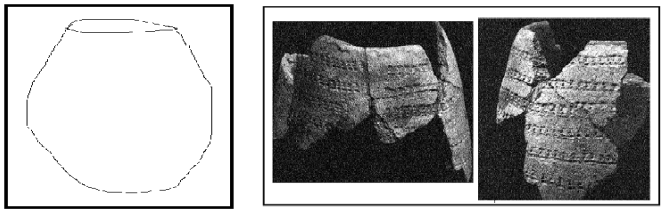

الشكل رقم 08 : صور تمثل فخار يعود إلى النيوليتي في كهف الكابيليتي بالأوراس، على اليسار إعادة تصميم للأواني الفخارية التي تعود للنيوليتي في الأوراس من طرف الباحث .

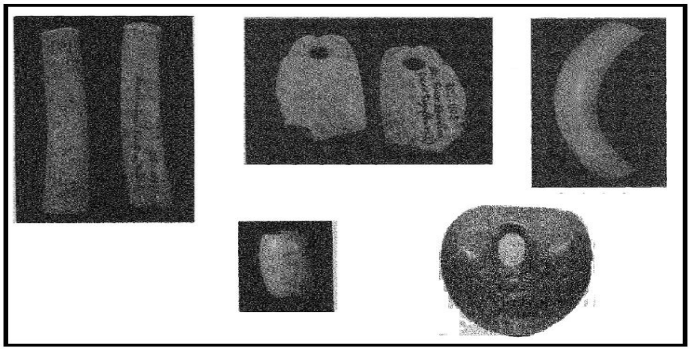

الشكل رقم 07 : بعض من أدوات الزينة المكتشفة في الأوراس

Aicha Bachir Bacha (2000), op.cit, p 301-340.

❖ هوامش البحث:

(1) Joleaud, L., Laffitte, R., 1934a. **Grotte préhistorique du Khanguet Si Mohammed Tahar (Aurès, Algérie).** Journal de la Société des Africanistes IV, 111–113. C. Roubet /L'anthropologie 107 (2003) 393–442 441.

(2) Alimen, H., Biéda, Z., Casta, L., 1979. **Étude sédimentologique de la grotte Capéletti. In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale préagricole en Algérie orientale.** Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : L'Aurès. CNRS, Paris, pp. 190–197.

(3) Ballais, J.-L., 1987. A.322. Aurès. **Encyclopédie Berbère**. Edisud XVII, 1066–1095.

(4) Camps, G., 1975. **Les industries épipaléolithiques du Maghreb et du Sahara septentrional. Colloque International d'Aix-En-Provence**, sous la dir. de G. Camps, (juin 1972). CNRS, pp. 83–117. , Camps, G., 1991. B.54. Le Bélier à sphéroïdes (Gravures rupestres de l'Afrique du Nord). Encyclopédie Berbère. Edisud IX, 1417–1433.

(5) Camps–Fabrer, H., 1975. **Un gisement Capsien de faciès Sétifien**. Médjez Il. El-Eulma, (Algérie). CNRS, Paris.

(6) Carter, P.-L., Higgs, E.S., 1979.**A study of the faunalremainsfrom La grotte Capéletti du Khanguet Si Mohamed Tahar (Aurès, Algérie)**. In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp. 411–414.

(7) Côte, M., 1987. **Comment les hommes ont utilisé les piémonts. Hommage** à G. Maurer, CIEM, fasc. 11, Poitiers, 221–240. L'auteur étudie notamment le piémont méridional de l'Aurès–Némencha. , Côte, M., 1991. B.53. Bélezma. Encyclopédie Berbère. Edisud IX, 1415–1417

(8) Couvert, M., 1969. É**tude de quelques charbons préhistoriques de la grotte Capéletti**. Libyca XVII, 213–217.

(9) Ferré, B., 1979. **Étude sur l'ensoleillement de l'entrée de la grotte Capéletti**. In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp. 521–546.

(10) Plu, A., Portères, R., 1979. **Identification des macro-restes végétaux de la grotte Capéletti. In: Roubet,** C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp. 426–448.Portères, R., 1979. Présence et utilisation des végétaux identifiés dans la grotte Capéletti. In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp. 439–448.

(11) Roubet, C., 1969. **La grotte Capéletti de Khanguet Si Mohamed Tahar,Aurès, Algérie.** Étude préliminaire. Libyca XVII, 203–211. Roubet, C., 2003b. (sous-presse). Khanguet Si Mohamed Tahar (Aurès, Algérie). Encyclopédie Berbère. Edisud lettre « K ».

(12) Paillet, J.-L., 1979**. Levé topographique de la grotte Capéletti au 1/100e**. In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, p. 160.

(13) Grébénart, D., 1971. **Vues générales sur le peuplement capsien au Nord des Némencha**, secteur de Chéria, Télidjène et Rass-el-Euch. Libyca XIX, 171–177.

(14) Clutton-Brock, J., 1979. Canids. **In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale.** Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp. 415–416

(15) Roubet, C., 1985. **Transhumance ovine dans l'Aurès depuis leVe millénaire B.C. Studi di Paletnologia in onore di Salvato M. Puglisi. In: Liverani, M., Palmieri,** A., Peroni, R. (Eds.). Università di Roma, La Sapienza, pp. 421–423. , Roubet, C., 1995. Le « Statut de Berger ». Étude des communautés pastorales de l'Atlas du Maghreb oriental. Document interne. Muséum National d'Histoire Naturelle, Paris ,Roubet, C., 1979. Économie pastorale préagricole en Algérie orientale : le Néolithique de tradition capsienne.Exemple L'Aurès. CNRS, Études d'Antiquités Africaines, Paris ,Roubet, C., 2003a. Économie pastorale préagricole dans l'Aurès Néolithique. Gestion et organisation des cheptels en environnement atlasique. Archéologia, Dijon (282), 62–71.

(16) Henry N Le Hou´erou, (1997)**Climate, flora and fauna changes in the Sahara over the past 500 million years** , Journalof Arid Environmentsn°37, p632-634.

(17) S. Stambouli-Essassi, E. Roche & S. Bouzid(2007)Evolution De La Végétation Et Du Climat Dans Le Nord-Ouest De La Tunisie Au Cours Des 40 Derniers Millénaires, Geo-Eco-Trop, 2007, N°31, p 171-172 .

(18) G Aumassip., (2001) **L'Algérie Des Premiers Homme**s. Editions De La Maison Des Sciences De L'homme, Editions Ibis-Presse. P166.

(19) DespoisJean(1957)Lepeuplementpréhistoriquedel'AfriqueduNord , d'aprèsM .L .Balout .In :AnnalesdeGéographie, 1957t 66 .n°357,p457.

(20) Alfred Muzzolini (1983). **L'art rupestre préhistorique du Sahara central**: classification et chronologie. Le Boeuf dans la préhistoire africaine. Aix-en-Provence/ Marseille: Thèse de troisième cycle de l'Université de Provence, p50.

(21) Henry N. Le Hou´erou,p636.

(22) GAumassip (2001), op.cit , p67.

(23) Olivier Duteur (1981) **Extension Saharienne Du Type Anthropologique De Mechta-Afalou , Cahier de . O.R.S.T.O.M**, sér. Géol, vol °14 , n°2, 1981, p209.

(24) Chamla M C (1968), **les Population Anciennes Du Sahara Et Des Région ,Limitrophe Mémoire de C.R.A.P.E** .n°9, Paris: A M G, p87.

(25) Olivier Duteur (1981). op.cit. p210.

(26) Louiza Aoudia-Chouakri et Fanny Bocquentin (2009) **Lecrânemodifiéetsurmodelé de Faïd SouarII Capsien, Algérie Masque**, trophée ou rite funéraire؟ Cahier des thèmes transversaux ArScAn, Vol IX,2007-2008, ThèmeVI,pp 171,176,177.

(27) Bruzek, J., Sefcakova, A., Cerny, V., 2004, **Révision du sexe des squelettes épipaléolithiques de Taforalt et d'Afalou-bou-Rhoummel parune approche probabiliste**. Antropo, 7, p 196.

(28) Jean Despois (1957**) Le peuplementpré historiquede l'Afrique du Nord** , d'aprèsM .L .Balout .In :AnnalesdeGéographie1957 ,t66n°357,pp458-459

(29) Chamla M C (1968),op.cit. p87.

(30) Despois(1957) op.cit.pp458-459Jean.

(31) l Balout(1955) **prehistoire de l'afrique du nord**, essai de chronologie ,art et métier graphique .paris.p437.

(32) Chamla M C (1968),op.cit. p87.

(33) Despois(1957) op.cit.pp458-459Jean.

(34) Hachi Slimane (2003), Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou ,LesGisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors ,Algérie),Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2.p12.

(35) M hachid(1983) **les pierres écrites de l'atlas saharien**, .algerie: edition .E N A G. T 1. p20.

(36) G. Camps (1974) op.cit.p 53.

(37) gAumassip (2001), op.cit, p67.

(38) محمد الصغير غانم (2003) مواقع وحضارات ماقبل التاريخ، دار الهدى،الجزائر، ص84.

(39) g Aumassip (2001),op.cit , p59.

(40) محمدالصغير غانم : مرجع سبق ذكره، ص ص 87-88.

(41) Gobert E.(1910) **Recherches sur le Capsien 1ère série** .In :Bulletin dela Société préhistorique française , 1910 .tome 7 , N°11 ,pp595-596.

(42) محمدالصغير غانم : مرجع سبق ذكره، ص97.

(43) Gobert(1910) op.cit.pp 602-604.

(44) Henry N. Le Hou´erou,op.cit.p633.

(*) مارس الايبرومغربيون أولا قلع أضراس الفك السفلي والعلوي للناس في سن البلوغ ، أما القفصيون فقد كانوا يقلعون أضراس الفك السفلي فقط ، والمعروف أنه لا تزال شعوب إفريقية تفعل ذلك اليوم ، أنظر :سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 ، ص . 125

(45) PCadenat, (1952) «**Contributionàl'étude de l'industrie de l'Ocre** », dans actes du 2èmecong Panafricain, P. 509

(46) Louiza Aoudia-Chouakri et Fanny Bocquentin(2009) Lecrânemodifiéetsurmodeléde FaïdSouarII Capsien, Algérie Masque, trophée ou rite funéraire؟ Cahier des thèmes transversaux ArScAn, Vol IX,2007-2008, ThèmeVI,pp 171,176,177.

(47) محمد سحنوني(1990): **ماقبل التاريخ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص119، 124

(48) g camps (1974) op.cit.p102.

(49) G. Camps (1974) op.cit. 157.

(50) محمدالصغير غانم : مرجع سبق ذكره، ص100.

(51) G. Camps (1974) op.cit.p185.

(52) Lionel Balout. (1972),**Chronologieabsolueetpréhistoiresaharienne** .In : Revuedel'OccidentmusulmanetdelaMéditerranée , n°11 , 1972,. p18

(53) Aumassip (2001)op.cit.p122-123.

(54) تمتد المواقع النيوليتية ذات التأثير القفصي إلى"حاسي مندة" ، و"زميلة البركة" ، و"وادي زقاق" وتؤرخ ب 5700ق.م و 4800ق.م وهي تحتوي على الفخار، كما توجد مواقع أخرى لا تحتوي على الفخار مثل موقع أولاد مية بنواحي ورقلة والتي تؤرخ بحوالي 4720 ق.م إلى 4200 ق.م، ينظر: محمد سحنوني، مرجع سبق ذكره، ص 131.

(55) Contenson Henri De ,G. Camps, Amekni, Néolithique ancien du Hoggar ,Syria, Année 1971, Volume 48, Numéro 1 p. 243 – 247.

(56) g camps (1974) op.cit.p 220.

(57) A Muzzolini (1995) **Les Images Rupestres Du Sahara** ,Collection: Préhistoire Du Sahara. 1, Édité Par L'auteur, Alfred Muzzolini, , France., 1995 , P50.

(58) A Muzzolini (1995), op.cit. P50.

(59) Barbara E Barich (1998) , **People ,Water And Grain: The Beginning Of Domestication In The Sahara And The Nile Velley / Barbara E Barich - Roma :** L'ERMA DI BRETSCHNEIDER , 1998, Studia Archaeological: 98: Fig 5.2.

(60) H Camps Fabrer(1962) , Figurations Animales Dans L'art Mobilier Préhistorique D'Afrique Du Nord, libyca , IX- X, p 101.

(*) التينيرية تعد من أهم الثقافات النيوليتيةفي منطقة الساحل وتمتد تأثيراتها إلى الصحراء الوسطى التي تتميزبغناها بالصناعة الحجرية وبالفخار وهي قريبة الشبه بالنيوليتي المصري، مركزها الرئيسي أدرار بوس في النيجر، ينظر : g -221 camps (1974) op.cit.p 220.

(61) g camps (1974) op.cit.p 220.

(62) LionelBalout. (1972).op.cit. p18.

(63) G aumassip (1970), **note sur le neolithiquesaharaien** , bull ,ass, sénég.et.quater.ouestafr , dakar , n°25, mars 1970, pp17-19.

(64) Gabriel Camps , Henriette Camps-Fabrer (1972) , **perspectives Et Orientation Des Recherches Sur Le Néolithique Saharien** In: Revue De l'Occident Musulman Et De La Méditerranée, N°11, 1972. P29.

(65) ibid ,p23.

(*) أطلق غابريل كامبس عليها اسم الثقافة الملالية Mellalien نسبة إلى حاسي المويلح، تطور في تڤرت ووادي سوف، والتي انتشرت في عدة مواقع قريبة منها موقع الحجار El Hadjar، وربما امتدت تأثيراتها إلى أولاد جلال ببسكرة، وقد امتدت زمنيا بين 6600-5000 قبل الحاضر، تعود إلى النيوليتي من ملامحها وجود النصال بكثرة، والصناعة العظمية الشبيهة بالصناعة العظمية الايبرومغربية ، بينما تطور نقش بيض النعام تشبه فيه القفصية، ولكن الملالية لا تملك نفس الأشكال ولا الزخارف ولا

النويات ولا المظهر العام للقفصية حيث لا توجد الأشكال القزمية الهندسية للصناعة الحجرية، ينظر : Ginette Aumassip (2001) op.cit .p 124.

(66) G Camps . G Delibrias*EtJ* .Thommeret,(1968**) Chronologie Absolue Et Succession Des Civilisations PréHistorique Dans Le Nord De L'Afrique** Libyca Anthropologie– Préhistoire- Ethnographie , TomeXVI, 1968 , P 19

(67) Roubet, C., (1968**). Le gisement du Damous el Ahmar et sa place dans le Néolithique de tradition capsienne.** Travaux du CRAPE. AMG, Paris.

(68) Roubet, C., Hachi, S., 2001b. **Les sépultures de Méchta-Afalou, Cro-Magnon de l'Afrique du Nord : approche culturelleàpartir de nouvelles découvertes. Colloque International du Val-de-Marne** : L'identitéhumaine en question, sous la dir. de Ph. Andrieux, D. Hadjouis et A. Dambricourt-Malassé .Artcom, Paris, pp. 225- 235.

(69) Camps–Fabrer, H., 1975). **Un gisement Capsien de faciès Sétifien. Médjez II. El-Eulma,** (Algérie). CNRS, Paris.

(*) يقع هذا الكهف في منطقة ذات تضاريس صعبة المسالك ، على علو يقارب 1540متر ، في أخدود كلسي على الجهة اليسرى لوادي بارباقاBerbagaوهو مجرى الصغير يتصل بوادي التاقا على مسافة 8 كلم، وهذا الكهف محاط من الشمال بجبل "إرفن كلتوم"L'irfenKeltoume والمحمل Mahmel الذي تتواجد فيه أعلى قمة في المنطقة حوالي 2328 متر، في الجنوب مجموعة من الجبال تشكل سلسلة جبال قورجيتGuergitt، وفي الشرق يمتد سهل وادي العرب، وفي الغرب تتواجد جبال بلزمة Belezmaوالزاب ثم شط الحضنة .

(70) Aicha Bachir Bacha ,(2000): **Nouvelle contribution à la compréhension du Neolithique de l'Algerie Orientale** : le materielarcheologique de la grotte Capeletti, collection Thérèse Riviere, L'Anthropologie 104 , 2000, p301-302.

الدراسات باللغة الأجنبية

Revue des Sciences de l'homme et de la Société

Périodique international à comité de lecture Publié par la Faculté des Sciences Humaines et Sociales

Université Biskra- Algérie

ISSN 2253-0347

Dépôt Légal 1695-12

Septembre 2015

N°16

Approche Psychologique De La Resistance Aux Changements Chez Les Enseignant D'E.P.S
(Etude De Cas)

Dr. Rachid ALOUANE

Université d'Alger 3

Résumé :

L'objet de cette étude consiste à décrire et comprendre la résistance aux changements des enseignants d'éducation physique et sportive.Les résultats du NEO PI-R (Costa et MCCrae, 1995) ont permis de distinguer les enseignants appliquant l'approche par compétences de leur collègues résistants dans les dimensions de C*onscience et d'Agréabilité*. Leurs scores élevés en *Conscience* signifient qu'ils sont des personnes fiables et qui assument leur engagement. Ils sont très centrés sur le travail et les efforts requis pour atteindre leurs objectifs. Ils sont également conciliants et préfèrent éviter les conflits. Ils abordent les relations interpersonnelles avec confiance et altruisme.

الملخص:

يتمحور موضوع هذه الدراسة حول وصف وفهم مقاومة التغيير لدى أساتذة التربية البدنيةوالرياضية تجاه التجديد البيداغوجى من وجهة نظر نفسية، وذلك انطلاقا من دراسة شخصية الأساتذة. ومن خلال نتائج اختبار NEO PI-R لـ (Costa et MCCrae,1995) سمحت بالتفريق بين الأساتذة الذين يطبقون المقاربة بالكفاءات و بين زملاءهم المقاومون للتغيير في كل من بعد الضمير و الوفاق.نتائجهم العالية في بعد الضمير تدل على أنهم أفراد فاعلون ويتحملون التزاماتهم، بأنهم مركزون في العمل وفي المجهودات المطلوبة لتحقيق أهدافهم. ويتميزون كذلك بالتصالح وتفضيل تجنب الصراعات.و يقيمون علاقات بينية بكلثقةوإيثار.

Introduction :

La réforme du système éducatif algérien entamée durant l'année scolaire 2003/2004 est la continuité de celle que connaît actuellement le monde de l'Éducation qui est le fruit de plusieurs décennies de recherche dans ce domaine. Cette réforme représente, au début de ce troisième millénaire, un enjeu majeur pour la formation des citoyens. Ce renouveau pédagogique fait face aux bouleversements considérables en l'occurrence celle de mondialisation. L'explosion des moyens de communication, la croissance vertigineuse des technologies et les modifications de la vie communautaire ayant incité des réformes multiples.

En Algérie, La mise en œuvre de l'approche par compétences (APC), en tant que système d'enseignement, relève d'une initiative des pouvoirs publics. Cette volonté affichée d'une refonte des contenus et des méthodes d'apprentissage, ainsi qu'une réorganisation des structures de l'éducation nationale a donné naissance à un protocole d'accord passé entre L'UNESCO et le Ministère de l'Education au terme de la visite à Alger en février 2001 du Directeur général de l'UNESCOMr. Koïchiro Matsuura

Cette orientation politique vise la modernisation des programmes d'enseignement dans le but de légitimer "le passage d'un enseignement centré sur les savoirs disciplinaires à un enseignement défini par et visant à produire des compétences vérifiables dans des situations et des tâches spécifiques (...) condition et conséquence du

primat accordé à l'élève dans la loi d'orientation qui place celui-ci au cœur du système éducatif" (Tanguy, 1994, p.33).

En Education Physique et Sportive, l'application de l'APC, comme renouveau pédagogique, a engendré des changements comportementaux à l'égard de la démarche pédagogique. D'ailleurs, Lamour H. (1986) parle de changement de comportement pédagogique. «Le changement en Education Physique et Sportive est une modification de l'ordre de l'action éducative imposée à l'enseignant ou qu'il s'impose à lui–même ayant pour origine des facteurs institutionnels, rationnels, sociaux, conjoncturels ou personnels » Lamour H. (1986, p.179). Ceci a donné lieu à toutes sortes de réactions de la part des enseignants. Celles-ci sont, parfois, vives et communément reconnues comme de la résistance au changement.

Toualbi – Thaâlibi **(**2005 p. 27) souligne cette attitude « Il va sans dire enfin, que la mue qualitative à laquelle aspire à présent l'Ecole algérienne et par-delà la complexité objective des moyens humains et matériels qu'elle suppose, n'est pas sans susciter quelques résistances, sinon même quelque hostilité de la part de tous ceux qu'angoisse, à titres divers, l'aventure du changement. »

Selon Lamour H. (1986, p. 486), la résistance au changement d'un enseignant peut se définir soit comme « une difficulté à s'adapter aux modifications qui interviennent dans la vie professionnelle ou une volonté de rester en retrait des remises en

question qui secouent régulièrement l'Education Physique » (p. 181) Depuis l'arrivée en Algérie de l'APC, Qu'en est-il de l'enseignant, celui par lequel les objectifs de ce renouveau vont se réaliser ou non? Les enseignants vont devoir eux-mêmes acquérir de nouvelles compétences, notamment par des activités de perfectionnement, afin d'intégrer les nouvelles facettes de cette nouvelle vision pédagogique.

L'attitude des enseignants face à cette nouvelle situation sera déterminante puisque c'est à eux qu'il revient de choisir de se perfectionner et de s'informer sur ce sujet. Cette liberté leur permet plus facilement de choisir leur degré d'investissement dans ce renouveau pédagogique. Compte tenu de cette grande autonomie, chacun semble libre de se conformer on non à la nouvelle approche. Il nous apparaît donc pertinent d'investiguer du côté des enseignants, puisqu'ils sont directement concernés par cette nouvelle approche. Ainsi, nous pourrons comprendre de manière plus complète l'implantation de l'approche par compétences au lycée.

Au regard des lectures faites et des commentaires recueillis concernant l'APC, nous formulons les questions suivantes : Quelles sont les causes de la résistance au changement chez les enseignants d'E.P.S à l'égard de l'application de l'APC ? Qu'est-ce qui fait en sorte que certains enseignants acceptent le changement et adoptent les comportements nécessaires pour le réaliser ? Pourquoi d'autres ne réagissent pas, ou pire, tentent de freiner tout effort de changement ? Un grand nombre de variables explicatives

individuelles, liées à leur personnalité, ont été identifiées à cet effet dans la documentation scientifique, qu'en est-il de nos enseignants, en particulier ceux de l'Education Physique et Sportive ?

Cadre théorique

1. Description du renouveau pédagogique

L'introduction des compétences dans les systèmes éducatifs constitue probablement une des transformations majeures de ces 20 dernières années. Le concept de compétences, fait son entrée depuis quelques années dans l'enseignement en Algérie. Cette introduction génère beaucoup d'interrogations et de réticences.

Suite aux travaux de la Commission Nationale de la Réforme du système éducatif algérien (2000 -2001), installée par le Chef de l'Etat lui-même, et après une large réflexion dans une perspective de « réconcilier divers questionnements sur les nouvelles finalités de l'éducation et de la formation avec une réflexion objective, sur l'état réel du système éducatif national, dont il fallait reformuler les objectifs », conclue qu'il devenait normal, que la définition des objectifs de formation tienne rigoureusement compte des impératifs de la mondialisation et que l'effort de formalisation en matière de stratégie éducative soit l'affaire exclusive de la Commission nationale et non plus celle des politiques.

La refonte de la pédagogie et des programmes – visant à améliorer la pertinence et la qualité des apprentissages – représente une nouvelle vision de l'éducation qui se voudrait une « rupture »

pédagogique avec le passé. Cette nouvelle vision se définit par une APC plaçant l'apprenant au centre de l'apprentissage et donnant une plus grande autonomie à l'enseignant (1) .

En effet, influencés par le socioconstructivisme, un certain nombre de pays ont adopté pendant les années 1990 les compétences à développer ou à acquérir par les apprenants comme principe organisateur des programmes scolaires. Dans cette perspective, l'enseignement et l'apprentissage sont désormais considérés comme des instruments pour le développement d'individus autonomes, capables de faire face à des défis, d'adopter une position critique pour s'adapter à de nouvelles situations, et de participer activement aux groupes auxquels ils appartiennent. L'accent sur le développement d'individus compétents exige une nouvelle conceptualisation de l'enseignement, plus du tout orientée vers la définition des connaissances à acquérir, mais tournée vers l'amélioration de la capacité de chacun à réagir à de nouvelles demandes et à s'adapter à de nouvelles situations.

2. L'enseignant : l'élément clé du changement

La réforme des programmes scolaires, qui s'installe progressivement depuis 2003, modifie considérablement les orientations en matière d'apprentissage et d'enseignement. Sa réussite repose notamment sur l'appropriation de nouvelles compétences professionnelles souvent difficiles à développer pour le personnel enseignant.

Le changement en éducation dépend de ce que les enseignants en pensent et en font, et de la manière de laquelle ils parviennent à le construire activement. Gather Thurler, M. (1990)
La qualité de l'enseignementqui pour une large part détermine les acquis des élèves dépendde la qualité des personnes en charge. L'enseignant devient alors l'élément clé.

«Le cœur et l'outil du changement, de l'évolution et de la science, nous le savons et la nation algérienne le sait, c'est l'enseignant »Kadri, E. (2005, p.181). L'enseignant est le personnage clé dans la mise en œuvre finale d'une innovation qui porte directement sur le processus d'apprentissage.

3. La résistance aux changements

Depuis sa première apparition dans un texte de Coch et French (1948), le terme « résistance au changement » s'est avéré être un sujet prédominant, voire incontournable, lorsque l'on parle de changement organisationnel. Utilisé très fréquemment pour désigner toute forme de réaction négative des employés lors d'un changement, ce concept fait maintenant partie autant du langage scientifique que du langage populaire en matière de changement organisationnel Bareil (2004).

Le Grand Dictionnaire de la Psychologie. Bloch (1999) définit la résistance comme étant : « La propriété d'un phénomènepsychologique qui fait qu'il est difficile à modifier». Dans le contexte des changements organisationnels, Bareil (2004)

définit la résistance au niveau individuel comme étant le refus d'accepter un changement, qui se caractérise par des comportements visant à entraver ou à nuire au changement ».

Pour ce qui est de notre étude, nous définissons la résistance aux changements comme étant, une réaction foncièrement négative à l'égard du changement. Cette opposition à l'application du renouveau pédagogique se manifeste par le non application de l'approche par compétences dans leur enseignement.

4. Personnalité et résistance aux changements

Walker, Armenakis et Bernerth (2007) identifient quatre facteurs qui seraient liés au succès d'un changement organisationnel : le contexte dans lequel évolue l'organisation, la nature du changement, le processus de mise en œuvre et les différences individuelles entre les employés. Selon certains, ce dernier facteur serait le plus important à considérer. En effet, parmi les facteurs de résistance aux changements propres aux enseignants, on note Certaines dispositions de la personnalité semblent être étayées par les études (Oreg, 2003) les représentations individuelles relativement à l'acte d'enseigner qui contreviennent aux orientations du renouveau pédagogique. Comme celles-ci sont profondément ancrées dans la personnalité de certains enseignants. Sur le plan scientifique, Oreg (2003) a mis en lien la fermeture à l'expérience avec la mesure de la résistance au changement. Stanley, Meyer et Topolnytsky (2005) ont repéré un lien entre le cynisme et la résistance.

Dans une étude sur le rôle de la personnalité dans la résistance au changement, Vakola et ses collègues Vakola *et al. (*2004) ont constaté que les traits de personnalité peuvent avoir une influence sur les différentes réponses individuelles au changement. Par exemple, les individus extravertis ont la tendance d'accepter plus les changements que les introvertis.

Le changement de comportement pédagogique, selon Lamour H. (1986) signifie d'une part un changement d'attitude qui se situe dans l'ordre de la pensée et d'autre part un changement de comportement qui se situe quant à lui dans l'ordre du faire et de l'action, ceci nous amène aux facettes de la dimension Ouverture du NEO PI-R; Ouvertures aux idées et Ouverture aux Actions qui mesure à juste titre respectivement la curiosité intellectuelle et la volonté affichée d'essayer des activités nouvelles.

Est-ce que la résistance au changement pédagogique est provoquée par un pattern dispositionnel attribuable à la personnalité de l'enseignant. Est-ce que un enseignant ouvert aux idées et aux actions acceptent plus facilement un changement de comportement pédagogique, en l'occurrence un changement d'attitude et un changement de comportement dans le cadre de l'APC.

Oreg (2003) a réalisé une analyse de la littérature sur la résistance au changement, en se référant plus particulièrement aux sources de résistance qui ont semblé dériver de la personnalité d'un individu. Il a identifié six sources :

1. La réticence à perdre le contrôle : les individus peuvent résister aux changements parce qu'ils sentent que le contrôle de leur vie est réduit par les changements qui leur sont imposés plutôt que proposés.
2. La rigidité cognitive : les individus face aux changements peuvent lui résister parce qu'ils peuvent avoir des caractéristiques telles que la rigidité et l'esprit fermé, en devenant moins disposés à s'ajuster aux nouvelles situations.
3. Le manque de résilience psychologique : les individus moins résilients peuvent être plus réticents face aux changements parce que participer à un changement revient à admettre que les pratiques dans le passé étaient défectueuses, et donc une remise en cause de soi.
4. L'intolérance à la période d'ajustement impliquée dans le changement : des nouvelles tâches exigent un apprentissage et un ajustement, et de ce fait peut entrainer les individus à résister à cette période d'ajustement.
5. La préférence pour des niveaux de stimulations et de nouveautés faibles : les individus qui résistent au changement peuvent avoir un besoin plus faible pour la nouveauté ou pour le fait que le changement comporte souvent une augmentation de stimulation, ceux qui préfèrent des niveaux plus faibles de stimulations peuvent résister au changement.
6. La réticence à renoncer à de vieilles habitudes : quand les individus rencontrent un nouveau stimulus, les réponses familières

peuvent être incompatibles avec la situation, produisant ainsi le stress, qui devient alors associé au nouveau stimulus.

Dans une autre étude sur le rôle de la personnalité dans la résistance au, changement, Vakola et ses collègues (2004) ont constaté que les traits de personnalité peuvent avoir une influence sur les différentes réponses individuelles au changement. Par exemple, les individus extravertis ont la tendance d'accepter plus les changements que les introvertis.

Ainsi, la personnalité d'un individu joue un rôle crucial, Comme nous l'avons vu précédemment, puisque des personnes différentes ont différentes personnalités, les réactions au changement peuvent être diverses s'étendant de l'acceptation, en passant par l'indifférence et la résistance (Greenberg & Baron 2002).

METHODE

1. Participants et procédure

Notre échantillon est constitué d'enseignants d'E.P.S du secondaire, exclusivement masculin, âgé entre 34 et 41 ans.Nous avons entrepris une étude de cas, ce choix est imposé par la difficulté de trouver les enseignants qui ont adopté cette nouvelle approche d'enseignement. Nous avons étudié un groupe d'enseignants ouvert au changement (les novateurs), qui applique l'APC (n =03) et un groupe résistant (n = 03) qui utilise toujours l'approche par objectifs (Les conservateurs).

Nous tenons à préciser, qu'une pré-enquête nous a permis d'abord de trouver les enseignants qui appliquent l'APC que ce soit dans la préparation de la fiche de séance ou l'animation de celle-ci.
Par la suite nous avons vérifié cela, en retenant deux critères lors de l'observation de leurs séances. Le premier, porte sur le contenu de la fiche qui devrait être basée sur l'élaboration de situations problèmes d'apprentissage. Le deuxième critère concerne le rôle de l'enseignant sur le terrain. Ce statut lié au rôle d'accompagnateur, de conseiller et d'animateur.

Les deux groupes d'enseignants ont relativement les mêmes caractéristiques sociodémographiques, à savoir que,la moyenne d'âge chez les novateurs est de 38 ans, alors que chez les conservateurs, elle est de 37.5 ans, ont obtenu tous le diplôme de licence, et qu'ils travaillaient dans les mêmes conditions, à savoir, accès au guide et au manuel pédagogique, accès au matériels pédagogiques et aux infrastructures, accès à l'internet et le nombre d'élèves en classe.

2. La mesure de la personnalité

Le modèle qui fait le plus consensus dans la littérature en psychologie a été employé, soit le modèle en cinq grands traits (Morizot & Miranda, 2007). Les dimensions incluent dans ce modèle sont l'Ouverture, l'Extraversion, l'Agréabilité, la Conscience et le Névrotisme. Chaque dimension est composée de 06 facettes. La théorie des Big Five peut servir à décrire le comportement humain dans une variété de contextes.

Différentes études en ont notamment démontré l'utilité du NEO PI-R dans le domaine scolaire (Resing, Bleichrodt & Dekker, 1999 : Wang, Wang & Dai, 2011) et dans le monde organisationnel (Barrick & Mount. 1991).

Lors d'une étude sur la contribution des dimensions de la personnalité à la réussite sportive chez les nageurs Algériens, l'examen psychométrique du NEO PI-R a été effectué et s'est révélé positif. Alouane (2010).Les résultats du test d'Alpha de Cronbach pour l'inventaire de personnalité varient entre 0.67 (Caractère consciencieux) et 0.79 (Agréabilité)

3. Traitement des données

Nous allons décrire la personnalité des enseignants d'une façon globale à partir des feuilles de profil en vue de mettre en exergue les dimensions de personnalité les plus saillantes.

Les notes attribuées aux domaines et aux facettes du NEO PI-R facilitent la compréhension de la personnalité chez les individus et chez les groupes. L'examen des notes aux domaines donne un rapide tableau de caractéristiques principales, l'étude des notes aux facettes permet une analyse plus détaillée des aspects spécifiques dans lesquels les principaux domaines sont exprimés.

L'ensemble des notes obtenues au NEO PI-R pour les enseignants résistant au changement et ceux adoptant celui-ci a été reporté sur une feuille de profil à cinq zones : très élevé, élevé, moyen, faible et très faible. Nous nous intéresserons uniquement aux

notes situées dans les zones qualifiées de faible, très faibles, élevé et très élevé car les enseignants ayant obtenu des notes situées dans la zone moyenne sont des individus qui ressemblent à la plupart des gens.

Résultats

1. Profil psychologique des enseignants appliquant le changement pédagogique

Tableau 1 : Récapitulatif des résultats obtenus au NEO PI-R par les enseignants d'E.P.S appliquant le changement pédagogique

Les enseignants	Les dimensions	La zone sur la feuille de profil
Cas n°1	Névrosisme (N)	moyen
	Extraversion (E)	élevé
	Ouverture (O)	élevé
	Agréabilité (A)	élevé
	Conscience (C)	élevé
Cas n°2	Névrosisme (N)	bas
	Extraversion (E)	bas
	Ouverture (O)	bas
	Agréabilité (A)	moyen
	Conscience (C)	élevé
Cas n°3	Névrosisme (N)	bas
	Extraversion (E)	moyen
	Ouverture (O)	moyen
	Agréabilité (A)	très élevé
	Conscience (C)	élevé

Interprétation

Nous remarquons dans le tableau ci-dessus que les enseignants appliquant le changement ont un niveau de Conscience élevé, ce qui fait d'eux des personnes fiables et qui assument leur engagement. Ils sont très centrés sur le travail et les efforts requis pour atteindre leurs objectifs. Enfin ils sont mus par une forte volonté de réussite. Ils montrent également une grande persévérance dans leur conduite malgré les difficultés éventuelles.

En outre, la dimension ouverture désignant une plus grande ouverture aux idées nouvelles ainsi qu'aux actions n'est présent que chez l'enseignant n° 1. Ces résultats viennent controverser ceux d'Oreg (2003) qui a établi une liaison entre la fermeture aux expériences et la résistance aux changements.

Différemment aux résultats de Vakola et ses collègues (2004) qui ont démontré que l'Extraversion joue un rôle favorable au changement. Cette dimension ne se manifeste d'ailleurs dans le premier cas d'enseignant (cas n°1).

Les enseignants appliquant le changement appariaient, à la lumière de ces, résultats, notamment ceux de la dimension Agréabilité, sont des personnes conciliantes et préfèrent éviter les conflits. Ils abordent par contre des relations interpersonnelles avec confiance et altruisme.

En conclusion, on se demande si les enseignants d'EP.S n'appliquent pas l'APC, c'est par ce qu'ils ont tendance tout simplement à vouloir éviter les conflits avec leurs inspecteurs

pédagogiques, bien qu'ils soient ouverts et ayant un esprit innovateur.

2. Profil psychologique des enseignants résistant au changement pédagogique

Tableau 2 : illustrant les scores obtenus au test du NEO PI-R par des enseignants résistant aux changements pédagogique

Les enseignants	Les dimensions	La zone sur la feuille de profil
Cas n°1	Névrosisme (N)	bas
	Extraversion (E)	moyen
	Ouverture (O)	moyen
	Agréabilité (A)	moyen
	Conscience (C)	moyen
Cas n°2	Névrosisme (N)	moyen
	Extraversion (E)	élevé
	Ouverture (O)	élevé
	Agréabilité (A)	élevé
	Conscience (C)	moyen
Cas n°3	Névrosisme (N)	moyen
	Extraversion (E)	bas
	Ouverture (O)	bas
	Agréabilité (A)	moyen
	Conscience (C)	moyen

Interprétation

La caractéristique la plus saillante de ce groupe d'enseignants au niveau des domaines, en comparaison avec les enseignants appliquant le changement, est leur score moyen sur le domaine « caractère consciencieux ».

Dans la personnalité des enseignants appliquant le changement, la dimension ouverture n'est pas prédominante. On retrouve cette dimension avec un score élevé chez l'enseignant N°2, malgré cette caractéristique, il figure parmi les enseignants rejetant ce renouveau pédagogique. Cela est peut-être dû à son manque de conviction vis avis de la pertinence de cette nouvelle approche d'enseignement.

Le croisement entre les domaines, Conscience et Agréabilité sont encore prédominant dans la personnalité des enseignants appliquant le changement pédagogique. Ce type de personnalité assume les tâches les plus difficiles et sur le long terme, jusqu'à ce que l'objectif soit atteint.

Conclusion

Les résultats présentés mettent en valeur la personnalité de l'enseignant comme facteur qui produit la résistance au changement. En effet, l'étude des différents profils de personnalité a montré que les enseignants ont besoin de score élevé dans les domaines de Conscience et d'Agréabilité. Ainsi ils auront des attitudes plus positives en réponse au changement. Par rapport à ceux qui sont plus nonchalants et mois disciplinés. Ces derniers pourraient probablement adopter des comportements négatifs.

Huberman A.M(1973, p. 38) disait déjà que « L'enseignant n'a pas non plus généralement une personnalité novatrice. La plupart des profils de personnalité, décrivent les enseignants comme timides et respectueux, manquant de hardiesse sur le plan social, soucieux de plaire, plus passifs et moins décidés à réussir que les personnes exerçant d'autres professions.

Ces résultats obtenus doivent être vérifiés dans d'autres perspectives de recherche, car les conditions et la situation dans lesquelles ont été remplis les questionnaires ont probablement affecté l'objectivité et la validité des informations ainsi recueillies. Ils peuvent donner lieu par conséquent à des distorsions volontaires ou involontaires.

Certains enseignants se sont-t-ils trompé sur eux même ? Ou ont-ils délibérément trompé l'évaluateur en donnant de fausses descriptions d'eux même ?

Nous avons fait le choix d'une étude de cas, sur des enseignants relativement expérimentés, qu'en est-il,à l'avenir, sur un échantillon plus important composé d'enseignants novices pour une étude comparative ?

❖ Bibliographie :

(1) ALOUANE, R. (2010). **Etude de la contribution des dimensions de la personnalité à la réussite sportive chez les nageurs de performance**. Thèse, Université d'Alger 3. Algérie.

(2) Atherton, J.S. (2005). **Learning and Teaching: Resistance to Learning**. (On-line) UK: Available: http://www.learningandteaching.info/learning/resistan.htm consulté le 23 janvier 2014.

(3) Bareil, C. (2004). **La résistance au changement** : synthèse et critique des écrits. Cahier de recherche du CETO, no. 04-10.

(4) Bos, J.C. et Amade-Escot, C. (2004) **Les nouveaux programmes d'EPS en France**. Analyse de l'échec de deux tentatives de renouveau : archaïsme des enseignants ou résistance à l'idéologie postmoderne ? In PhJonnaert et A. M'Batika (Sous la Dir.), Les réformes curriculaires : Regards croisés (pp.113-155). Sainte-Foy: Presses Universitaires du Québec

(5) Chamorro-Premuzic, T., & Furnham, A. (2010). **The psychology of personnel selection.** New York: Cambridge University Press

(6) Coch, L. et French, J.R.P. (1948). **Overcoming resistance to change**. Human relation, 1(4), 512-532.

(7) Coghlan, D. (1993). **A Person-centred Approach to Dealing with Resistance to Change.** Leadership and Organisation Development Journal, 14(4), pp .lO-14.

(8) Dembo, M H., and Seli, H P. (2004). **Students' Resistance to Change in Learning Strategies Courses**. Journal of Developmental Education,

(9) Herscovitch, L. (2005**). Resistance to organizational change**: Toward a multidimensional conceptualization. Thèse de doctorat. Canada: University ofWestern Ontario.

(10) Huberman A.M. (1973) **Expériences et innovations en éducation no 4. Comment** , s'opèrent les changements en éducation : Contribution à l'étude de l'innovation par Ecole de psychologie et des sciences de l'éducation Université de Genève, Suisse.

(11) Gather Thurler, M. (1990): **Améliorer les pratiques pédagogiques des enseignants**: changements identitaires des intervenants. In: Actes de l'Université d'Eté 1990 de Mâcon, MAFPEN de Lyon.

(12) Lazarus, R.S. (1991). **Emotion & Adaptation**, Oxford University Press, New York. Greenberg, J., and Baron, R.A. 2002. Behavior in Organizations, Prentice Hall, New Jersey.

(13) Kadri E. (2005) CONSTRUIRE UN AVENIR POUR L'ÉCOLE : **Le rôle clé de la formation enseignante in Programme d'appui de l'UNESCO a la reforme du systeme educatif -PARE-LA REFONTE DE LA PEDAGOGIE EN ALGERIE ?** defis et enjeux d'une societé en mutation Ministere de l'Education Nationale.

(14) Lafortune L. (2008). **Résistance au changement Accompagnement**-Recherche-Formation quebec http://www.uqtr.ca/accompagnement-recherche >. Consulté le 15 mai 2014.

(15) Lamour, H. (1986). **Traité thématique de la pédagogie en l'E.P.S**. Paris : Vigot.

(16) Perrenoud, P. (2005). **Développer des compétences**, mission centrale ou marginale de l'université ? Congrès de l'Association internationale de pédagogie universitaire (AIPU)

(17) Seghouani, A. (1999).**La réforme du système éducatif** : éléments pour une réflexion sur le développement, à long terme, du système éducatif». Institut National d'Etudes de Stratégie Globale, Alger.

(18) Seghouani A. (2005) **SUIVI ET ÉVALUATION DE LA MISE EN OEUVRE DE LA RÉFORME DU SYSTÈME ÉDUCATIF** : VERS UN DISPOSITIF DE PILOTAGE in Programme d'appui de l'UNESCO a la reforme du systeme educatif -PARE-LA REFONTE DE LA PEDAGOGIE EN ALGERIE ? defis et enjeux d'une societé en mutation Ministere de l'Education Nationale.

(19) Toualbi-Thaâlibi N. (2005) **Changement social**, représentation identitaire et refonte de l'éducation en Algérie in Programme d'appui de l'UNESCO a la reforme du systeme educatif -PARE- LA REFONTE DE LA PEDAGOGIE EN ALGERIE ? defis et enjeux d'une societé en mutation Ministere de l'Education Nationale.

(20) Vakola, M., Tsaousis, 1. and Nikolaou, 1. (2004) **The role of emotional intelligence and personality variables on attitudes toward organisational change**, Journal of Managerial Psychology, 19(1/2), pp. 88-110.

(21) Oreg, S. (2003). «**Resistance to Change: Developing an Individual Differences Measure** », Journal of Applied Psychology, vol. 88, nº 4, p. 680-693.

(22) Masclet G. UN NOUVEL ENSEIGNEMENT POUR LES PROFESSEURS : « **LA PSYCHOLOGIE DES ORGANISATIONS** »in SPIRALE - Revue de Recherches en Éducation - 1994 N° 12.

(23) Lafortune L. (2008). **Résistance au changement Accompagnement**-Recherche-Formation Québec http://www.uqtr.ca/accompagnement-recherche >. Consulté le 15 mai 2014.

(24) Tabachnick, B.G. et Fidell, L.S. (2007). **Using Multivariate Statistics**, 5th ed. Boston: Allyn and Bacon.

(25) Morizot, J., & Miranda, D. (2007). **Approche des traits de personnalité**: Postulats, controverses et progrès récents. Revue de psychoéducation, 36, 363-416.

(26) Roberts, B.W. & Hogan, R. (2001). **Personality psychology in the workplace.** Washington, DC: American Psychological Association.

La mise en texte de la ville d'Alger dans la trilogie policière de Yasmina Khadra : *Morituri, Double blanc*et *L'Automne des chimères*

Aziza Benzid

Université de Batna, Algerie

Résumé :

Le roman policier est un genre littéraire moderne qui cultive un rapport particulier avec la ville, en faisant d'elle son terrain d'action privilégié. S'appropriant cet espace urbain, la littérature policière algérienne trouve, dans cet espace urbain, un champ fertile pour raconter des intrigues criminelles qui se déroulent dans ses ruelles et dans ses bas-fonds. La trilogie policière de Yasmina Khadra écrite pendant les années 90, confirme cette interpellation de cet espace et prend la ville d'Alger comme le théâtre des enquêtes policières du Commissaire Llob ; le principale protagoniste de la série. La mise en texte d'Alger est faite à travers les trois romans policiers de cet auteur, à savoir ; *Morituri*, *Double blanc*,et *L'Automne des chimères*.

الملخص:

الرواية البوليسية، نوع أدبي حديث يتعاطى علاقة خاصة بالمدينة حيث أنه جعل منها المكان المفضل لأحداثه.الأدب البوليسي الجزائري بفعل احتوائه لهذا الفضاء، وجد في المدينة حقل غني لسرد حبكات إجرامية، تجري أحداثها في أحيائه الضيقة و أزقته التحتية . الثلاثية البوليسية للكاتب ياسمينة خضرا، المؤلفة خلال التسعينيات،التزمت بهذا التعاطي مع هذا الفضاء و جعلت من مدينة الجزائر مسرحا للتحقيقات البوليسية للمفتش لب، le CommissaireLlob البطل الرئيسي للسلسلة.الكتابة النصية لمدينة الجزائر تظهر خلال الروايات البوليسية الثلاثلهذا الروائي.

Introduction :

L'insertion de la ville dans le roman policier a donné à ce dernier une certaine spécificité, lui permettant d'entretenir des relations particulières avec elle. De ce fait, le roman policier, en tant que genre urbain associé à la ville, foyer de violence et d'agression nocturne, secrète tout un système de clichés urbains qui le caractérisent et qui reviennent tout au long du tissu narratif: *« rues désertes, impasses désolées, espaces lugubres, zones mortes, couleurs éteintes* » [(1)].

Ce qui confirme la représentation classique de la ville du roman policier : ville menaçante, hostile, et vivant à la lumière de la morgue.

Choisissant la ville d'Alger comme le lieu d'action privilégié de sa trilogie policière, *Morituri, Double blanc* et *L'Automne des chimères*,l'écrivain algérien Yasmina Khadra, a eu recours au cadre policier pour témoigner du drame qui endeuillait l'Algérie pendant les années 90, ce qu'il ne manque pas d'ailleurs de le souligner, en disant que :

« Ecrit conformément au genre noir, mes romans policiers répondaient à un souci d'ordre purement pédagogique pour rendre compte du dérapage politique et de la régression sociale qui caractérisaient l'Algérie des années 80 avant de sombrer corps et âme dans le gouffre intégriste. (....) La tragédie algérienne dépassait l'entendement. Mes

polars l'expliquaient dans la fidélité mais avec un maximum de précaution.»[(2)]

Etre le noyau du pouvoir politique, administratif, économique et culturel, semble donc désigner cette ville comme un parfait théâtre urbain pour les enquêtes du Commissaire Llob, le principal protagoniste de la trilogie. Elle est surtout présente dans les deux premiers romans : *Morituri*et *Double blanc.* Dans *L'Automne des chimères*, la présence d'Alger est ombragée par des fréquents retours dans la région de la Kabylie, exactement à Igidher dont le héros est originaire.

Il reste à montrer, dans cette étude, comment Alger est mise en écriture dans la série policière de Yasmina Khadra, et jusqu'à quelle mesure elle répond au cliché de la ville du roman policier.

Alger la Blanche en trilogie noire

La mise en texte de la ville d'Alger, dans l'écriture policière de Yasmina Khadra, a commencé dans *Le Dingue au bistouri,* avant qu'elle ne se consacre désormais comme le terrain de prédilection des enquêtes du Commissaire Llob. Ce dernier se souvient dans *L'Automne des chimères* de sa première rencontre avec la cité méditerranéenne, quand ses fonctions de policier, l'ont amené à vivre à Alger et y exercer son métier:

« Je me souviens, la première fois que j'ai foulé le bitume d'Alger, c'était un vendredi. Le car brinquebalant, qui me prélevait d'Igidher via Ghardaïa, s'était rangé place du 1er Mai au moment où le muezzin lançait l'appel du Dohr. J'avais laissé ma valise sur le pas de la mosquée. Après la prière, ma valise était toujours là, à peine poussée sur le coté pour dégager l'accès à la salle. C'était en 1967, une époque où l'on pouvait passait la nuit là où elle nous surprenait sans craindre pour sa bourse, encore moins pour sa vie. Ce vendredi-là, le printemps se surpassait, les balcons fleurissaient et les filles, entoilées d'oriflammes lactescentes, sentaient chacune un pré. C'était le temps où le hasard faisait les choses en s'inspirant des jours que Dieu faisait- des jours heureux. » (3).

Cette évocation nostalgique de la capitale d'Algérie clôt le troisième volet de la trilogie. Le Commissaire Llob semble faire ses adieux à cette ville (il meurt assassiné, tout de suite après), en lui rendant hommage par cette description idyllique. Toutefois, derrière ces souvenirs heureux d'une ville tant aimée, le regret et l'amertume apparaissent en filigrane pour rappeler Alger d'antan et s'apitoyer sur la ville d'aujourd'hui. Cette dernière ravagée par l'actualité dramatique des années 90, ne se prête plus à ce genre de description envoûtante, c'est une ville qui vit un présent hostile *: « Les jours d'antan sont partis. Les loubards qui chahutaient au fond des portes cochères ont disparu. Les boutiquiers baissent leur rideau dés la tombée de la nuit. La rue est alors livrée aux affres de l'incertitude, aux brises désœuvrées et aux chiens errants. »* (4).

En fait, la trilogie policière de Yasmina Khadra met en scène le Commissaire Llob, un policier honnête et intègre, menant des enquêtes sur la mort de plusieurs victimes, ayant pour toile de fond la mafia politico-financière et le terrorisme qui atteint son point culminant dans le dernier opus de la trilogie. A travers les aventures du héros khadraien, différentes descriptions de la ville d'Alger sont mentionnées, ainsi que divers noms de rues et de quartiers, pour en donner *un effet de réel* selon l'expression de Roland Barthes, tels que : Hydra, la Casbah, Bab El Oued……, des lieux qu'un lecteur peut repérer ou inscrire sur une carte géographique, certifiant ainsi l'authenticité des histoires racontées et montrant par la même occasion, la parfaite connaissance de Khadra de la ville d'Alger, du moment que l'écrivain n'est pas un algérois de souche, mais un natif de la région de Bechar dans le Sud algérien.

Au cours des enquêtes du Commissaire Llob, les descriptions de la capitale algérienne véhiculent des images urbaines souvent négatives et pessimistes dans la pure tradition policière, conformes à celles données par J-N. Blanc : *« Au cours de son histoire, le polar a, considérablement, évolué dans ses façons d'envisager la ville. Il repose pourtant toujours sur le même constat de départ : la ville est malade. Glaciale, pluvieuse, obscure, crasseuse, solitaire, angoissante, elle est le lieu d'une urbanité moribonde. »* [(5)].

Malade, Alger l'est. Elle souffre de plusieurs maux : le chômage, la corruption, la misère, mais surtout du terrorisme, qui

font d'elle plus qu'un simple lieu d'action policière, elle en devient même un personnage de la trame narrative, qui participe activement au déroulement des évènements.

La ville comme personnage

L'écriture de la ville d'Alger et les descriptions qui en découlent font d'elle, donc, un personnage de la trilogie. L'utilisation de différents adjectifs, attribués généralement à l'être humain, en témoignent de la personnification de la capitale algérienne. Ça commence déjà avec l'incipit de *Morituri* : *« Saigné aux quatre veines, l'horizon accouche à la césarienne d'un jour, qui finalement, n'aura mérité sa peine »* [(6)].

D'autres expressions suivent comme : *« les routes traîtresses »,« un Hydrasouverainement impassible »* [(7)].

ou comme dans ce passage de *Double blanc* : *« Alger cuve son chagrin comme un clodo son vin frelaté. Ramassée sur elle-même, elle s'escrime à contenir ses soubresauts pour ne pas éclater.»* [(8)].

Comparer Alger à une personne, montre le souci de Khadra de faire participer cette ville au drame qui affecte les protagonistes de ses récits, ce qui la rend, non pas un décor vague et imprécis, mais plutôt, un paysage urbain bien *parlant*.

D'autre part, Alger se dévoile aussi comme une ville habillée en *noir et blanc*, et c'est souvent la nuit qui se dispute avec

la lumière du jour. Réputée jadis comme *Alger la Blanche*, la ville de la trilogie n'a plus cette lumière particulière qui a forgé sa légende dans les textes littéraires français ou algériens. Désormais, il est question de journées lugubres, de ciel gris : *« Un ciel maussade dispense sa morosité à la ville. Le soleil de mon pays déprime. Les autorités que luilègue la nuit ont raison de sa magie. »* [(9)].

La nuit dans la trilogie est associée aux crimes, et précisément aux attentats terroristes : *« la nuit secrète sa bile sur laville. Déjà, au loin une rafale enclenche le délire »* [(10)]

C'est un moment redouté des habitants de la capitale :

« *Dehors la nuit se couche sur la ville comme se laisse choir sur des orties un succube frigide et aigri. Dans le ciel criblé de repères frustrants, la lune se veut mauvais œil. (…….). Alger retourne en enfer. Ses saints patrons ne l'assistent plus. Ses veillées sont funèbres. Le moindre friselis est perçu comme un crid'agonie. »* [(11)]. L'image de la nuit menaçante et dangereuse se poursuit jusqu'au dernier volet de la trilogie : *« Alger n'inspire plus les noctambules. Ses nuits sont hantées. Elles ne croient plus aux soirsqui se prostituent aux insomniaques mal lunés* » [(12)] .

L'évocation de la nuit persiste dans la narration et c'est aussi le moment que Yasmina Khadra choisit pour faire mourir son héros, le Commissaire Llob aux alentours de *« vingt et une heure dix.»* [(13)].

Ainsi, l'obscurité enveloppe Alger, et en fait d'elle une ville solitaire et angoissante, vivant à l'ombre d'elle-même : *« Nous arrivons devant mon immeuble. L'avenue est déserte. (…….).Les jours d'antan ont disparu. Les boutiquiers baissent leur rideau dès la tombée de la nuit. La rue est alors livrée aux affres de l'incertitudes, aux brises désœuvrées et aux chiens errants.» (14).*

Ces images de la nuit ne font que refléter le réel dramatique dans lequel vit Alger pendant les années 90 ; celui de la montée du terrorisme et la spirale de la violence qu'il a engendré. Elles transportent le lecteur dans une autre connotation de la nuit dans la trilogie de Khadra, loin des images habituelles et les clichés traditionnels des poursuites nocturnes du récit policier, entre des malfaiteurs et des policiers. Chez l'écrivain algérien, il s'agit désormais de nouvelles images de l'obscurité ; celles qui opposent le Commissaire Llob et ses hommes aux terroristes.

Description de la ville ou prétexte pour la peinture du réel

La trilogie de Yasmina Khadra se sert aussi de l'intrigue policière pour dévoiler une réalité plus profonde : la réalité sociale et politique de la société algérienne pendant la décennie noire. L'enquête devient donc, chez l'écrivain, une : « *enquête politique et ses romans restent strictement liés à la tragédie algérienne dont ils révèlent les aspects les plus douloureux de la quotidienneté. »* [(15)].

Les trois récits sont, en effet, jalonnés de passages mettant l'accent sur le mal qui ronge Alger : les menaces des integristes, la

peur des habitants et le désespoir hantant leur quotidien. C'est une ville tourmentée, accablée de douleur à la vue de son présent tragique : *« Désormais dans mon pays, à quelques prières du bon Dieu, il y a des jours qui se lèvent uniquement pour s'en aller et des nuits qui ne sont noires que pour s'identifier à nosconsciences* » (16).

La même image de malaise et de tension se ressent dans *Double blanc* où la ville vit au rythme de la mort et des sirènes : *« Dehors, la ville étuvée est sur les nerfs. Aux vrombissements dissonants ripostent les ululements des sirènes. Le printemps n'a pas fini d'emballer son paquetage et déjà Alger évoque un barbecue suspendu entre l'enfer de Dieu et le purgatoire des hommes. »* (17).

Chaque nuit donc, Alger *« retourne en enfer. Ses patrons ne l'assistent plus. Ses veillées sont funèbres. Le moindre friselis est perçu comme un cri d'agonie.* » (18).

L'image de la nuit menaçante et dangereuse se perdure jusqu' au dernier opus de la trilogie : *« Alger n'inspire plus les noctambules. Ses nuits sont hantées. Elles ne croient plus aux soirs qui se prostituent aux insomniaques mal lunés. »* (19).

C'est une représentation pessimiste et malheureuse que Yasmina Khadra donne donc à lire de la ville d'Alger, Cependant, au fil de la narration, de temps à autre, surgit une lueur d'espoir, un souhait de voir la capitale algérienne redevenir ce qu'elle était d'antan :

« Nous persistons à croire qu'un retour de vapeur est possible, qu'un moment à l'autre, l'enfer des hommes va céder devant le paradis d'Allah, que d'un bout à l'autre, Dzaïr redeviendra Dzaïr, c'est-à-dire un territoire où ce n'est pas tous les jours dimanches certes, mais où il fait bon vivre- un peu n'importe comment, mais pleinement à coup sûr. »[20]

Toutefois, ce n'est pas seulement le terrorisme qui torture Alger, c'est aussi l'injustice sociale qui couve sous son ciel et alimente son vécu, pour en donner naissance à deux univers : celui des riches et celui des pauvres. Le premier est suspendu sur les hauteurs D'Alger comme Hydra et le second se prosterne dans ses quartiers populaires bas comme : Bab El Oued, La Casbah……..

De hauts lieux aux bas lieux

La trilogie de Yasmina Khadra est peuplée de lieux de luxe ; surtout des villas, qui généralement se situent à Hydra : *« le plus chic quartier de la ville »*[21]

Dans *Morituri,* l'univers huppé des gens riches est introduit dès les premières pages, quand le Commissaire Llob est invité dans la résidence du gendre de Ghoul Malek qui possède « *un rez-de chaussée à faire saliver un émir du Kuweit* » [22].et par la suite dans le palais de Ghoul Malek, lui –même, dans *« sa majestueusepropriété d'Hydra* » [23].

Pourtant, ce luxe somptueux n'a pas empêché le Commissaire Llob de tuer Ghoul Malek, le responsable des attentats et les tueries

intégristes, dans sa villa même, se chargeant de faire la justice par lui-même.

La même image se répète dans *Double blanc*, où il s'agit toujours d'un lieu luxueux, dans lequel le héros de Yasmina Khadra tente de rétablir un désordre. Dans un premier temps, dans le bureau du milliardaire DahmaineFaïd, un *« building [qui] s'élève au sortir de Hydra, aussimonumental qu'une stèle érigée aux génies des eaux troubles.* » [(24)].

et où ce dernier sombre dans la folie, quand le Commissaire Llob procède à son arrestation en tant que principale instigateur des agissements de la mafia politico- financière algérienne. Et dans un second temps, dans la villa d'Abderrahmane Kaak : *« un univers tapissé de velours grenat et étincelant d'argenterie»* [(25)].dans laquelle, le policier l'accuse d'être responsable de nombreux crimes. A la suite de ces accusations, Abderrahmane Kaak se donne la mort et le roman se termine sur cette fin qui symbolise le retour à l'ordre, qui est finalement la quête du genre policier.

Dans *L'Automne des chimères*, le Commissaire Llob entre dans l'univers feutré des riches algériens, cette fois-ci, non pas pour procéder au rétablissement de la justice mais, d'une façon mondaine. Invité par Mme ZhorRym, la belle veuve dans « *son manoir imposant»* [(26)].

à Hydra, il fait la connaissance des grosses fortunes algéroises, des intellectuels et des hommes politiques, venus pour faire la fête, se désintéressant des événements meurtriers qui accablent leur pays.

Ces images de luxe et d'opulence des hauts lieux contrastent violement avec celles des lieux bas : les quartiers populaires. A commencer par le lieu de vie du Commissaire Llob lui –même, qualifié de *« gourbi »* [(27)].

ainsi que les maisons de ses amis et collègues, comme par exemple, celle du lieutenant Serge à Bab El Oued, décrite comme un *« taudis (……) tellement insalubre que les locataires paraissent plus frêles que les fantômes.»* [(28)].

Cette image trouve son écho dans la description de la maison de son ami, le peintre Arezki Nait-Wali, qui toujours à Bab El Oued, réside dans un *« immeuble sordide, une cage d'escalier aux allures de vespasienne*. » [(29)].

Cette allusion à l'aspect misérable de la maison du peintre semble être un clin d'œil, de la part de Khadra, à la situation difficile dans laquelle vit souvent l'artiste algérien, et que l'écrivain ne manque pas de souligner dans la plus part de ses écrits.

En somme, ce sont des images misérables, tristes, qui montrent jusqu'à quel point, l'écart est grand entre *« les palais »,« les villas majestueuses »* des hommes riches et les *« gourbis »,« taudis »* et *« immeubles sordides »,* désignant les espaces intimes des protagonistes de la série khadraënne, qui

devient dans ce cas, plus que la narration d'une enquête policière, mais la dénonciation de l'injustice sociale qui ronge la société algérienne.

Conclusion

La ville d'Alger est bien présente d'un bout à l'autre dans la trilogie policière de Yasmina Khadra. Elle se prête volontiers à son rôle de décor urbain pour les enquêtes du Commissaire Llob. C'est une ville qui oscille entre deux univers : ceux de la dichotomie riche/ pauvre. Elle marque l'habituel clivage entre ville haute et quartiers populaires bas, cependant, elle ne confirme pas le cliché classique de la ville du roman policier, où les bas fonds des quartiers populaires sont toujours le foyer du crime. C'est plutôt le contraire dans les romans policiers de l'écrivain algérien, c'est dans l'espace des riches que le crime sévit et alimente toute sorte de transgression à l'ordre social et même moral.

On peut, donc, dire que Yasmina Khadra a procédé, par une écriture particulière, à la subversion d'une des composantes essentielles du genre policier, à savoir la ville, qui n'était finalement qu'un prétexte pour décrire l'atmosphère spatiale, où se déroulent les intrigues de la série, car Alger déborde de son vase spatial, pour en être le théâtre de la tragédie algérienne contemporaine.

❖ Références et Bibliographie:

(1) BLANC, Jean-Noël, *Polar ville, images de la ville dans le roman policier,* L'Ecole d'Architecture de Lyon, Lyon, 1990, p.37.

(2) KHADRA, Yasmina,« Du roman noir au roman blanc *»,* dans *Subversion du réel : stratégies esthétiques dans la littérature algérienne contemporaine*, Harmattan, Paris, 2001, p.115.

(3) KHADRA, Yasmina, *L'Automne des chimères,*1998, Gallimard, Paris, 2008, p.917.

(4) Ibid., p.830.

(5) BLANC, Jean-Noël, op.cit., p.267.

(6) KHADRA, Yasmina, *Morituri,* 1997, *Le quatuor algérien*, Gallimard, Paris, 2008, p.459.

(7) Ibid., p.477.

(8) KHADRA, Yasmina, *Double Blanc,* 1997, *Le quatuor algérien,* Gallimard, Paris, 2008, p.632.

(9) KHADRA, Yasmina, *Morituri,* op.cit., p.576.

(10) Ibid., p.491.

(11) KHADRA, Yasmina, *Double Blanc,* op.cit.,p.625.

(12) KHADRA, Yasmina, *L'Automne des chimères,* 1998, *Le quatuor algérien,* Gallimard, Paris, 2008, p.789.

(13) Ibid., p.919.

(14) Ibid., p.830.

(15) CANU, Claudia, « *Le roman policier en Algérie : le cas de Yasmina Khadra »* dans *Francofonia* N°16, Espagne, 2007, sur : www.redalyc.org. p.29.

(16) KHADRA, Yasmina, *Morituri,* op.cit., p.474.

(17) KHADRA, Yasmina, *Double blanc*, op.cit., p.687.

(18) Ibid., p.625.

(19) KHADRA, Yasmina, *L'Automne des chimères,* op.cit.,p.788.

(20) KHADRA, Yasmina, *Morituri*, op.cit., p.577.

(21) Ibid., p.577.

(22) Ibid., p.467.

(23) Ibid., p.477.

(24) KHADRA, Yasmina, *Double blanc*, op.cit., p. 671.

(25) Ibid., p.750.

(26) KHADRA, Yasmina, *L'Automne des chimères,* op.cit. p.813.

(27) KHADRA, Yasmina, *Morituri,* op.cit., p.460.

(28) Ibid., p.550.

(29) KHADRA, Yasmina, *L'Automne des chimères,* op.cit., p.763.